

مُشَرِّحات

وَلَمْ يَشْكُرْهُ وَلَا يَرْحَمْهُ

الْكَامِلَة

التَّارِيخِيَّات

تَرْجُوم

أ. ر. مشاطي

إشراف وتشميم

نظير عبود

توزيع

دار الجليل

مَسْرُحِيَّات
وَلِيَمْ شَكْسِير
الكاملة

التَارِيخِيَّات



تَقْرِيب
أ. ر. مشاطي

إشراف وتقديم
نظير عجبود

دار نظير عجبود

يحتوي هذا المجلد على

٧	هنري الرابع الجزء الاول
١٤٣	هنري الرابع الجزء الثاني

هنري الرابع

الجزء الأول

أشخاص المسرحية

	الملك هنري الرابع.
	هنري : أمير وايلس {
	الأمير جون لنكاستر {
	هنري برسي كونت نورثمبرلند
	هنري برسي الملقب بهاتشير
	توماس برسي كونت ورشستر
حلفاء يناوئون الملك	أوين كلانداور، رئيس من وايلس
	أرشيالد كونت دوكلاس
	ادموند مورتيمور كونت مارش
	إشكروب رئيس اساقفة يورك
	سر رتشارد فرنون
	سر والتر بلونت
أنصار الملك	كونت ويستمورلند
	سر جون فالنتاف
	بوينز
	كاذنهيل {
	يتو {
	باردولف {

السيدة برسي: زوجة هاتنبر وأخت مورتي مور.
السيدة مورتي مور: ابنة كلانداور وزوجة مورتي مور.
السيدة كويكلي: مضيضة حانة إيسيت شيب
لوردات، وضباط، ورجل أمن، وصاحب حانة، ومائس،
وغلمان نزل، وسائقا عربة، ومسافرون، وخدم.

تجري الأحداث في انكلترا

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر الملك بلندن

(يدخل الملك هنري وويستمورلند وسرّ والتر بلونت وغيرهما من رجال الحاشية).

الملك هنري: لندع السلام المرتعش الشاحب اللون من شدة القلق
يتنفس لحظة، وبسرعة يسترجع أنفसा، بانتظار المعارك
الجديدة التي ستبدأ قريباً على شواطئنا البعيدة. من
الآن وصاعداً لن تضيق بنا هذه الأرض المضطربة
التي استنزفت في ربوعنا دماء أولادها. لأن الحرب
لن تحفر أخاديد وحقاقد في سهولنا المنبسطة ولن
تدوس أزهارها بعد الآن جزمات أعدائنا وأفواج خيولهم
أثناء هجماتهم الوحشية على ديارنا. هذه الجيوش
المعادية التي تنقض علينا كالشهب من سماء غاضبية،
كلها مصنوعة من طينة واحدة ومركبة من المادة عينها،
وقد اشتركت سابقاً في اشتباكات داخلية ونزاعات
أدت بهم إلى مجازر بين الأخوة. لكنهم اتحدوا منذ
ذلك الحين وتنسّقوا في صفوف متراصة للهجوم جميعاً

علينا بضراوة. وقد كفّ بينهم الأصدقاء عن معارضة أصدقائهم، والأهل عن مشاكلة أهلهم، والحلفاء عن محاربة حلفائهم. ولم تعد نصال الحرب تجرح ساداتها نظير خنجر لم يُحسن رده إلى غمده. فأصبح الآن لزاماً علينا، أيها الأصحاب، أن نهبّ يداً واحدة، كأننا نذهب إلى قبر فادينا جنوداً منضوين تحت لواء رايتنا المقدسة، ونصمّم على تدعيم قيادة محاربينا الانكليز. وقد تشابكت أيديهم منذ كانت في بطون أمهاتهم لطرد الوثنيين من السهول المباركة التي وطأتها قدما الاله المتأنس منذ أربعة عشر قرناً حين سُمر صاحبهما على خشبة العار الأليمة. لكن، ها قد مضى عام على هذا المشروع فأضحى لا غنى لنا عن تنفيذه. وقد اجتمعنا الآن هنا لا للمناقشة بل... على كل حال، أرجوك، يا ابن عمي ويستمورلند أن تفيدني عما قرّره بالأمس مجلسنا لاستعجال القيام بهذه الحملة العزيزة على قلوبنا.

ويستمورلند : يا مليكي المفدى، كانت المناقشة حامية متخبّطة، وعدد كبير من قرارات صرّف الاعتمادات مجمّدة مساء البارحة، عندما وصل رسول من مقاطعة وايلس وزوّدنا بأخبار خطيرة. أسوأها ان النبيل مورتي مور الذي يقود رجال هيرفورد شاير كالمعتاد لمطاردة الوحش كلاندناوز قد أسره أخيراً هذا البطل الشهير في مقاطعة وايلس. لأن ألفاً من الرجال قد قُتلوا وبدت على جثثهم المشخنة جراحاً عميقة آثار تشويهاات مشينة ارتكبها الوائليسيون لا سبيل لاعادة ذكرها أو سرد تفاصيلها بدون أن تحمرّ وجوهنا خجلاً منها.

الملك هنري: وعلى ما يظهر، أُنْخِرَ هذا النبأ المزعج مجمل استعداداتنا للذهاب الى الأرض المقدسة.

ويستمرولند : أجل، هذا خير يضاف الى سواه من الأنباء المختلفة، يا مولاي الكريم. اذ وردتنا معلومات أخرى من الشمال فيها الحسن وفيها السيئ. واليك ما جاء فيها : يوم عيدنا العظيم، تقابل، في هولْمُدن، هاتسبر الجريء والفتى هاري برسي وارشيالد ألباس، هذا الاسكتلندي الذي برهن على مهارة فائقة. فجرت ذاك النهار أحداث دامية لا يستهان بها، كما استنتجنا من التراشق بالمدافع، على ذمة الراوي الذي امتطى صهوة جواده ليأتينا بالنبأ أثناء احتدام المعركة قبل أن تتبين نتائجها النهائية.

الملك هنري: ها هوذا صديقنا المخلص والتر بلونت يترجّل عن حصانه، والأحوال التي كسبه من هولْمُدن الى هنا، لا تزال عالقة بهندامه. وقد أُنْخِرَنا بأحلى الأخبار وأبهجها، اذ تفيد ان كونت دوكلاس يهيم على وجهه وان عشرة آلاف مقاتل اسكتلندي من الشجعان واثنين وعشرين فارساً، جميعهم يسبحون في دمائهم، قد قتلهم والتر في سهول هولْمُدن. وأن هاتسبر قد أسر مورتيمور وكونت فايف وهو بكر المغلوب دوكلاس، وكذلك كونت آتول وكونت موري وكونت أنكوس وكونت مثنات. أوليس هذا انتصار باهر مجيد وصيد ثمين من الأعداء المناوئين، يا ابن عمي العزيز؟

ويستمرولند : لعمرى، هذا ظفر عظيم يفاخر به كل أمير نبيل. الملك هنري: أجل، لكن هذه الفكرة أحزنتني. لأنني بتّ أحسد

مولاي نورثمبرلند على كونه والد مثل هذا الابن الفذّ
الذي استقطب مديح الجميع بنبل شهامته وبسالته.
وقد برز كزهرة نادرة وبطل محبوب ومفخرة قلّ
نظيرها. بينما انا ظللت شاهداً على أمجاده أبصر
الخصاسات والدناعات كوصمة عار على جبين الفتى
هاري. آه، كم أتمنى لو أنّ باستطاعتي أن أثبت أن
هناك جنيّة جوّالة أثناء الليل قد استبدلت ولدنا وهما
في أقمطتهما، ودعت ابني برسي وابنه بلاتاجيني.
وهكذا كان نصيبي انا ابنه هاري ونصيبه هو ابني
انا. لكن، دعنا من التفكير الآن بهذا... كيف تجد،
يا ابن عمي العزيز، وقاحة الفتى برسي، ان الأسرى
الذين باعّتهم وجمعهم في هذه المغامرة الموفّقة، كما
يقول، سيُقيهم تحت سيطرته، ويعلمني اني لن استولي
الأعلى واحد منهم فقط، هو مرداك كونت فايف.
ويستمولند : وذلك بناءً على نصيحة عمّه ورُسُتر الذي ضايق
الجميع في كل المناسبات، ولم يتورّع عن التشامخ
ورفع عقيرته حتّى في وجه جلالته.

الملك هنري: غير اني استدعيته لأردّه الى جادة الصواب. ولهذا
السبب اراني مضطراً الى تجميد مشاريعنا المباركة
المتعلّقة بالقدس. يا ابن عمي، سأجمع مجلسي يوم
الأربعاء القادم في قصر وندسور. فأرجوك أن تعلم
اللوردات بهذا القرار، وأن تعود عاجلاً لتظلّ بجواري.
لأن كل ما سأقوله وأفعله لا يتيح لي غضبي أن أذيعه
وأفسّره.

ويستمولند : أمرك مطاع، يا مليكي الكريم.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في نزل

(يدخل هنري أمير مقاطعة وإيلس، وفالستاف).

فالستاف : في أية ساعة من النهار نحن الآن، يا هال.
الأمير هنري : أراك قد شربت كثيراً من الخمرة حتى أنك فككت
أزرار قميصك وغفوت على مقعد الحديقة بعد الظهر
ونسيت ما كنت تريد أن تعرفه. ليت ابليس يدلك
على الساعة التي بلغناها في هذا النهار. إلا إذا كانت
الساعات لديك توازي عدد الكؤوس التي رشفتها،
والدقائق كحبة الديوك المشوية التي التهمتها، ورقاص
الساعة أنامل القَوَادَات التي داعبتها، وميناؤها شعار
بيوت الدعارة التي ارتذتها والشمس الساطعة بنت
الهوى المتسريلة بحلقتها الحمراء النارية التي احتضنتها.
لست أدري لماذا تطرح سؤالك الناقل عن الوقت
الحاضر في هذا النهار بالذات؟

فالستاف : بالفعل، يا هال، أنت تفهم أفكاري الثاقبة. لأننا نحن
الذين نعرف كيف نستفيد من الفرص ومن الغنائم
نضبط وقتنا على جولة القمر وعلى الأجرام السماوية
السبعة التي تشكل مجموعة الدب الأكبر وليس على
حركات الاله فابوس الفارس التائه. أرجوك أيها الساهر
الظريف، عندما تصبح ملكاً... حفظك الله، يا صاحب
السمو... بل يا صاحب الجلالة المقبل، لأنك بالحري
لا تدرك معنى سمو.

الأمير هنري : كيف تقول لي هذا؟ الأمر ليس صحيحاً.

فالمستاف : لا، لعمرى. ليس فيك من السموّ ما يسمح لك حتى بمباشرة تناول ييضة مقلية بقليل من الزبدة.

الأمير هنري : حسناً. وماذا بعد ذلك؟ أفصح عما تقصد قوله؟

فالمستاف : اذاً، أيها الساخر الظريف، عندما تصبح ملكاً، لن تسمح لنا نحن حرّاسك أثناء الليل، بأن ندعى لصوص وضح النهار. لأننا نفضّل أن نُسمّى حرّاس غابات الإلهة ديانا، وجهاء الظلال وظرفاء ضوء القمر، وأن نُعتبر رجلاً نحسن السلوك بفضل سيّدنا ومولانا البدر الذي تحت إشرافه نحن... نسرق.

الأمير هنري : الحق معك، وما تنفّوه به هو عين الصواب، لأن لثروتنا نحن جماعة ضوء القمر، كما للبحر، مدّها وجزرها ما دنا نظير أمواج البحر يتحكّم القمر بنا أيضاً. وهاك الدليل الساطع والبرهان القاطع : ان كيس الذهب الذي نسلبه مساء يوم الاثنين، سرعان ما نكون قد أنفقاه بكامله صباح يوم الثلاثاء، وقد حصلنا عليه بلمح البصر عندما صرخنا بالناس، هيا اعطونا فوراً كل ما بحوزتكم. فنبّده ونحن نصيح : هات كؤوس الخمرة، أيها الساقى. وهكذا، تارةً ينحصر الموج الى مستوى أرجلنا، وطوراً يصعد الى مستوى منصّة المشنقة.

فالمستاف : والله، أنت لا تنطق إلا بالحق، يا بنيّ. أولم تلاحظ أن مضيفتي في الحانة فتاة رائعة.

الأمير هنري : بل هي أحلى من غسل النحل، يا غلام الفندق. أولاً تليق بي هذه السترة المصنوعة من جلد الثور وأنا أرديها كنخبة الذوات؟

فالمستاف : تباً لك، أيها الساخر اللاذع. ما هذه التلميحات

والعقصات؟ ولماذا تهمني سترتك المصنوعة من جلد الثور؟

الأمير هنري : بل لماذا تهمني انا مضيفتك القابعة في الحانة التي زرتها؟

فالسناف : لقد ناديتها أنت مراراً وتكراراً لتجري معها حسابك الطويل.

الأمير هنري : وهل ناديتك انا لكي تدفع حصتك منه؟
فالسناف : لا، أبداً. وأنا أشكرك على كرمك لأنك دفعت كامل المتوجب.

الأمير هنري : أجل، هنا وهناك، حسب ما تسمح لي نقودي. وعندما أكون خالي الجيب، ألجأ الى تسجيلها كذتين على حسابي الخاص.

فالسناف : نعم، لأنك معروف كوارث اكيد.... لكن قل لي، أيها الساهر اللطيف، هل ستظل المشانق منصوبة في انكلترا عندما ستصبح ملكاً؟ وهل سيظل الحق مهملاً كما هو اليوم، يتغاضى عنه عدل القانون الذي لم يعد له في الحقيقة من هبة أو نفوذ؟ أرجوك عندما تصبح ملكاً أن لا تلاحق اللصوص بنوع خاص وتسجنهم.

الأمير هنري : كلاً، اطمئن، فأنت الذي ستلاحقهم.
فالسناف : أنا؟ لا، لا. هذه لعمري مسؤولية ظريفة جداً، إذ سأكون قاضياً نادر الوجود غريب الأطوار.

الأمير هنري : ها أنت منذ الآن تحكم خلافاً لما تشاء. أريد أن أقول انك ستدين اللصوص وتحكم عليهم بالأعدام

شفقاً. وهكذا تصبح جلاداً لا مثيل له.

فالسّاف : ليكن ما تريد، يا هال. فهذا، الى حدّ ما، يناسب ذوقي كما لو أنني أصبحت من الحرس داخل قصرك الملكي، إن أمكنتي القول.

الأمير هنري : فتمسي هكذا موظفاً مرموقاً واسع النفوذ.

فالسّاف : طبعاً سأصبح موظفاً وسأهتم بهندامي... لأنّ الجلاد الذي ستعيّنه أي أنا، لا أملك الكثير من الثياب، وأراني كحيّاً نظير هرّ مسنّ أو دبّ مربوط.

الأمير هنري : أو كنمر عجوز أو كعود عشاق مختل الأوتار.

فالسّاف : بل كملطّف صوت موسيقى القرب في جوقة لينكولن شائر.

الأمير هنري : ولماذا لا تتشبّه بأرنب برّي أو بمستنقع آسن المياه في منطقة مورديشن.

فالسّاف : ما أفضّل تشاييهك. في الحقيقة، أنت أوفر مبتكر وأرذل أمير شابّ وسيم الطلعة... لكن، يا هال، أرجوك أن لا تلصق بي سخافات جديدة. وإن شاء الله، ستعلّم مثلي من أين تغرف النقود التي تنفقها بدون حساب. هناك لورد هرّم من المجلس أنبني ذات يوم بسبك. ولكنني لم آبه لثرثرته. مع أنه تكلم بحكمة فائقة، إلّا أنني لم استمع اليه وقد تكلم، كما قلت لك سابقاً، بمتهى الحكمة وفي وسط الشارع.

الأمير هنري : حسناً فعلت، لأن الحكمة تستصرخ الضمائر عادة في الشوارع ولا أحد يصغي إليها.

فالسّاتاف : ما هذا الكلام الجارح؟ في الحقيقة، أنت قادر على
افساد قدّيس. وما أكثر ما سببت لي من المشاكل.
سامحك الله. قبل أن أعرفك، يا هال، لم اكن أدرك
شيئاً. والآن اذا وجب عليّ قول الحقيقة المجردة،
أنا لست أسوأ من أي خاطئٍ غيري. ولكن، لا بد
لي من أن أغيّر سلوكي هذا، وسأبدله حتماً. وإن
لم أفعل أصبح رذيلًا، لكنني لن أدع أولاد الملوك
المتدنّين يلعنوني.

الأمير هنري : أين سنسرق كيس نقود غداً، يا جاك؟
فالسّاتاف : حيث ترغب، يا صاح. واذا شئت، حين لا ألبّي
الطلب، أدعني ساذجاً غيباً واهزأ بي على هواك.
الأمير هنري : حسناً. ألاحظ انك بتّ تحرجني. إذ انك صرت تنتقل
من الصلاة الى سلب اكياس النقود بكل سهولة.

(يدخل بويتز ويقف على مسافة منهما).

فالسّاتاف : يا الهي، هذه مهنتي، يا هال. ولا تحسب على الرجل
خطيئة طالما هو يتعاطى اختصاصه، يا بويتز. ستعرف
اذا كانت في رأس كادسهيل فكرة ما. واذا كان
هذا الرجل لا يتوبه سوى ما يستحق، أعني حفرة
مشتعلة في جهنم، ستكون حتماً من نصيبه قريباً.
ويكون هذا أقدر صعلوك صرخ في حياته : قف أيها
الجبان وأفرغ جيوبك في يدي.

الأمير هنري : نهارك سعيد، يا صاح.
بويتز : نهارك سعيد، يا هال... ماذا يقول ضميرك الحي؟
وماذا يقول شارب الخمرة الحلوة، يا جاك؟ كيف

تدبّر امورك؟ كيف حالك مع الشيطان الذي يحوم
حول نفسك التي سلّمته اياها بأرخص الأثمان أثناء
آخر يوم جمعة عظيمة لقاء كأس من خمرة مديرا
وفخذ دجاج بارد؟

الأمير هنري : إعلم ان سرّ جون سيّفي بما وعدنا به، ولسوف يقبض
الشيطان حصّته من الغنيمة. (يشير الى فالستاف). هذا
لم يناقض أبداً ما يسري بين الناس من الأمثال المعروفة،
وسيدفع لابلis ما يحقّ له لقاء مساعيه.

بوينز : ها قد لبسّك اللعنة، لأنك وفيت بما ودعت أنت
به الشيطان.

الأمير هنري : وإلا سيدينك القاضي، لأنك خدعت الشيطان.
بوينز : آه، يا أولادي تذكروا ان لقاءنا سيتمّ غداً باكراً جداً
أي حوالى الساعة الرابعة صباحاً في منطقة كاذشهيل.
سيذهب بعض الحجاج الى كتربري ومعهم تقدمات
ثمينة، وسيمضي بعض التجار الى لندن وأكياس نقودهم
غاصة بقطع العملة. وأنا لديّ أقنعة تكفي لستر
وجوهكم، وأنتم لديكم جيادكم. سينام المدعو
كاذشهيل هذه الليلة في إيست شيب. وسنقوم نحن
بعملنا بدون عناء كما لو كنا راقدين في أسرّتنا. فإذا
شتم ان تأتوا، سأملأ أكياسكم ذهباً رثاناً. وإلا،
فالأفضل لكم أن تلازموا بيوتكم، وما عليكم إلا أن
تلوموا أنفسكم على حرمانكم من هذه المغنم.

فالستاف : إسمع، يا ادوارد، اذا بقيت أنت هنا ولم تذهب الى
المكان المعين، أتمنى لك الشنق لعدم موافاتك آيّا.

بوينز : هل ستأتون كلكم، أيها الشجعان؟

فالسّاف : أتريد أن ترافقنا، يا هال؟

الأمير هنري : من؟ أنا؟ أراكم تريدون مني أن أسرق أنا أيضاً، وأن أصبح قاطع طُرُقٍ مثلكم؟ كلاً ثم كلاً، وألف كلاً.

فالسّاف : هنا لا مكان للشرف ولا للاستقامة حتى ولا للصحة المنيّة، لا سيما وأنت تنتمي إلى الأسرة المالكة الحاكمة. فإذا لم تكن لديك المشجاعة لخوض الحملة معنا كيف ستخوض المعركة لأجل الحصول على العرش؟

الأمير هنري : حسناً، سأغامر مرة واحدة في حياتي، وارتركب هذه الحماقة التي تدفعونني إليها.

فالسّاف : هذا كلام ظريف مسموع.

الأمير هنري : ولينمّ ما هو مقدّر لي. على كل حال، سأبقى في منزلي.

فالسّاف : وأنا سأخالفك قبل أن تصبح ملكاً.

الأمير هنري : هذا الأمر لا يهمني مطلقاً.

بوينز : أرجوك، يا سرّ جون، ان تركنا انا والأمير وحدنا، لكي أقدمّ له حججاً وبراهين كافية تجعله يقبل بالاشتراك معنا في هذه المغامرة كما دعاها.

فالسّاف : أتمنى لك أن تمتلك كل وسائل الانقاع اللازمة، وأتمنى له أن تكون أذنه صاغية لسماحك. كما أرجو أن تكون أقوالك مؤثرة وأن ينصت اليك ويرضى بحديثك إلى حدّ أن تدعه هو الأمير الأصيل يمسّي لصاً مزيفاً. فالانحرافات تتطلب في هذه الأيام دعماً قوياً لتروج. الوداع. سنلتقي في إيست شيب.

الأمير هنري : الوداع، أيها الربيع المتأخر. الوداع، أيه العيد المشؤوم.
(يخرج فالستاف).

بوينز : هيا، يا صاح، يا أمير الأصدقاء، إمتطِ صهوة جوادك،
وكن غداً برفقتنا. سأقوم بمهمة لا أستطيع أن أنفذها
وحدي. فيا فالستاف وباردولف وبيتر وكاذسهيل،
عليكم أن تنتزعوا عنوة ما يحمله الأشخاص الذين
تداهمونهم. فلا أنا، ولا أنتم، سنظل هنا. لكن، حالما
تستولون على الفنائم، اذا لم نتوصل نحن الى انتزاعها
منهم، ما عليكم إلا أن تطيحوا برأسي من فوق كتفي.
الأمير هنري : ولكن كيف نفرق عنهم أثناء الطريق؟

بوينز : سنملك الطريق قبلهم أو بعدهم بقليل، ونحدد لهم
موعداً لن نتقيد به طبعاً، ونفاجئهم هكذا، وسينوؤون
تحت ضربتنا لا محالة.

الأمير هنري : نعم، ولكن لا يُستبعد أن يعرفونا من جيادنا ومن
ملابسنا أو من أي دليل آخر رأوه سابقاً.
بوينز : أما جيادنا فلن يصروها لأنني سأربطها بأشجار الغابة،
فنعود إليها حالما نغادرهم، ونرفع أقمعتنا عن وجوهنا.
أخيراً، لدي قفاطين طويلة نخفي تحتها ألبستنا العادية.
الأمير هنري : غير اني مع ذلك أخشى أن يهتدوا الى حقيقتنا ويتغلبوا
علينا.

بوينز : ما هذا الكلام؟ انا أعرف رجلين هما من أكر الخائفين
لم يديرا أبداً ظهرهم لأحد. أما الثالث، فاذا قاتل مدة
أطول من المعتاد، فأنا مستعد من جهتي أن أهجر
مهنة حمل السلاح. وفحوى هذه المهزلة السخيفة
أن تتواصل هذه الأكاذيب الهزيلة التي سيفدقها علينا

هذا الدجال المحتال عندما نجتمع معاً لتناول طعام
العشاء، بعد أن يكون قد نازل حوالى ثلاثين مسلحاً
على أقلّ تقدير. ولست أدري أي عرض عضلات
ولا أية جزمات ولا أية نهاية سيواجه سيادته. انما
الفضيحة الأخيرة ستكشف حتماً عند ختام المهرلة.

الأمير هنري : حسناً. سأرافلك، فجهّز كل ما يلزم، وسألتحق بك
هذا المساء الى إينست شيب حيث أتناول طعام العشاء.
الوداع.

بوينز : الوداع، يا مولاي.

الأمير هنري (على حدة) : أنا أعرفكم جميعاً وأودّ أن أساير بعض
الوقت مزاجكم أثناء عدم انشغالكم بأي عمل يلهيكم.
وبذلك أريد أن أتشبه بالشمس التي تسمح للغيوم
الفارغة بأن تحجب جمال كوكب النهار هذا كي
تتيح للناس النظر اليها بمزيد من الاعجاب عندما
يفقدونها، فتبرز لهم وتبدّد الضباب الكثيف الذي
يوارىها ويخفي نورها الوهاج. لو كانت الأعياد على
عدد أيام السنة لما ترقّبها الجميع بشوق ليرتاحوا من
عناء الشغل. لكن، بما أنها تأتي في أحيان متباعدة،
يتمنّون مجيئها على الدوام. لأن لا شيء يعجب أكثر
من الأحداث النادرة الوقوع في هذه الدنيا. وهكذا
عندما أنبذ حياة الفوضى هذه، وأفي الديون التي
أستلفها، فيقدر ما أوّجّل تسديدها يزداد تلهّف الدائنين
عليها. ونظير معدن يلمع في مكان مظلم، يتسنى
لارتدادي الذي ينعكس بريقه على أخطائي ويجتذب
مزيداً من الأنظار إليّ أكثر من أية فضيلة لا يُرز

جمالها ما يناقضها من الرذائل كافة. أقاوم وقوعي
في الخطأ، ولكنني أرغب أيضاً أن تنقلب كبوتي الى
نهوض باهر، لأعوّض عن ماضي الذي يترقب محيطي
تحسنه الآن أقل من أية مناسبة مرت بهم.

(يخرج).

المشهد الثاني

في القصر الملكي

(يدخل الملك هنري ونورثمبرلند وورستر، وهاتسبر وسر والتر بلونت وغيرهم)

الملك هنري: لقد كان دمي أبرد وأهدأ من المعتاد حتى أثر بي
هذا المقدار من الكرامة المهدورة. لقد خیرتم هذه
الناحية حتماً وها أنتم تمنعون في الاستفادة من صبري
الطويل. لكن كونوا على يقين باني سأستلهم سموّ
مقامي وأكون قوياً وحازماً، لا بداعي أخلاقي المائعة
كالزيت، واللينة كزيت النعام، بل لأنني بالنتيجة خسرت
احترام مقامي الذي لا يوليه أصحاب النفوس الكبيرة
تقديراً يليق بمستواه الرفيع.

ورستر : اسرتنا، يا مولاي، لم تستحقّ هبة السلطة التي ساهمت
سواعداً في فرضها كما يجب.

نورثمبرلند : مولاي...

الملك هنري: انصرف، يا وورستر، لأنني أرى التهديد والتمرد يبرقان
في عينيك. وها هو موقفك الجسور يدل على تشدّدك.
وأنا كملك لا يسعني أن أسكت عن تناول أحد

رعايائي. فلك ملء الحرية للغياب الآن عن نظري.
وعندما سأحتاج الى خدماتك ونصائحك سأرسل في طلبك. (يخرج ورستر). (لورنمبرلد) كنت على وشك أن تتكلم، فماذا تريد أن تقول؟

نورنمبرلد : أجل، يا مولاي الكريم. الأسرى المحتجزون في هولندين لم يُرفض تسليمهم مطلقاً بطريقة مقصودة، كما قيل لجلالتك. لذا يجمل أن ينسب هذا الامتناع الى سوء التفاهم أو سوء القصد ربما، لا الى تعنت إبني.

هاتمبر : يا مليكي، أنا لم أرفض تسليم الأسرى. غير أنني أتذكر عندما انتهت المعركة، اني كنت منهوك القوى فريسة الاستياء، ومن شدة إعيائي أستند الى سيفي، فجاءني أحد اللوردات وهو أنيق المظهر رشيق الحركة كأنه مخطوب ظريف، حليق اللحية رائع الهندام نظّنه آت الى مأدبة ملوكية. وكان معطراً كمبتكرة أزياء. وبين اصابعه يمسك بعلبة عطوس صغيرة فوّاحة الرائحة كان يدينها من أنفه من حين الى آخر ثم يعيدها الى جيبيه، وهو يترنح أخيراً بمزاج غريب... وكان يتحدث ويتسم باستمرار. وحين يمرّ الجنود حاملين جثث الموتى، كان ينعتهم بالوقاحة والانحطاط، لأنهم تجاسروا على جلب جثة مشوّهة تنثت تعبق رائحتها الكريهة جوّ سيادته. وكأنه يغازل حسناء، طرح عليّ عدة أسئلة وطلب مني تسليمه الأسرى باسم جلالتك. لكن جراحي عندما بردت في تلك الأثناء أخذت تؤلمني بشكل غير محمول، واذا ضايقني هذا الماجن

وأخرجني عن تجلدي، وجّهت إليه كلاماً قارساً تلقّاه
 بامتعاض، لأنني كنت فعلاً في أشدّ الانزعاج من عطره
 وحديثه ولهجته المتخثّنة ومن جلبة المدافع والطبول
 وآلام الجراح مجتمعةً. سامحتني الله. وقد قال لي هذا
 الدخيل إن الدواء الناجع لشفاء الرضوض الداخلية هو
 مرهم نادر الوجود يستخرج من قلب الأرض المسالمة
 ممزوجاً بملح البارود اللعين الذي أتلّف أعضاء عدد
 كبير من رجالي الشجعان الظرفاء. وأضاف هذا
 المتفلسف أنه لولا دويّ هذه المدافع الهدّامة لكان
 هو أيضاً انخرط في سلك الجندية. وعلى أثر هذا
 الحديث التافه المضني، يا مولاي، أجبته بغموض كما
 سبق وقلت لجلالتك. لذا أستحلفك راجياً أن لا تدع
 تقريره يبلغ من نفسك مستوى الامتعاض ويبدّد
 إخلاصي لجلالتك وقد عهدته لا يتزعزع على مدى
 الأيام.

بلونت : إذا أخذنا هذه الظروف الاستثنائية بعين الاعتبار، يا
 مولاي، نجد أن كل ما قاله هاري برسي لمثل هذا
 الإنسان الثقيل الظلّ في مثل ذلك المكان الرهيب
 ومثل تلك اللحظة الحرجة، نظير التقرير المقدّم لهذا
 الغرض، جميعها من المستحسن أن ندفعها في طيّات
 النسيان. أجل يجمل بنا أن نتغاضى عمّا رواه هذا
 المغرور بما أنه قد تراجع الآن عن إدّعائه.

الملك هنري: هو مصرّ على عدم تسليمتنا الأسرى إلّا بشرط أن
 ندفع نحن فدية زوج شقيقته الأبله مورتيمور. لقد
 قصد كونت مارش أن يضحّي بحياة الذين قادهم إلى

المعركة لمقاتلة هذا المشعوز الرهيب كلانداور
الملعون الذي، على ما بلغنا، تزوج هذا مؤخراً ابته.
فهل يتحتم علينا أن نفرغ خزانة أموالنا لإفداء هذا
الخائن السافل؟ وهل يجب علينا أن ندفع ثمن دناءته
ونتمسك حيال أنصارنا الذين ضيعوا مستقبلهم وهدموا
كيانهم بأيديهم؟ كلا، ثم كلا. سادعهم يموتون جوعاً
في جبالهم القاحلة، ولن أصادق أبداً على طلب أي
رجل يفرض عليّ أن أدفع فلساً واحداً كفدية لاسترداد
المتمرّد مورتيمور.

هاتسبر : المتمرّد مورتيمور، يا مولاي الملك، إن سقط في
أيدي العدو فهذا من صدف الحرب. ولإثبات ذلك،
ها هيذا جراحه ومخنه تتكلم عنه، وقد تلقاها بيسالة
على ضفاف النهر حيث بنيت الخيزران بغزارة في
مقاطعة سافيرن أثناء قتال جرى وجهاً لوجه طوال
ساعة كاملة بينه وبين الجبار كلانداور. ثلاث مرات
استراحا، وثلاث مرات، حسب الاتفاق، رويّا عطشهما
من مياه النبع الذي يصبّ في سافيرن. وحين هاله
عمق جراحه ركض مسرعاً بين رماح القصب المتمايلة،
إلى أول ملجأ وأخفى تجاعيد شعره الطويل في السريـر
الملوث بدماء جراح المقاتلين البواسل. لم يسبق لرياءٍ
أخطّ من ذلك أن يصم عملاً شجاعاً كهذا، بنميّةٍ
هكذا خطيرة ومميّته. إذ لم يلقَ النبيل مورتيمور في
الماضي عدداً من الجراح كهذه بيهجة وسرور. فلماذا
يرميه لائموه الآن بتهمة التمرد والعصيان؟

الملك هنري: أنت منافق، يا برسي. أجل أنت تشوّه الحقيقة حين

تتكلم عنه، لأنه لم يجزؤ على تشبيه ذاته بالداهية كلانداور. أؤكد لك انه لم يخطر يوماً بباله ان يجابه مكر إبليس، فكيف يجسر على مواجهة عدد مثل أوين كلانداور؟ ألا تخجل من ادعاءاتك؟ ثق باني لا أريد أبداً أن أسمعك تحدث هكذا عن مورتيمور. ارسل اليّ الأسرى الذين تحتجزهم بأسرع وقت ممكن، وإلا ستبلغك أخباري التي لن تسرك بتاتاً... يا كونت نورثمبرلند، أنا آذن لك أن ترافق ولدي. فاذهب وارسل لي الأسرى المشار اليهم، وإلا سينوبك مني ما لا يرضيك.

(يخرج الملك وبلونت والحاشية).

هاتسبر : ولو أتى الشيطان بنفسه هادراً متوعداً ليستلمهم، لن أسلمه اياهم... سأبعث بمن يبلغه قولي هذا، لأنني لا أريد أن أغفل هذه المشكلة ولو كلفني الأمر فقدان حياتي.

نورثمبرلند : لماذا تتكلم هكذا، يا من استحوذ عليك الغضب؟ تمهل قليلاً، ها هوذا عمك قادم الينا.

(يدخل ورسستر).

هاتسبر : من يريد أن لا نتكلم بعد الآن عن مورتيمور؟ لعمرى، أنا سأحدث عنه كما أشاء، ولا يسامحني الله، اذا لم أنضم اليه قريباً. أجل أنا مستعد أن أهدر دمي الغالي حتى آخر نقطة لنصرتي، وأن أرفع مورتيمور الى أعلى المراتب نكاية بالقيم بولينبروك، هذا الملك الذي أعمى بصيرته نسيان المودة ونكران الجميل.

نورثمبرلند (لورستر) : لماذا أغضب الملك ابن شقيقك، يا أخي؟
هاتمبر : لأنه يريد استلام جميع الرجال الذين أسرتهم. وعندما
أصررت على أن يدفع فدية شقيق زوجتي شحب لونه
ونظر اليّ شذراً كأنه يريد أن يزهد روحى لمجرد
ذكر اسم مورتيمور أمامه.

ورسستر : لا يسعني أن ألومه. ألم يعلن المرحوم رتشرد أن
مورتيمور هو الأمير الأقرب نسباً الى الملك؟
نورثمبرلند : أجل، أعلن ذلك، وأنا كنت حاضراً حينذاك. ولقد
أكد هذا القول حين رحل الملك المنكود الحظ،
سامحنا الله على كل ما أسأنا به اليه، الى إيرلندا
أثناء حملته التي عاد منها بغتة ليُخلع عن العرش ويذهب
ضحية الاغتيال.

ورسستر : وبسبب هذه الجريمة النكراء لم تكفّ السنة الأغبياء
عن التنديد والتشهير بنا.
هاتمبر : أرجوك أن لا تتسرع. اني استتج من حديثك ان
الملك رتشرد أعلن أخي إدموند مورتيمور كوريث
عرشه.

نورثمبرلند : أجل، وأنا سمعت ذلك من فمه بالذات.
هاتمبر : اذا، لا سبيل الى لوم الملك ابن عمه، اذا قصد إهلاكه
جوعاً وسط تلك العجبال الجرداء. لكنكم، أنتم الذين
توجّتم هذا الرجل العاقّ وساعدتموه على تنفيذ مأربه
في الاغتيال، ألا تجدون من الطبيعي أن يعتبركم الشعب
الحاقد كشركاء مسؤولين وكألة تنفيذ طيعة، بل
كجلاّدين ساعدتم على وضع جبل المشنقة حول عنق
المغدور. سامحوني اذا تماديت في شرح الموضوع

لأَيِّنْ لَكُمْ إِلَى أَيِّ دَرْكِ إِنْ حَدَرْتُمْ فِي عَهْدِ هَذَا الْمَلِكِ
 الطَّاعِيَةِ الشَّرِيرِ. يَا لِلْعَارِ، هَلْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ
 الْأَيَّامِ الْعَسِيرَةِ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ الْغَامِضِ أَنْ يَتَوَرَّطَ نَبَلَاءُ
 مِثْلِكُمْ أَصْحَابُ جَاهٍ وَنَفُوذٍ وَاسِعٍ، وَأَنْ تَسَاهَمُوا فِي
 دَسِيسَةٍ ظَلَمَ فَاضِحٌ كَمَا فَعَلْتُمْ، سَامِحَكُمْ اللَّهُ، لَتَقْتُلَعُوا
 الْمَلِكُ السَّابِقُ رَتَشْدُ الَّذِي كَانَ كَوْرِدَةً زَاهِيَةً فَوَّاحَةً،
 وَتَجْلِسُوا عَلَى الْعَرْشِ مَكَانَهُ هَذِهِ الشُّوْكَةُ السَّامَةِ
 بُولِينِرُوكْ؟ وَمَا زَادَ الطَّيْنُ بَلَّةً فِي هَذَا التَّصَرُّفِ الْمَشِينِ،
 وَمَا هُوَ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَقْبُولٍ أَبَدًا أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ
 أَيْضًا ضَحِيَّةَ خِدَاعٍ وَإِبْعَادِ الْحَقِّ بِكُمْ مِنْ قِبَلْتُمْ لِأَجْلِهِ
 بِالِاشْتِرَاكِ فِي هَذِهِ الْمُؤَامَرَةِ السَّافِلَةِ. لَا، لَا، لَمْ يَفْتِ
 الْأَوَانُ بَعْدَ لاسْتِدْرَاكِ صِيَانَةِ شَرَفِكُمْ مِنْ لَطِخَةِ الْعَارِ
 هَذِهِ، وَاسْتِرْدَادِ اعْتِبَارِكُمْ وَمَكَانَتِكُمْ السَّامِيَةِ فِي نَظَرِ
 شَعْبِنَا. فَهَلَّا انْتَقَمْتُمْ لَشَهَامَتِكُمْ الْمُهَانَةِ وَأَوْقَفْتُمْ هَذَا
 الْمَلِكَ الْمُسْتَهْتَرَّ عِنْدَ حُدُودِهِ وَمَنْعْتُمُوهُ مِنَ التَّمَادِي فِي
 تَحْقِيرِكُمْ، وَهُوَ يَسْمَى لَيْلًا وَنَهَارًا وَيَذِلُّ أَقْصَى جُهْدِهِ
 لِلتَّمَلُّصِ مِنْ هَذَا الصَّنِيعِ الْمَشِينِ الَّذِي أَهَالَ عَلَيْهِ سَيْلًا
 مِنَ اللُّومِ وَالْهَوَانِ، وَهُوَ يَرِيدُ الْآنَ أَنْ يَتَنَصَّلَ مِنْهُ
 بِجَعْلِكُمْ أَنْتُمْ كِبَشَ الْمَحْرَقَةِ. أَقُولُ إِذَا... .

ورسستر : أَصَمْتُ، يَا ابْنَ أَخِي، وَلَا تَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى، لِأَنِّي
 أَنْوِي الْيَوْمَ أَنْ أُبْرِزَ كِتَابًا سَرِيًّا وَأَقْرَأَ فِيهِ مَا يَزَعِجُكُمْ
 مِنَ الْفَضَائِحِ لِيَفْتَحَ عَيُونُكُمْ عَلَى كُلِّ مَا جَرَى مِنْ
 مَغَامِرَاتٍ دُمُيَّةٍ حَقِيرَةٍ يَصْعَبُ تَجَنُّبُ مَا سَتَجَرَّهَ عَلَى
 الْجَمِيعِ مِنْ وَبَالٍ وَادِّالٍ.

هاتمبر : إِذَا سَقَطْنَا، فَعَلَيْنَا كُلَّنَا السَّلَامَ. لَا بَدَ لَنَا مِنْ أَنْ نَغْرُقَ

جميعنا إن لم نحسن السباحة... يتحتم علينا إذا أن نواجه العاصفة ونجابه أفظع الأخطار من الشرق الى الغرب، اللهم إذا تمكنا من صيانة سمعتنا من الشمال الى الجنوب، وتركناهم يعلقون هم في الفخ الذي نصبوه لنا... أعتقد بأن قلب الانسان يزداد خفقانه سرعة حين يطارد وحشاً ضارياً أكثر من ملاحقة أرنب بري.

نورثمبرلند : أعتقد أيضاً أن فكرة هذا الانجاز العظيم تفوق حدود الصبر الجميل.

هاتمبر : بحق السماء، سأطير الى القمر الشاحب لأنقذ شرفي المهان. وإلا كان نصيبي ان أغوص الى أعماق المحيط لانتشال شرفي الغريق، هذا اذا كسب لمن يغني التحرر أن يصل وحده، وبدون مضايقة أي خصم، الى الفوز المنشود. فبأ لمن يكتفي بمكافأة زهيدة كهذه.

ورسستر : ها هوذا مشغول بمجابهة سيل من الأوهام، وليس هناك من موضوع يلفت انتباهه... حسناً، يا ابن أخي. اسمح لي بمحادثةٍ وجيزة.

هاتمبر : انا أسألك هذا السماح.

ورسستر : ما هو مصير هؤلاء النبلاء الأسرى؟

هاتمبر : انا مصمم على الاحتفاظ بهم جميعاً. وأقسم بأن لا أحد سيستلم أيّاً من هؤلاء الأسكتلنديين. كلا، ولو اقتضى الأمر التفريط باسكتلندي واحد لانتقاذ شخصية بارزة، فلن يتم ذلك، لأنني أنوي أن أحتجزهم كلهم بقوة ساعدي.

ورسستر : لماذا تستشيط هكذا غيظاً، بدون أن تصغي الى

تفسيرى؟ ستحتفظ بهؤلاء الأسرى..

هاتسبر : أجل، سأحتفظ بهم كلهم. هذا واضح، لا يقبل الجدل. وقد تأكد أنه لن يدفع فدية مورتيمور. وحرّم حتى التحدث بأمر هذا الأخير. غير أنني سأذهب لمقابلته أثناء غفوته وسأصرخ في أذنه اسم مورتيمور مراراً. وسأمرّن ببغائي على ترديد هذا الاسم عالياً، وسأسلمه إياها لكي تكرّره على مسمعه باستمرار لمجرّد إصراره على عدم سماعه إياه.

ورسستر : إضغ، يا ابن أخي، الى هذه الكلمة أيضاً...

هاتسبر : انا اتعهد على رؤوس الأشهاد بأن أتولّى مهمة وحيدة تهمني غاية الأهمية، وهي إزعاج بولينبروك وتغذيته، كما سأفعل حيال أمير وائلس الذي لا يستهويه إلا امتشاق السيف. لو لم أكن مقتنعاً بأن والده لا يحبه، بل يتّمنى له أن تنهال عليه كل بلايا الدنيا، لكنت سعيّت الى دسّ السمّ له في كأس شرابه.

ورسستر : وداعاً اذاً، يا نسيبي العزيز. سأحدثك مجدداً عندما تكون على أتمّ الاستعداد للانصات الى أقوالي.

نورثمبرلند : ليتني أعرف ماذا يدفعك الى هذا الكلام؟ ولماذا أنت مستعجل هكذا؟ أراك لا تتلّف إلا الى سماع ما يرضيك فقط من شتى الأحاديث.

هاتسبر : ها أنت تراني كم أتعبّ وأتلقّى الضربات من كل صوب، وكيف تدمي الأشواك أطراف جسمي، وكأنّ نمل وكر بكامله يعقّصني عندما اسمع أي كلام عن هذا الثعلب الغادر بولينبروك. فمنذ عهد رتشرد... كيف تسمّي ذاك المقرّ؟ لعنة الله على ذلك المكان...

أعني كلوستر شائر حيث يمكث هذا الخداع
المحتال عمك الدوق، أريد أن أقول عمه يورك، حيث
لأول مرة طويت ركبتي أمام ملك البسمات المزيفة
بولينبروك، قُبِحَ الله وجهه، عندما كنت أنت بصحبته
عائدين من رافنسبرك.

نورثمبرلند : اسمه قصر بركلي.

هاتسبر : تماماً كما تقول. وكم من المديح كال لي هذا الكلب
المتاوم، اذ قال لي : عندما يكبر ويشند ساعده...
ثم، يا هاري برسي الظريف،... وكذلك، يا ابن عمي
العزيز... لعنة ابليس على أمثال هذا النسيب الحقير.
سامحني الله. والآن أرجوك، يا عمي الكريم، أن تكمل
رواية هذه القصة، لأن حديثي عنه لا ينتهي.

ورسستر : لا، لا. إذا كنت لم تكمل حكايتك، ما عليك إلا
أن تواصل سردها، وكلنا أذان صاغية لسماعك.

هاتسبر : أقسم بحياتي، إنني انتهيت منها.

ورسستر : لِنَعُدْ إذاً إلى أسراك الاسكتلنديين. أطلق حالاً سراحهم
بدون فدية، وكلف ابن دوكلاس كمفوض وحيد
لتجنيد الفرق الأسكتلندية. ولأسباب عدة سأرودها لك
كتابة، ثقي بأن الأمر ليس بعسير. (نورثمبرلند) أما أنت
يا سيدي اللورد، فينما سيكون ابنك هكذا منشغلاً
في اسكتلندا، ستلّمح سراً لهذا النبيل المحبوب ولرئيس
الأساقفة المبحّل...

هاتسبر : تعني يورك، أليس كذلك؟

ورسستر : هو بالذات. انه لا يزال تحت وطأة موت أخيه لورد
إسكروب في بريستول. انا لا أتحدث هنا جزافاً، ولا

أرجح أن ما أظنّ حدوثه ممكناً، بل أصرّح عن معرفة أكيدة لا سبيل الى نكرانها. وقد نوقش الأمر ورُتّب واعتبر مشروعاً ضرورياً ينتظر أول فرصة ليدخل حيّز التنفيذ.

هاتسبر : انا مطلع على حقيقة الواقع، وأقسم بحياتي ان المسألة في طريقها الى الحل الملائم.

نورثمبرلند : أراك دوماً تطلقى كلاب الصيد قبل أن تستهدف الطريدة.

هاتسبر : والله، هذه خطة ناجحة لا مجال لانتقادها. فقبل أن تنتقل فرق اسكتلندا ويورك الى مرحلة العمل الجدّي وتلتقي في نقطة معيّنة بمشيئة مورتيمور...

ورسستر : بكل تأكيد.

هاتسبر : بذمتي، هذا ضرب رائع.

ورسستر : هناك أسباب قاهرة تضطرننا الى الاستعجال. فلنبادر الى انقاذ أرواحنا، ولنرفع رؤوسنا لنرى ماذا جرى. إذ مهما كان وضعنا هزيراً سيظن الملك اننا المستفيدون، وسيرى فينا أشخاصاً غير راضين الى أن يتسنى له ظرف مناسب للبتّ في أمرنا. وهو منذ الآن يصرف النظر عن كل ما فيه لنا بعض الفائدة.

هاتسبر : في الواقع، هذا ما يجري. وأعتقد أننا لن نتأخر عن الانتقام منه.

ورسستر : الوداع، يا ابن أخي... وفي كل هذه القضية، أتبع الخطوات التي تدلك عليها رسائلي. وعندما يحين الأوان، قريباً إن شاء الله، سأمضي سراً الى مقابلة

كلانداور ولورد مورتيمور: حيثُ يجب عليك يا
دوكلاس، كما يتحتم علينا، أن نجتمع فرقنا بشكل
ملائم حسب خطتي لمساندته بكل وسائلنا وقوانا.
وان كانت في الوقت الحاضر غير ثابتة تماماً كما
نشتهي.

نورثمبرلند : الى اللقاء، يا ابن أخي العزيز، انا على يقين بأن التوفيق
حليفنا.

هاتسبر : الوداع، يا عماه. أرجو أن تمرّ الساعات بسرعة حتى
تتردّد أصدااء ضرباتنا وتنهدات أعدائنا في ساحة الوغى
حسب رغباتنا وتمنياتنا.

(يخرجون).

الفصل الثاني

المشهد الأول

وسط باحة نزل في روشستر ليلاً

(بدخل سائق عربة يده فانوس)

السائق الأول: اذا لم تكن الساعة الرابعة اشقوني. فالعربة تقترب
من مكان المدخنة الجديدة، وحصاني لم يُحمّل بعد.
عجل أيها السائس.

السائس (من الداخل): ها أناذا.

السائق الأول: أرجوك، يا طوم، أن تنفض الغبار عن سرج الحصان
« كوت » وأن تضع خرقة تحت قوس السرج خشية
أن يتخذش جلد الحيوان المسكين، عند شدّ القمط.

(بدخل سائق عربة ثانٍ).

السائق الثاني: حبوب البسلي والفلو هي رطبة مثل الدجاجة المبلولة،
والخيول تحتاج الى قليل من العلف الناشف. ما هذه
الفوضى التي تفشت منذ أن مات السائس رويين؟

السائق الأول: مسكين هذا الغلام، لم يلاق لحظة ارتياح منذ أن ارتفع سعر الشعير. ففضى عليه هذا الهمّ الذي تعدّى امكاناته.

السائق الثاني: أعتقد بأن هذا المكان الواقع على طريق لندن أضحى أبشع مرتع للقمل والحشرات، ومن شدة اللسع ظهرت البقع على جلدي كفلوس السمك.

السائق الأول: كفلوس السمك؟ بحق السماء، لم يُلَسَّ أحد أكثر مني منذ صياح الديك أول مرة عند بزوغ الفجر.
السائق الثاني: أليس في هذه الغرف من وعاء ليلي حتى تبوّل على قميصك وتدع الروائح الكريهة تنتشر وتفسح المجال لنفقيس القمل كيض النمل.

السائق الأول: تعال، أيها السائق. هيا تعال.

السائق الثاني: لديّ قطعة لحم وقليل من الزنجبيل، عليّ أن أوصلها الى «شايرين كروس».

السائق الأول: معي ديوك في السلّة، وأخشى أن تموت في داخلها، أيها السائق. ليحصّدك الطاعون. أوليس من عيين في وجهك؟ ألا تسمع أيضاً؟ بات من حقي أن أحطّم رأسك، كأني أشرب جرعة خمرة، فأنا رجل صريح للغاية. تعال، أيها الشقي... أليس لك من ضمير؟

(يدخل كادسهيل).

كادسهيل : نهارك سعيد، أيها السائق. كم الساعة الآن؟

السائق الأول: أظن أنها الثانية.

كادسهيل : أرجوك أن تسمح لي برهة بفانوسك لأرى أين هو حصاني البليد داخل الاسطبل المعتم.

السائق الأول: مهلاً، يا صاح. كن على يقين بأنني أعرف حيلة تساوي اثنتين من هذا النمط.

كادسهيل (للسائق الثاني): أرجوك أن تُعيرني فانوسك.
السائق الثاني: نعم. حاول أن تحزر متى... هل قال: أعيرني فانوسك؟
برني، أفضل قبلاً أن أراك متديلاً من حبل المشنقة.
كادسهيل: يا صاحبي السائق، في أية ساعة تنوي الوصول إلى لندن؟

السائق الثاني: أؤكد لك اني سأصل باكراً جداً، كي أذهب لأنام وييدي شمعة أستير بها. تعال، يا جاري موكس لنوقظ هؤلاء السادة. فإنهم يريدون أن يسافروا معنا، ولديهم كثير من الأمتعة.

(يخرج السائقان).

كادسهيل: أنت، يا غلام...
غلام النزل (وهو يمدم من الداخل): خفيف كسارق كيس النقود
كادسهيل: في الحقيقة، أنت خفيف كغلام النزل. والفرق بينك وبين سارق كيس النقود هو كالفرق بين الأمر والمنفذ.
عليك إذاً أن تعدّ الخطة.

(يدخل غلام النزل).

غلام النزل: نهارك سعيد، يا معلّم كادسهيل. ان ما قلته لك بالأمس، لا يزال معمولاً به. هناك تاجر، أجل هناك تاجر خشب من مقاطعة كنت جلب معه ثلاثمئة مارك ذهباً. وقد سمعته الليلة الماضية يحدث، في موضوع لم أفهمه، أحداً من رفاقه يبدو عليه كأنه محاسب ومعه أيضاً كثير من الأمتعة. ولقد نهضوا من النوم

وطلبوا أن يقدم لهم بيض مقلي لأنهم ينوون السفر بدون تأخير.

كادسهيل : يا صاح، إذا لم يقابلوا موظفي مركز القديس نقولاس فاني مستعد أن أسلم رأسي للقطع.

غلام النزول : لا، أنا لا أريد. أرجوك أن تترك ذاك للجلاّد. لأنني أعرف جيداً انك تهوى القديس نقولاس بمقدار ما يفعل رجل ملحد لا دين له.

كادسهيل : لماذا تكلمني عن الجلاّد؟ اذا كان نصيبي أن أشنق

يوماً، سيكون بصحبتى سرّ جون العجوز. وأنت تعرف أنه هزيل... هناك بعض طروديين لا يفكر أحد بهم،

وعلى سبيل المتعة يتنازلون الى ممارسة هذه المهنة الحقيرة. واذا تفحصنا المسألة عن كتب وجدنا أنهم

رتّبوا الأمور كلها لحسابهم الخاص. انا لست شريك هؤلاء الحفاة وحاملي العصي الذين يرتكبون جريمة

القتل لقاء خمسة فلوس برفقة مُدمنين على شرب الجعة يفاخرون بشواربهم الضخمة، رغم كل ما يبدو من

نبل وهذوء على المسؤولين وأصحاب الأملاك الوافرة والرجال المرموقين المستعدين للضرب أكثر من

الحديث، وللحديث أكثر من الشرب، وللشرب أكثر من الصلاة. مع ذلك أجدهم مخطئين، لأنهم مشغولون

دوماً بالابتهاال الى شفيهم لتأمين الراحة التي يتوقون اليها. هل قلت الابتهاال؟ انا أقصد النهب والسلب،

لأنهم لا ينفكّون يسارعون لملء جزماتهم من الغنائم.

غلام النزول : اذا كانت جزماتهم هكذا ملأى بالأموال العامة، أخشى أن تغوص في أحوال الطرقات لشدة ثقلها.

كادسهيل : أبداً، لأن جزماتهم ملمّعة بصباغ الاعتدال. نحن نسرق

بكل أمان كأننا في حصن حصين. فلنا وسائلنا الحريزة،
ونسير أينما كنّا بدون أن يرانا أحد.
غلام النزّل : أنا أعتقد أن ظلام الليل هو الوسيلة التي تحميهم
وتجعلهم غير منظّورين.
كادسهيل : هات يدك. أقسم لك بشرفي أنك ستال حصتك من
غنائمتنا.
غلام النزّل : لا بل أقسم لي بمهارتك كلص محال.
كادسهيل : هيا، يا صاح، لن نختلف على القاسم المشترك بينك
وبين سائر الخلائق. قل للسائس أن يجلب لي حصاني
الحرون من الاسطبل. وداعاً أيها اللص الظريف.

المشهد الثاني

ليلاً على طريق قرب كادسهيل

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

بوينز : هبّا إلى المطاردة. لقد ابتعدت عن حصان فالستاف،
وهو في حماس غير مألوف.
الأمير هنري : ابتعد من هنا...

(يدخل فالستاف).

فالستاف : بوينز، يا بوينز. أيها الشقي بوينز.
الأمير هنري : اسكت، يا أحمق. ما سبب صراخك هكذا؟
فالستاف : أين بوينز، يا هال؟

الأمير هنري : لقد تسلّق أعلى الهضبة. وأنا ذاهب لآتي به.

(يتظاهر بالذهاب).

فالسّاتاف : اللعنة تلاحقني، لأنني أمارس اللصوصية بصحبة هذا السارق الخبيث. فقد أخذ المحتال جوادي ولست أدري أين ربطه. وأنا تعب جداً بحيث يداهمني اللهاث كلما مشيت مسافة مئة قدم فقط. على كل حال، أخاف أن أموت مئة عادية إذا نجوت من حيل المشنقة عقاباً على قتلي هذا الوغد اللقيم. ها قد مضى عليّ اثنان وعشرون عاماً وأنا أحاول أن أتجنّب هذا الدجال الذي يسحرني بروعة وعوده. ولو لم يدسّ لي هذا اللص مخدراً ليجعلني أحبه، قدّمت عنقي لحبل المشنقة، وإلاّ لما وجدت من تفسير لتعلقي به الى هذا الحدّ. أجل، لا بد أن أكون قد تناولت بعض المخدرات. يا بويتز ويا هال، أتمنى أن يحصدكما الطاعون. وأنت، يا باردولف، ويا بيتو، أرجو أن أهلك جوعاً اذا لم أسرق أحداً على بعد خطوتين من هذا المكان. ولو لم يكن من الصعب عليّ أن أهجر هؤلاء اللصوص، وأن أصبح رجلاً مستقيماً لأنقطعت عن تعاطي الخمرة أيضاً. انا سارق صريح لا أخجل أبداً من مهنتي الوضيعة. وبالنسبة الى حالتي الصحية، أنا أمشي مسافة سبعين ميلاً بهمة كقاطع طريق، كأنها مسافة سبعة أميال فقط. وشذاذ الآفاق هؤلاء أصحاب القلوب المتحجرة يعرفون ذلك جيداً. فتباً لهذه المهنة الحقيرة، اذا لم يتمسك اللصوص ببقية من مروءة أثناء التعامل فيما بينهم. (تُسمع صفير). ها قد حان الوقت.

ليحصلدكم الطاعون جميعاً. أعطوني حصاني، أيها
الأوغاد. هيا اعطوني جوادي، أيها الماكرون.

الأمير هنري : اصمت، يا جبان، واجلس هنا على الأرض، بل ألصق
اذنك بالتراب وانصت لعلك تسمع وقع أقدام المسافرين
المرتقب وصولهم بين لحظة وأخرى.

فالمستاف : هل لديك قضيب قارص لكي تساعدني على النهوض
عندما أنطرح أرضاً؟ أؤكد لك اني لن أعيد الكرة
لمরিغ خدّي في التراب، ولو اعطيتني كل الأموال
النقدية المكذّسة في خزائن والدك الملك. لماذا تطلب
مني أن أتمدّد على الأرض؟

الأمير هنري : أنت مخطئ. أنا لا أريدك أن ترتمي على الأرض،
بل أن تظل واقفاً على رجلك بقامتك الممشوقة.
فالمستاف : أرجوك، أيها الأمير الصالح هال، أن تجد لي حصاني،
يا ابن الملك الكريم.

الأمير هنري : تباً لك من غبي جاهل. هل تظنني سائماً لأهتمّ
بجوادك.

فالمستاف : الأجدرك بك أن تشنق نفسك، يا وريث ربطة الساق
المتعجرف. اذا وقعت يوماً في قبضتك، فانك ستظل
مديناً لي بالتعويض طوال حياتك. ولن أتردد في تأليف
الأغاني والردّات للتنديد بمساوئك، ونشر كلماتها
المزعجة في محيطي. ولتصبح الخمرة التي أشربها
باستمرار سماً ناقعاً، اذا لم أروّج هذه الأغاني وأعظمها
في كل مكان. لأنني فعلاً أحبّ اذاعة مثل هذا التنفيس
الذي يخفّف من استيائي وحقدتي.

كادسهيل : قف عند هذا الحدّ وإلا...

فالسّاف : ها قد توقّفت صاغراً.
 بويتز : هذا عواء كلب صيد يخصنا، وأنا أعرف صوته جيداً.
 باردولف (لكادسهيل) : ما وراءك من الأخبار؟
 كادسهيل : استروا وجوهكم بأقنعتكم. فهذا هوذا خازن مال الملك
 ينحدر على سفح الهضبة قاصداً قصر الملك.
 فالستاف : أنت مخطئ يا غبي. هو ذاهب الى حانة الملك.
 كادسهيل : انتبه. أن ما يحمله من مال يغنيا جميعاً فترة طويلة.
 فالستاف : أجل. ثم يقودنا جميعاً الى جبل المشنقة.
 الأمير هنري : أنتم الأربعة، يا سادتي، ستوقفون مركبه عند الممرّ
 الجبلي. وأنا وادوارد بويتز سنتنظر في مكان أقلّ علواً.
 فان نجوا من مدامتكم حيثنّ تكفّل نحن بهم
 ونباغتهم بانقضاءنا عليهم.
 بيتو : كم يبلغ عددهم؟
 كادسهيل : من ثمانية الى عشرة أشخاص.
 فالستاف : لعمرى، انا أخشى أن يسطوا هم علينا ويسلبونا ما
 معنا. وهكذا ينقلب السحر على الساحر.
 الأمير هنري : تباً للأمير جون « لا بانس » من جبان.
 فالستاف : وهل تظنني جدك البطل جون دي غان؟ لكني مع
 ذلك لست جباناً، يا هال.
 الأمير هنري : عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.
 بويتز : يا صاحبي جاك، حصانك مربوط خلف السياج.
 وعندما تحتاج اليه ما عليك إلا أن تأخذه من هناك.
 الوداع، وكن على أتمّ الاستعداد.
 فالستاف : آه. لو أمكنتني أن أخنقه، عندما أساق الى جبل المشنقة.
 الأمير هنري : أين أدوات تنكرنا، يا ادوارد؟

بوينز : هي هنا الى جانينا. اتبعوني عن كتب.

(ينسحب الأمير هنري وبوينز)

فالسلاف : هيا، يا سادة، أتمنى لكم حظاً موفقاً. ولينصرف كل
منا الى عمله.

(يدخل المسافرون)

المسافر الأول : تعال، يا جار. فالغلام يسوق جياندا الى أسفل
الهضبة. تعالوا نمشي قليلاً لتمرين عضلات أقدامنا.

الصوص : قفوا جميعكم في أمكنتكم.

المسافرون : يا إلهنا، أشفق علينا وارحمننا.

فالسلاف : أضربوهم، انقصوا عليهم، أيها الرفاق، واقطعوا أعناقهم

إذا لزم الأمر. ثباً لكم، أيها الأوغاد، يا أبناء الحرام،

يا أكلة الدهن البلهاء. ثباً لهم من أنذال لأنهم يمتقوننا

الى أقصى حدود الكره. هيا، أيها الشبان، إبطحوهم

أرضاً، وانتزعوا كل ما يحملونه من غالي ونفيس.

المسافر الأول : لقد هلكنا وفقدنا جميع ما معنا.

فالسلاف : هيا الى المشتقة، يا أصحاب البطون المتنفخة. تقولون

انكم هالكون. كلاً، أيها الأشحاء الأغبياء. أتمنى أن

يكون معكم كل ما تملكون من تحف وأموال. هيا،

الى الأمام، أيها الجناء. بماذا تتمتع أيها الأحق؟ ألا

تريد أن يعيش أمثالنا الشبان؟ أنتم حقاً أوزات مُسَمَّنة.

وأنا أوكد لكم اننا سنجرّدكم من كل ما تحملون.

(يأخذ فالسلاف ورفاقه بتجريد المسافرين وسلبهم، ثم يُعلونهم،

وحين يخرجون، يدخل الأمير هنري وبوينز).

الأمير هنري : لقد سلب اللصوص هؤلاء الناس الأشراف. والآن اذا أمكننا، أنا وأنت، أن نسرق اللصوص ونعود مسرورين الى لندن، سيظل هذا الحادث يسلِّنا طوال أسبوع وسنضحك طوال شهر، وننكث على الدوام.

بوينز : لَنَحْذُ قليلاً عن الطريق، لأنني أسمعهم يقتربون منا.

(يدخل اللصوص).

فالسُتاف : هيا، يا سادة، لنقتسم الغنائم، ثم نمتطي جيادنا ونرحل على عجل. فاذا لم يكن الأمير وفالسُتاف من الجبناء المخدوعين، ليس في الدنيا من أثر للعدالة. وأنا على يقين بأن بوينز لا يساوي أكثر من بطّة بريّة.

الأمير هنري (وهو ينقض) : هاتوا ما معكم من نقود أيها الأوغاد. بوينز : يا لكم من حمقى. لماذا لا تمتثلون؟

(وفيما اللصوص لاهون باقتسام الغنائم، ينقض عليهم الأمير وبوينز. وبعد ضربهم بالقضيب مرة أو مرتين، يهرب جميع اللصوص، وكذلك فالسُتاف ويتركون غنائمهم على الأرض).

الأمير هنري : هذه غنيمة باردة حقاً. والآن الى صهوة جيادنا، ولنرحل سريعاً بغاية الفرح والسرور. فقد تشبّت اللصوص بعد أن تملّكهم الفزع الى حدّ أنهم لن يجرؤوا على الاقتراب بعضهم من بعض، لأن كلاً منهم أخذ يعتبر رفيقه من الشرطة. هيا بنا نجد السير، يا ادوارد. فان فالسُتاف يكاد يموت من الهلع، وهو يسقي الأرض بما يتصبّب منه من العرق، ويسرع الخطى هارباً. وأنا أكاد أنفجر من الضحك وأرثي لحاله مشفقاً.

بوينز

: مع أن هذا الأحق، فضلاً عن ذلك، كان يزمرجر
حانقاً بسبب ما فعلناه.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في قصر واكوزث

(يدخل هاتسبر، وهو يقرأ رسالة)

هاتسبر

: « من جهتي، يا مولاي أنا مبتهج جداً لوجودي هنا،
نظراً الى ما أكنّه من المودة لأسرتك الكريمة ». يقول
« أنه مبتهج جداً » فلماذا هو غير موجود هنا؟ ثم
يقول : « نظراً الى ما يكنّه من المودة لأسرتي
الكريمة ». وبذلك يرهن على أنه يحبّ أهراءه أكثر
مما يحبّ أسرتي. لأكمل قراءة الرسالة : « ان
المشروع الذي تريد تحقيقه خطير جداً... » هذا طبعاً
أمر لا شك فيه. هو خطر لأنه سيلتقط عدوى الرشع،
ثم يشرب وينام. لكنني أصرّح لك، أيها المولى الغبي،
انني بسبب هذه الشوكة النابتة من الخطر سنقطف
زهرة السلم والأمان ». يقول ان المشروع الذي أريد
تحقيقه محفوف بالمخاطر، وان الأصحاب الذين
عددت أسماءهم غير أهل للثقة، وان الألوان المحدد
غير ملائم، وكل خطتك خفيفة الوزن لا تعادل ثقل
قوة معارضيتها... » هذا ما تقوله أنت. وأنا أؤكد لك

رداً على تصريحك، انك في الواقع أحمق وجبان
وغليظ الذهن ومنافق. تباً لدماعك المعطوب. إلا أعلم
ان خطيتي ليست أفضل من مشروعك، وان أصدقائي
أمناء وأهل للثقة خلاف ما تظن. وبما أن الخطة نافعة
والأصدقاء أوفياء يمكن الاعتماد عليهم، فهي خطة
ممتازة ما دام الأصحاب المنفذون لا يوجد أشد
إخلاصاً منهم. ليتني أعرف من أية طينة مجبول هذا
الغبي وكيف يتصرف على هواه؟ هل يوافق مولاي
يورك على الخطة المرسومة وعلى سير الأمور بصورة
اجمالية؟ لو كنت بقرب هذا المعنوه لكنت حطمت
رأسه بهذه المروحة النسائية. أوليس من حساب لي
ولأبي ولعمي وللورد إدموند مورتيمور وللورد يورك
وأوين كلاندافور؟ أوليست هناك أيضاً أسرة دوكلاس؟
أوليس بحوزتي تعهد منهم مكتوب بخط يدهم ينص
على أن أنضم اليهم وأحمل السلاح في اليوم التاسع
من الشهر القادم؟ أولم ييادر بعضهم الى السير؟ تباً
لهذا الجاحد الأحمق. تباً له من منافق دجال. سترون
كيف سيذهب هذا الجبان الأرعن الى الملك ومن
جراء وجومه ودنائه، سيكشف له كل مرامينا. كم
أود أن أتمزق إرباً إرباً لأنني تهاونت وعرضت على
هذا الرعديد قضية يمثل هذه الأهمية. انه فعلاً يستحق
الشنق حالاً، اذا باح بكل ما أطلعناه عليه لجلالة الملك.
عليّ أن أكون على أتم الاستعداد لحماية مصالحتي،
وأن أرحل هذا المساء بالذات.

(تدخل السيدة برسي).

هانسبر : ما بك، يا كآيت؟ لا بد لي من مغادرتك بعد ساعتين على الأكثر.

السيدة برسي: سيدي الكريم، لماذا أنت منزوي هكذا؟ ولأي خطأ صدر عني أبعدتني منذ خمسة عشر يوماً عن سريرك، يا عزيزي هاري؟ قل لي يا مولاي الظريف، ماذا حرمك الشهية والبهجة والنوم الهنيء؟ لماذا تُطرق إلى الأرض وترتعش عندما تكون منفرداً؟ ماذا أفقدك نضارة وجنتيك؟ ولماذا حرمت نفسك كنوزي وحرمتي جميع حقوقي عليك، يا حبيبي، ألتسرسل في الأحلام القاتمة والكآبة المضنية؟ أثناء غفواتك الخفيفة، سهرت عليك وسمعتك تتمتم قصص قتال مسلّح وتوجّه تعابير تتعلق بالخيل إلى حصانك الجافل وتصرخ به : « تشبّع وتقدّم ». وتكلّمت عن جولات ومنحدرات وصروح ومدافع وفوهات نار وأسرى دفعت فديتهم وجنود قتلوا، وعن جميع تفاصيل الاشتباكات العنيفة التي خضتها. وهذا دليل واضح على أن تفكيرك قد اشترك في حروب، وتعب أثناء نومك حتى تصبّب العرق من جبينك مثل فقاقيع ماء تحرك بقة. وقد بدت على محياك تشنجات غريبة كالتي نراها على وجوه المقاتلين حين يكتمون أنفاسهم فترة طويلة. فما معنى كل هذه العلامات المقلقة؟ لا بد من تكون، يا سيدي، قد اشتركت في أمور خطيرة، عليّ أن أعرفها وإلاّ كان تكتّمك برهاناً قاطعاً على انك لم تعد تحبني.

(يدخل أحد الخدم).

هاتسبر : أعلمني ان كان جليام قد ذهب مع الجماعة؟
 الخادم : أجل، يا مولاي، منذ ساعة من الزمن.
 هاتسبر : هل أخذ بئتر جواده من مقرّ رجل الأمن؟
 الخادم : أخذ حصاناً منذ لحظة، يا مولاي.
 هاتسبر : أي حصان؟ البتي اللون، أليس كذلك؟
 الخادم : نعم، يا مولاي.
 هاتسبر : هذا الجواد هو شبيه بعرشي. أجل، وسأكون على
 متنه بعد برهة. ما أحلى الأمل. قل لبئتر أن يأخذه
 الى الحديقة.

(يخرج الخادم).

السيدة برسي: اسمع، يا مولاي.
 هاتسبر : ماذا تقولين، يا سيدتي؟
 السيدة برسي: ماذا يبعدك هكذا عني؟
 هاتسبر : جوادي، جوادي الخبيث.
 السيدة برسي: تباً لك، ما أشد هوسك. أراك كثير الاضطراب، ولا
 بد لي من أن أعرف ماذا يشغل بالك، يا عزيزي
 هاري. أجل أريد أن أعرف. اذ اني أخشى أن يتحرك
 أخي مورتي مور لتأمين حقوقه، وأن يرسل في طلبك
 لكي تدعم جهوده. لكن، اذا مضيت...
 هاتسبر : حتى الآن أنوي السير على الأقدام. وهذا يتعني، يا
 حبيبتني.

السيدة برسي: هيا، هيا، يا بيفاء، أجبني رأساً على السؤال الذي
 أوجهه اليك. بذمتي، سأكسر إصبعك الصغير، يا
 هاري، اذا لم تشأ أن توضح لي الحقيقة بكاملها.

هاتسبر : كفى، كفى، يا محتالة. أنت تريدين أن أبقي على حبك. وأنا لم أعد أحبك لأنني لا أريد أن أهتم بك، يا كائت. لقد فات الوقت الذي كنت فيه تتلهين بي كالدمية وترمين شفتيك حنقاً عندما لا أسايرك. انا الآن بحاجة الى من يساعدني بنقوده، لأن المال المبذول هو الذي أحتاج اليه في هذه الأيام... تباً لك، يا حصاني، أين أنت؟... ماذا قلت، يا كائت. ماذا تريدين مني؟

السيدة برسي: هل حقاً لم تعد تحبني؟ ألا تحبني الآن؟ ليكون لك ما تشاء. وبما أنك لا تحبني، أنا لا أريد أن أحب نفسي. ألا تحبني فعلاً؟ قل لي إن كان تصريحك هذا جدّاً أو مزاحاً؟

هاتسبر : هل تريدين أن تشاهدي كيف أمتطي صهوة جوادي؟ عندما أجلس على سرجه سأقسم لك اني أحبك الي الأبد. لكن اسمعيني جيداً، يا كائت. من الآن وصاعداً لا أريد أن تسأليني الى أين أنا ذاهب، ولا أن تناقشيني في هذا الموضوع بتاتا. أنا أذهب حيث يجب علي أن أكون. ختاماً، يتحتم علي أن أغادرك منذ هذا المساء، يا كائت اللطيفة. أنا أعرف جيداً انك حريصة، لكن حريصة فقط كما يسع زوجة هاري برسي أن تكون. أنت قوية ونشيطة، لكنك تظلين امرأة. ومن ناحية أسراري ليس من يكتمها أفضل منك. وأنا واثق بأنك لن تبوحى بما لا تعلمين. إلى هذا الحد البعيد تبلغ ثقتي العمياء بك، من هذا القبيل، يا كائت الحلوة. السيدة برسي: كيف الى هذا الحد؟

هاتسبر : لا أكثر، مطلقاً، ولو قيد أنملة. لكن، أصغي اليّ،

يا كائت. حيث أذهب ستذهين أنت أيضاً. وأنا اليوم
ذاهب، وستلحقين بي غداً. هل أنت مرورة هكذا،
يا حبييتي كائت؟
السيدة برسي: بما أن لا بد من حصول ذلك.
(يخرجان).

المشهد الرابع

في حانة هور بضاحية إيست شيب

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

الأمير هنري : أرجوك، يا ادوارد أن تخرج من هذه الغرفة القذرة،
وان تساعدني كي أضحك قليلاً.
بوينز : أين كنت، يا هال؟
الأمير هنري : مع ثلاثة أو أربعة سخفاء بين ستين أو ثمانين برميلاً.
وقد عزفت على أضخم أوتار الوضاعة. اعلم، يا
صديقي، اني زميل ثلاثي من الفتيان المدمنتين على
أقبية الخمرة. وأستطيع أن أدعوهم بأسمائهم بدون
ألقاب، وهم طوم وديك وفرنسيس الذين يؤكدون لي
منذ الآن، وإن كنت لا أزال ولي العهد أمير وايلس،
بأنني حتماً سأكون ملك الظرفاء. واني لست غراً
نظير فالستاف، بل أشبه أهالي كورنثيا، أي اني فتي
طيب القلب حسن السلوك. وهكذا يجلّني الجميع
منذ الآن. وعندما أصبح ملك انكلترا، سأكون سيّد
جميع حانات إيست شيب. اما تعبيرهم عن شرب
الخمرة جرعة واحدة بدون مزجها بالماء، فهو

« الصباغ الأحمر ». وعندما يتنفس الشارب أثناء تجرّعه الخمرة، يهتف الحاضرون « هم » ويصرون على تجرّع الكأس دفعة واحدة. بالاختصار، أحرزتُ بعضي التقدم في هذا المجال خلال ربع ساعة فقط وبتِ قادراً في الشرب على مجاراة أمهر سكير صادفته في حياتي. أصرّح لك، يا ادوارد، بأن فخراً عظيماً قد فاتك لأنك لم تكن بصحبتني أثناء هذا التمرين الهام. لكن، يا ادوارد الطريف، بغية زيادة تلطيف اسمك المحبب، أعطيك هذا القرن من السكر الذي قدّمه لي خادم فني لم يردّد في حياته عبارة أكثر من هذه : اعطني ثمانية شلنات ونصف لأرحب بك أجمل ترحيب. ويضيف هاتفاً : بعد لحظة، يا سيدي، بعد لحظة فقط. هيّا، صبّ كأساً من الخمرة الحلوة وأجلبها الى هنا. وفي هذه الأثناء، لتمضية الوقت ريثما يصل فالستاف، أرجوك أن تظلّ الى جانبي. وسأسأل هذا الغلام المغرور، لماذا أعطاني هذا القرن من السكر. وأنت ستنادي فرنسيس بشكل يجعل استدعائي إياه يستمرّ جوابه هاتفاً : « بعد لحظة ». تقدّم الى هنا لأعلّمك الطريقة الواجب اتباعها.

بوينر (ينادي) : فرنسيس.

الأمير هنري : أنت هائل.

بوينر (ينادي) : فرنسيس.

(يخرج)

(يدخل فرنسيس).

فرنسيس : لحظة، لحظة يا سيدي... أنظر الى تلك الجهة، يا رالف.

الأمير هنري : تعال، الى هنا، يا فرنسيس.

فرنسيس : مولاي.

الأمير هنري : كم من الوقت عليك أن تخدم هنا بعد الآن، يا فرنسيس؟

فرنسيس : خمسة أعوام على ما أظن، وربما أكثر.

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس.

فرنسيس : لحظة، لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : خمسة أعوام، لعمرى، هذا ارتباط طويل الأمد للخدمة في هذه الحانة. هل تجرؤ على فسخ الاتفاق، يا فرنسيس، وعلى الهرب فوراً؟!

فرنسيس : هذا صعب التحقيق، يا مولاي.. لكنني أقسم لك، وأنا أضع يدي على جميع الكتب المقدسة في انكلترا، اني أجرؤ...

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس.

فرنسيس : لحظة، لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : ما هو عمرك يا فرنسيس؟

فرنسيس : ربما... في عيد القديس ميخائيل القادم أبلغ...

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، يا فرنسيس.

فرنسيس : قلت لك، يا سيدي، بعد لحظة واحدة فقط... أرجوك أن تنتظرنى قليلاً يا مولاي.

الأمير هنري : لا، لا. إسمع، يا فرنسيس. إن ثمن قرن السكر هذا الذي أعطيتني اياه هو فلس واحد، أليس كذلك؟

فرنسيس : كم تمنيت لو كان فيه مرتين ما يحويه.

الأمير هنري : أريد أن أدفع لك مقابله ألف ليرة. أطلبها مني متى شئت، وستألفها.

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، أين أنت؟
فرنسيس : لحظة واحدة، وأتي اليك.
الأمير هنري : بعد لحظة، يا فرنسيس، لا، لا، يا فرنسيس، بل غداً
يا فرنسيس، أو يوم الخميس، يا فرنسيس، أو بالحري
عندما تريد، يا فرنسيس...

فرنسيس : مولاي.
الأمير هنري : هل توافق علي سرقة إنسان يرتدي ستره من الجلد
وأزراها من بلور، وفي اصبعه خاتم من العقيق، وفي
رجليه جوارب وحذاء أسود، وكلامه معسول، ولهجة
إنسانية؟

فرنسيس : ماذا تقصد أن تقول، يا مولاي؟
الأمير هنري : أرى ان مشروبك هو من الخمرة الرخيصة. حذارٍ
أن توشح رداءك الأبيض، يا فرنسيس. ففي بلاد البربر،
لن يكون سعره أعلى من هنا.

فرنسيس : ماذا تقول، يا مولاي؟
بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، يا فرنسيس.
الأمير هنري : إذهب، يا مغفل. ألا تسمعه يناديك بالإحاح.

(في هذه اللحظة ينادي الأمير وبوينز فرنسيس في آن واحد.
فيقف الغلام مشدوهاً لا يدري أين يذهب).
(يدخل صاحب الحانة).

صاحب الحانة : ما هذا؟ أراك تظلّ جامداً عندما تسمعني اناديك
هكذا باستمرار. هيا إلى العمل هناك. (يخرج فرنسيس)

مولاي، ان سرّ جون وبضعة أشخاص غيره هم بالباب،
فهل تريد أن أدخلهم؟

الأمير هنري : دعهم ينتظرون برهة، ثم افتح لهم الباب (يخرج صاحب
الحانة). يا بوينز.

بوينز (راجعاً) : لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : يا صديقي، ها هو فالستاف وزمرته من اللصوص،
ينتظرون بالباب. فهل هذا يسرنا؟

بوينز : أجل نحن في غاية السرور، كالتريز الذي يقضي أوقاته
في الانشاد، يا صاح. لكن، قل لي ما هذا المزاح
المزعج الذي شغلك برهة مع الغلام؟ وماذا أفادك؟
الأمير هنري : لقد أبدى هذا المزاح لأجل المزاح فقط. وهذا شأن
الإنسان منذ عهد آدم الى يومنا هذا، بل الى هذه
الساعة حول منتصف الليل.

(يعود فرنسيس حاملاً خمرة).
الأمير هنري : كم هي الساعة الآن، يا فرنسيس؟
فرنسيس : لحظة، يا سيدي، لحظة.

الأمير هنري : هذا الغلام يثرثر أكثر من البيغاء، وإن كان ابن امرأة،
وظيفته الصعود والنزول على الأدراج، ومعلوماته
تنحصر في مجموع ثمن ما يستهلكه الزبائن من
المشروبات. انا لا يسعني ان أحذو حذو برسي في
المزاجية ولا هاتسبر الشمالي الذي يقتل ستين أو سبعين
اسكتلندياً أثناء تناوله طعام الافطار، ثم يغسل يديه
ويقول لزوجته : تباً لهذه الحياة الهادئة التي لا أجد
فيها ما يشغلني جدّاً. فتجيبه : يا عزيزي هاري، كم
رجلاً قتلت اليوم؟ فيصيح : اسقوا حصاني البتي. وبعد
مرور ساعة من الزمن يجيب : « حوالي أربعة عشر،

وهذا عدد زهيد، زهيد جداً. أرجوك أن تدخل
فالتناف. سأقوم مقام برسي، وهذا الخنزير اللعين
سيقوم مقام زوجته السيدة مورتيمور. فقال السكران :
أدخل صاحب البطن المنفوخ المحشي ذهباً.

(يدخل فالتناف وكادسهيل وباردولف وبيثو).

بوينز : السلام عليك، يا جاك. أين كنت؟

فالتناف : تباً لكل الجبناء. ليذهبوا الي الجحيم، آمين. اعطني
كأس خمرة يا غلام. وبدلاً من مواصلة هذه الحياة
الرتيبة المملة، أرى أن الأجدر بين أن أرفو الجوارب
وأرقعها ثم أدوسها بقدمي. حصد الطاعون كل الجبناء.
اعطني كأس خمرة، يا غبي. أولم يبقَ من أثر للفضيلة
على وجه الأرض؟.

(يشرب).

الأمير هنري : هل رأيت في حياتك الإله فابوس يداعب كتلة من
الشحم تحت أشعة الشمس الحارة؟ إن رأيت هذا
المشهد، أنظرْ اذاً الى هذا الرجل البدين العجيب.

(يشير الى فالتناف).

فالتناف : يا أحمق، تبدو هذه الخمرة كأنها تحوي كلساً. هكذا
الرجل الخيث لا بد من أن ينضج بما في داخله
من القبايح، مع ان الجبان هو أبشع من كأس الخمرة
التي تحوي الكلس، أيها الفشاش. أكمل طريقك، يا
جاك العجوز، ومُتْ إن شئت. وإذا لم تنقرض الرجولة

الحقيقية عن وجه الأرض، أكون أنا كالسمك المجفف المدخن. ليس في انكلترا إلا ثلاثة رجال نجوا من جبل المشقة أحدهم بدين مسن. كان الله في عوننا، وسط هذا العالم السافل. كم أودّ أن أكون مرتناً لأنشد لك المزامير أو غيرها من المراثي. مرة أخرى، تباً لكل جبان حقير.

الأمير هنري : ماذا تغفم، يا كتلة الشحم والدهن؟

فالسفاح : يا ابن الملك، اذا لم اطرّدك من مملكتك بسيف من خشب لا من فولاذ، ولم أطرّد رعاياك أمامك نظير قطيع من الأوز البرّي، لن أدع شعرة واحدة تنبت في ذقتي، يا أمير وايلس.

الأمير هنري : ماذا تقول، أيها اللقيط، يا كتلة الشحم البشري، ما الأمر؟

فالسفاح : إن لم تكن جباناً، أجب على سؤالي. وأنت أيضاً، يا بوينز.

بوينز : يا كيس الثبن، اذا دعوتني جباناً، سأطعنك بخنجري.

فالسفاح : انا تدعوني جباناً؟ سألّعنك قبل أن تعتبرني هكذا. غير اني أمتح ألف ليرة لكي أتمكن من الركض بمثل سرعتك الفائقة في الهرب، يا صاحب الأكشاف العريضة. أما أنت فالأمر لا يهملك كثيراً وما عليك إلا أن تولينا ظهرك. هل تعتبر عملك هذا تكاتفاً مع أصدقائك؟ تباً لهذا التضامن المبتور. كلمني عن يجسر على مجابهتي. هات كأساً من الخمرة... كي أتغايى عندما أشرب في هذا النهار.

الأمير هنري : أيها الشقي، أنت تكاد تسمح شفيتك بعد أول جرعة شراب.

فالستاف : هذا لا يهم. مرة أخرى أقول : تباً لكل الجبناء.
(يشرب).

الأمير هنري : ما الخبر؟
فالستاف : أتسألني ما الخبر؟ ها نحن الآن أربعة، قبض كل منا الف ليرة، هذا الصباح

الأمير هنري : أين هي هذه الليرات، يا جاك، أين هي؟
فالستاف : أين هي؟ لقد إنتزعت منا، اذ كنّا أربعة مساكين مقابل مئة مهاجم.

الأمير هنري : كيف تقول مئة، يا عزيزي؟
فالستاف : أكون غيباً، ان لم أجابه بسيفي عشرة منهم مدة ساعتين. لقد نجوت أنا بأعجوبة، إذ تلقيت ثماني جزمات على سروالي الأرجواني، وأربعاً على جنبي، وثقب ترسي من طرف الى آخر، وتلّم سيفي وأصبح في يدي كالمنشار. وها هو البرهان القاطع، على ما انتابني من الغضب هكذا منذ أن أصبحت رجلاً. وكل ما فعلته لم يأتِ بأية فائدة. اكرّر قولِي تباً لكل جبان. دعهم يتجحّون. وإذا أصرّوا على تجاهل الحقيقة بشكل من الأشكال يظلّون أشراراً، وأبناء الظلام الحالك السواد يُدعون.

الأمير هنري : تكلموا، يا سادتي، وأخبروني عن كل ما جرى.
كادسهيل : وقفنا نحن الأربعة تقريباً في...
فالستاف : كانوا ستة على الأقل، يا مولاي.
كادسهيل : وقد تغلبنا عليهم.

بيتو : لا، لا، هم تغلبوا علينا.
فالسّاف : يا دجّال، بل جميعهم كانوا المغلوبين، بدون استثناء.
والأ كنت أنا أجبن الجبناء.
كادسهيل : وعندما أردنا أن نقتسم الغنيمة، انقضّ علينا ستة أو سبعة غيرهم.

الأمير هنري : ماذا تقول؟ هل تشاجرتم واياهم كلهم؟
فالسّاف : كلهم؟ لست أدري ما تقصد بكلمة كلهم؟ إذا لم اقاتل خمسين، أكون كباقة الفجل. وان لم يكونوا اثنين وخمسين أو ثلاثة وخمسين، مقابل المسكين جاك العجوز، لا أكون مخلوقاً أمشي على رجلين.
الأمير هنري : أسأل الله أن لا تكون قد قطعت رأس أحد.
فالسّاف : الصلاة لم يعد لها أي مفعول في هذه الأيام، لأنني طعنت شخصين بخنجري. أجل، سدّدت أيضاً حسامي الى اثنين من الأغبياء. أتريد أن أقول لك، يا هال، إن كذبت عليك، أبصق في وجهي، وادعني حماراً أحمر. أنت تعرف قصتي القديمة. وها هوذا وضعي الحاضر. وأنا أشهر نصلتي، إنقضّ عليّ أربعة من هؤلاء الأوغاد.

الأمير هنري : كيف أصبحوا أربعة، وقد ذكرت منذ لحظة انهما كانا اثنين فقط؟

فالسّاف : لقد قلت أربعة، أجل أربعة.
بوينز : نعم، نعم، قال أربعة.
فالسّاف : وقد هاجمنا الأربعة مواجهةً، واجتمع الأربعة لمقاتلتي أنا، في آن واحد. وبدون أن يرف لي جفن صددت سيوفهم السبعة بترسي هكذا.

الأمير هنري : سبعة؟ ولكن منذ لحظة أكّدت أنهم كانوا أربعة.

فالسّاف : أجل، أجل.
بوينز : أجل أربعة، منهم...
فالسّاف : بل سبعة، تلقّيتهم بهذه القبضة، وإلاّ، أكون دجالاً
منافقاً.

الأمير هنري (لبوينز) : أرجوك أن تتركه يدّعي ما يشاء. سنناقش
الموضوع فيما بعد.

فالسّاف : هل تسمعي، يا هال؟
الأمير هنري : إنني أسمعك جيداً، يا جاك.
فالسّاف : انتبه إذا، لأن القضية تستحقّ الاهتمام. فالتسعة الذين
كلمتك عنهم...

الأمير هنري : ها قد زاد عددهم اثنين.
فالسّاف : بعد ان استلّوا سيوفهم..
بوينز : فقدوا سراويلهم.
فالسّاف : وبادروا الى الهرب. فلحقت بهم عن كنب وهاجمتهم
عن قرب، وبلّغ البصر صفّيت حسايي مع سبعة من
الأحد عشر مهاجماً.

الأمير هنري : ما هذه المبالغة الهائلة؟ فمن مهاجمين اثنين، كيف
أصبحوا أحد عشر مقاتلاً؟

فالسّاف : أجل، كما لو كان الشيطان قد تدخّل في الأمر. فثلاثة
منهم أوغاد وثلاثة أنزال، وكلهم بملابس خضراء أقبلوا
عليّ من خلف ظهري، وهاجموني في حلك الليل
الدامس، يا هال. بحيث إن رفعت يدك لا تبصرها
من شدة الظلام.

الأمير هنري : هذه الأكاذيب شبيهة بمن يستبطنها، فهي ضخمة
كالجبال، ووقحة كالعاهرات، وملموسة كيدك
المرتجفة. تباً لك، يا صاحب الدماغ المتحجّر والرأس

المحشو نخالة، يا ابن الحرام الدنيء، يا كتلة الدهن
المرهّل.

فالمستاف : اتعنتني بكل هذه الأوصاف؟ هل جنت كي لا تصدّق
الحقيقة الناصعة؟

الأمير هنري : أخبرني كيف عرفت انهم يرتدون ملابس خضراء،
وأنت تؤكد أن الظلام كان فاحم السواد الى درجة
أنك لا ترى يدك اذا رفعتها في الهواء. هيا قدّم لي
أي اثبات علي صحة كلامك.

بوينز : هيا قدم برهاناً، يا جاك، أي برهان.
فالمستاف : أتريدني أن أقدم البرهان مرغماً؟ لا، لا. حتى عندما
أسام كل عذابات الدنيا، لن أناقض ما قد أعلنته. أتودّ
حقاً أن أقدم لك برهاناً وأنا مرغم. لا، لا. بينما
البراهين عديدة كثمار الثوت على أغصان الشجر. أنا
غير مستعد أن أقدم أي برهان بالغصب.

الأمير هنري : وأنا لا أريد أن أكون شريكك في هذا الكذب
المفضوح أكثر مما فعلت لأن هذا الجبان الوقح،
هذا المتسلل كاللص الى سرير مدّعي الصدق، هذا
المنافق المحتال، هذا الجبل من الشحم واللحم...
فالمستاف : قف عند حدّك، يا من تموت من الجوع، يا صاحب
الجلد الأجرب، يا لسان العجل المجفف، يا رأس
الثور، يا كومة النفايات... ليت لساني يسعفني لأعدّد
لك كل قبائحك التي لا تحصى.

الأمير هنري : هيا استرجع أنفاسك، ثم كرّر أقوالك السخيفة. وعندما
تتعب من تعداد أوصافك البذيئة، دعني أصارحك بكلمة
تستحقّها.

بوينز : اسمع، يا جاك.

الأمير هنري : كلانا رأينا، حين وقفنا نحن الأربعة على أربعة رجال، كيف سلبتموهم واستوليتم على ما معهم... اسمعوا الآن هذه القصة الطريفة التي ستخجلكم... اذا كلانا وقفنا عليكم أنتم الأربعة، وبكلمة وجيزة جعلناكم تتخلّون عما جمعتم من غنائم واستأثرنا بها بشكل يمكننا من أن نريكم اياها ها هنا. أما أنت، يا فالستاف، فقد نقلت ما يخصك بخفة وسرعة ومهارة منقطعة النظير. وبينما كنت تركض، صرخت : العفو. كأنك عجل يجار خائفاً وهو يقاد الى المسلخ للذبح. ما أنعسك من ضارب بالسيف ثلّمته قلّة براعتك وادّعت انه أصبح هكذا نتيجة مقارعتك أعدائك في ساحة القتال. ما أمهرك بالتهرّب من مسؤولياتك، فأني عذر تقدّم الآن وأنت غارق في مأزق عويص من الجهل والفوضى؟

بوينز : هيا، نحن كلنا آذان صاغية لسماحك، يا جاك. فأني عذر لديك بعد الآن.

فالستاف : أنا أعرفك حق المعرفة نظير أهلك الذين ربّوك. أصغوا اليّ، يا سادتي. هل كان عليّ أن أقتل الوريث المرتقب وهل كان عليّ أن أتاّمر على الأمير الشرعي؟ أنت تعلم اني باسل كالجبار هرقل. ولكن لاحظ ردّة فعل الغريزة : ملك الوحوش لا يهاجم أبداً أميراً أصيلاً. أنا من طبعي أن أجبني، ولن تخامرني فكرة الشجاعة بالنسبة اليّ واليك طوال حياتي. طبعاً بالنسبة اليّ أن أتشبّه بملك الوحوش الشجاع وبالنسبة اليك كأمر أصيل. غير اني مسرور، يا فتيان، لأنكم تحتفظون ببعض المال. فيا مضيفتي العزيزة وأنت تنتظريني عند

الباب، اسهري الليلة وصلي غداً. أنتم لصوص شيان
خبرتكم قليلة، لكنكم كالأولاد قلوبكم طيبة. ويسعكم
أن تتمتعوا بجميع خصال الأصدقاء المخلصين. أولاً
يحق لنا إذاً أن نسلّي بمشاهدة مهزلة مرتجلة؟

الأمير هنري : انا موافق، وهربك سيكون موضوع هذه المهزلة
الغريبة.

فالتاف : لا تتكلّم هكذا، يا هال، اذا كنت فعلاً تحبني.

(تدخل المضيفة).

المضيفة : يا الهي، هذا مولاي الأمير.

الأمير هنري : اذاً، يا سيدتي المضيفة، ماذا تريدن أن تقولي لي؟

المضيفة : أرجوك أن تعلم، يا مولاي، ان بالباب احد نبلاء البلاط

يوّد أن يتحدّث اليك، ويقول انه قادم من قبل والدك.

الأمير هنري : اعطي هذا النبيل قطعة نقود من فئة كورون، وارسله

الى والدتي...

فالتاف : الى أي نوع من الأشخاص ينتمي ؟

المضيفة : هو رجل مسنّ.

فالتاف : وماذا يفعل سيادته خارج سريره عند منتصف الليل؟

هل أرّد عليه بالجواب اللازم؟

الأمير هنري : أجل، أرجوك أن تفعل، يا جاك.

فالتاف : اذاً سأصرفه.

(يخرج).

الأمير هنري : بحق سيدتنا، يا معلمي، أقرّ وأعترف بأنك قاتلت

بشجاعة مشهودة، وأنت كذلك، يا بيتو، وأنت أيضاً،

يا باردولف. ومع أنكم شجعان، قد هربتم بدافع

الغريزة، لأنكم لا تودّون أن تمسّوا الأمير الشرعي بسوء. لذا أقول تبّاً لكم.

باردولف : بذمتي، أنا ركضت عندما شاهدت الآخرين يركضون.
الأمير هنري : قل لي الآن جدّاً كيف أصابت الثلوم سيف فالستاف؟
بيتو : لقد ثلّمها عمداً بخنجره، وأكّد لي انه سيبذل كل ما بوسعه، ويقسم بشرف انكلترا كي يقنعكم بأن ذلك حصل أثناء اشتراكه في القتال. ثم أوصانا بأن نفعل مثله.

باردولف : وطلب منا أيضاً أن نفرك أنوفنا ببعض الشوك لتخديشها وتلويثها بالدم، وأن نقسم ان هذا الدم سال في سياق المعركة بشكل يشرف الرجال. وقد تصرّفت كما لم أنصّر منذ سبعة أعوام، وخجلت من هذه الخدعات الشيطانية.

الأمير هنري : أيها الشقي، منذ ثمانية عشر عاماً، تناولت بالخفية كأساً من الخمرة وقد فوجئت وأنت تشربها. ومنذ ذلك الحين لم ينقطع وجهك عن الاحمرار غير المقصود. يوم ذاك كنت مسلّحاً بالحديد والنار، ومع ذلك ولّيت هارباً. فأية غريزة دفعتك الى الفرار؟
باردولف (يشير الى وجهه الأحمر) : يا مولاي، هل تصدّق ان هذه الظواهر ناجمة عن الانفجارات؟
الأمير هنري : نعم.

باردولف : وعلام يدل ذلك، يا ترى؟
الأمير هنري : على ايمان حارّ وكيس يغصّ بالنقود.
باردولف : وعلى احتقان الكبد، يا مولاي، حسب رأي العارفين.

الأمير هنري : كلا، بل في نظر من يعرفك، ومن يتوقع لك اقتراب
جبل المشقة من عنقك.

(يدخل فالستاف)

الأمير هنري (بواصل كلامه) : ها قد أتى جاك الهزيل الشبيه بالهيكل
العظمي. فيا أيها المخلوق اللطيف السخيف، منذ كم
من الوقت، يا جاك، نظرت الى ركبتك؟

فالستاف : ركبتى أنا؟ عندما كنت في مثل عمرك، يا هال. وكنت
أنا رشيقي القدر ربيعاً كمخلب الهر، وكنت أنت تسأل
من خلال خاتم يوضع عادةً في الابهام. نبأً للآهات
والأحزان، كم تنفخ الانسان وتجعله ككرة الثلج
المتدحرجة المتضخمة. هناك شائعات بذيقة تنتشر عن
سرّ جون برسي الذي جاء من قِبل والدك. لذا يجب
عليك أن تذهب الى القصر غداً صباحاً. لأن هذا
الخالى من الدماغ يرسي، وهذا القادم من مقاطعة
وايلس الذي ضرب ابليس بالسياط، وخدع
لوسيفوروس وأجبر زمرة الشياطين على أن يقسموا
له أغلظ الأيمان... لست أدري كيف تدعو ذلك
الوحش...

بوينز : تقصد كلانداور.

فالستاف : أوين، أجل أوين بالذات، وزوج شقيقته مورتيمور،
والعجوز نورثمبرلند، وهذا الاسكتلندي، أعني أنشط
اسكتلندي، يُدعى دوكلاس ويسرع على جواده الى
أعلى الهضبة كلمح البصر.

الأمير هنري : ويهاجم على جواده وهو ينهب الأرض نهباً، ويقتل
بغذارته عصفوراً دورياً وهو طائر في الجو.

فالسّاف : حقاً أصبت الهدف في صميمه.
الأمير هنري : وهو لم يصب يوماً أي عصفور.
فالسّاف : أجل، هذا الوغد بارع، لكنه لا يستطيع الهرب.
الأمير هنري : ولماذا، يا غبي، تمتدحه على سرعته في الجري هكذا؟
فالسّاف : انه سريع فقط على متن حصانه، يا مغفل. لكنه على قدميه لا يقوى على التحرك قيد خطوة واحدة.
الأمير هنري : انه يتصرف على هذا النحو بالغريزة، يا جاك.
فالسّاف : انا لا أخالف رأيك انه يتصرف حسب غريزته. وهو يشبه هكذا شخصاً يدعى مرداك، والفاً من الاسكتلنديين. لقد هرب ورُسستر هذه الليلة. وهذا النبا قد شَيّب لحية أليك، لذلك يمكنك الآن أن تشتري الأراضي العديدة بأسعار زهيدة كأنك تشتري سمكاً رخيص الصنف.
الأمير هنري : على الأرجح، اذا كان شهر حزيران حاراً، واذا دامت هذه المزاحمة المدنيّة، يسعنا أن نشترى بكارات العذارى كأنا نبتاع كمّيّة مسامير غليظة بالمئة قطعة.
فالسّاف : بدمتي، أنت تقول الحقيقة، يا فتى. ولا يُستبعد أن تعقد صفقات رابحة في هذا الباب. لكن، أخبرني، يا هال، أولست خائفاً من الإقدام على ذلك؟ وبصفتك كوريت مرتقب، هل يسع العالم أن يتحفك بثلاثة أخصام كهذا الشيطان دوكلاس وهذا المهرج برسي وهذا الوحش الضاري كلانداور؟ في الحقيقة، ألسنت خائفاً؟ أولاً ترتجف هلعاً أمام هذا الواقع الرهيب؟
الأمير هنري : كلاً ثم كلاً. أقسم لك اني بحاجة الى مثل غريزتك المستهترّة كي لا أبالي بأي حدث.
فالسّاف : لكن التهديد سينهال عليك غداً عندما تمثّل أمام والدك.

انا متعجب ليس فقط من الأمكنة التي ترتادها بل
 من المجتمع المحيط بك. فبعكس نبتة البابونج التي
 تجود كلما أمعن الناس في دوسها، هكذا نلاحظ ان
 الشباب كلما ذهب هدراً لزداد هزالاً وخارت عزيمته.
 ولكي أوقن تماماً بأنك ولدي، سأستند الي تأكيدات
 أمك والى نظرتي الشخصية بنوع خاص. لكن بصورة
 أكيدة، أتكل على غمرة عينيك وعلى انخفاض شفتك
 السفلى. فاذا كنت حقاً ابني، ازداد عتبي عليك. لماذا،
 وأنت ولدي، تتصرف بشكل يدع الشامتين يدلون
 عليك بالأصبع؟ هل يجوز أن أشاهد ابن السماء
 المشرق المحيا يهرب من المدرسة لكي يذهب الي
 البرية ويأكل الفواكه الرديئة هناك؟ هذا ليس سؤالاً
 يطرح على أمثالك. وهل يعقل أن نرى ابن انكلترا
 يمسي سارقاً يسلب الناس اكياس نقودهم. هذه هي
 المعضلة المعية. هناك أمور، يا هاري، طالما سمعت
 شتى الانتقادات عنها وأضحى عدد كبير من أهالي
 بلادنا يعرفونها باسم « الزفت الأسود ». وهذا الزفت
 بحسب تقارير الكتاب القدماء، قصصه قاتمة للغاية
 كلونه الأسود. هكذا هو المجتمع الذي تعاشره. فالآن،
 يا هاري، تجدني أكلمك والدمع يجول في عيني،
 وأنا فريسة اللوعة والأسى، لأنني غارق في لجج اليأس
 لا في بحر الابتهاج. تؤلمني الجراح العميقة لا
 الكلمات الفارغة التي لا يُعول عليها... مع ذلك هناك
 رجل فاضل لاحظت وجوده في صحبتك بدون أن
 أعرف اسمه.
 الأمير هنري: أي نوع من الأشخاص هو؟ أرجوك أن توضح لي
 يا صاحب الجلالة.

فالسّاف : هو رجل أتقى الهندام، بدين مرح زاهي النظرة نبيل
التصرف، متقدم في السنّ تخطّى الخمسين من العمر
على ما أظن أو هو في حدود الستين. تذكرت الآن
ان اسمه فالسّاف. فإن بدا عليه انه مستهتر، فمظهره
هذا خدّاع. لأنني، يا هاري، أقرأ عنوان الفضيلة في
عينه. وإذا كانت الشجرة تعرف من ثمرتها، والثمرة
من شجرتها، فاني أعلن بكل ثقة ان هذا المدعو
فالسّاف ينطوي على العديد من المزايا والخصال
الحميدة. عليك اذاً أن تتشبّث بي وتطرّد من حولك
كل انسان سواي. والآن قل لي، أيها الولد الخبيث،
أين كنت متوارياً طوال الشهر الحالي؟

الأمير هنري : هل هذا حديث ملوك؟ ضع ذاتك في مكاني، ودعني
أتملّ دور والذي.

فالسّاف : هل تنوي خلعي عن العرش؟ أؤكد لك انك لا تملك
سوي نصف هيتي ووقاري، قولاً وفعلاً. وإلا قبلتُ
أن أشتق من رجليّ كأرنب بيتي صغير أو أرنب برّي
كبير عند بائع طرائد الصيد.

الأمير هنري (بأخذ مكان فالسّاف) : ها أنا ذا قد جلست في مكاني.
فالسّاف : وها أنا قد وقفت أمامك، فاحكم عليّ أيها القاضي
العادل.

الأمير هنري : من أين أنت قادم، يا هاري.
فالسّاف : من ضاحية إيست شيب، يا مولاي النبيل.
الأمير هنري : لا يغرب عن بالك ان الشكاوى التي أتلقها عليك
عديدة خطيرة.

فالسّاف : صدقني، يا مولاي، انها كلها كاذبة. وأنت تعرف
مدى استقامتي حيال أمير شابّ نظيرك.

الملك هنري: هل تقسم على ذلك، أيها الولد العاق؟ من الآن وصاعداً أحرم عليك أن ترفع عينيك أمامي. لأنك خسرت. كل عطفي ومودتي بسبب الشيطان الذي يسكن في قلبك أيها البدين المسن، ما دمت شبيه برميل بشري. لماذا تحوي كل هذا المخزون من المزاجات الغريبة، ومن البهيمة المكبوتة في داخلك، ومن الرياء المتغلغل الى أعماق صدرك الموغر حقداً، وهذا الكرش المنفوخ في بطنك، وهذا الدنّ المملوء خمر، وهذه الرذائل والمهازل والأباطيل الباهتة التي تطفئ على تفكيرك المضطرب؟ ما فائدة تذوق المشروب وابتلاعه جرعات كبيرة متتابعة؟ أجل ما فائدة تكديس كل هذه المآكل الدسمة وازدراؤها بجشع لا يدرك الشبع؟ هل تعتبر براعة ومهارة ما تغدقه من التلاعب والخداع والابتذال، أيها الوغد اللثيم. قل لي برلك، ما قيمة كل هذه الاستهتارات الدنيئة؟

فالسفاح : ألتمس من سموك أن تأذن لي بمرافقتك. فبماذا تريد أن تحدثني يا صاحب السيادة؟

الأمير هنري : في موضوع هذا الغبي الشرير مفسد الشبهة فالسفاح، أيها الشيطان العجوز الشائب.

فالسفاح : إن قلت إنني أعرف سيطاتي أكثر مما أعرف حسناتي أكون صرحت بأكثر مما أدري. أمّا ان أكون متقدماً في السن، وهذا لا شك فيه، فان شعري الأبيض أصدق برهان على صحة كلامي. لكن أن أكون قوّاداً، مع شدة ما أحفظه من احترام لمقامك الرفيع، فأنا أنفي هذا الادعاء نفياً قاطعاً جازماً. وإن كان شرب الخمر

وأكل السكاكر من الجرائم، فاني استنزل رحمة الله على المذنبين. وإن كانت الشيوخوخة والمرح من الخطايا فاني أعرف عدداً من الضيوف المسنين الذين يستحقون اللعنة، وإن كان الانسان البدين مكروهاً، وجب علينا أن نذم عجول فرعون الهزيمة. لا، لا، يا مولاي الكريم، اطرده عنك بيتو وباردولف ويوينز، ولكن لا تبعطني عنك أنا خادمك المتواضع جاك فالستاف. لأنني الشخص الجريء الوفي الذي يكن لك كل الولاء الخالص، يا مولاي الحبيب هالي. وإبعادي عنك، أنا جاك الظريف، يعني إبعاد كل الناس الصالحين عن محيطك.

الأمير هنري : أنا أودّ إبعادك، ولكنني أصبر على بقائك بقربي.
(يُطرق الباب. تخرج المضيضة بصحبة فرنسيس وباردولف).
(يدخل باردولف ثانية وهو يركض).
باردولف : مولاي، مولاي، رجل الأمن واقف بالباب، ومعه ثلثة من الحرس الرهيب.
فالستاف : اليك عني، أيها الغبي.
(تدخل المضيضة ثانية باستعجال).

المضيضة : يا الهي، انتبه، يا مولاي.
فالستاف : حذار، فأبليس يركض مسرعاً على صهوة جواده فوق قوس آلة الكمان الموسيقية. فما الخير؟
المضيضة : رجل الأمن مع حرسه بكامله ينتظرون عند الباب. وقد جاؤوا لتفتيش المنزل. فهل عليّ أن أدعهم يدخلون.

(يشير الأمير بيده بالقبول).

فالستاف : هل سمعت، يا هال؟ عليك أن لا ترضى بقبض قطعة
عملة مزيفة كأنها ليرة ذهباً. وإلا كنت أكبر المغفلين
بدون أن تدري.

الأمير هنري : أنت أكبر الجبناء بالغريرة.

فالستاف : انا أنكر أهمّ بوادر صداقتك اذا رفضت استقبال رجل
الأمن كما يجب. وإلا، دعه يدخل حالاً. وان لم
أكن فظناً حاضراً ذهن كغيري فتباً لتربيتي الفاشلة.
وإذا كان الأمر كذلك فأنا أتمنى أن أعلق بحبل المشقة
سريعاً نظير سواي من المغرورين السذج.

الأمير هنري : اذهب واختبئ خلف الجدران، وليصعد الآخرون الى
الطابق العلوي. آه، يا سادتي، كل الأمور تهون التضحية
بها لصيانة الشهامة والضمير الحي.

فالستاف : أنا كنت متشبهاً بكليهما. لكن أيامهما دالت، ولذلك
تراني أتواري.

(الجميع يمشون ما عدا الأمير وبوينز).

الأمير هنري : أَدْخِلْ رجل الأمن.

(يدخل رجل الأمن وسائق العربة).

الأمير هنري (بواصل كلامه) : ماذا تريد مني، يا رجل الأمن؟
رجل الأمن : أولاً، أعذرني، يا مولاي، لأن السلطة العامة تلاحق
بعض المظلومين الفارين من وجه العدالة حتى داخل
هذا المكان.

الأمير هنري : من تعني من الأشخاص؟

رجل الأمن : أحدهم معروف جداً، يا مولاي الكريم، وهو رجل
ضخم الجسم.

السائق : أجل ضخم كأنه محشو دهنًا.
الأمير هنري : أؤكد لك ان هذا الشخص ليس هنا، لأنني أنا بذاتي
أصدرت له أمر مهمّة منذ برهة. لكن، يا رجل الأمن،
ثق بكلامي اني سأرسله اليك غداً قبل موعد العشاء
ليجيب على اسئلتك أو أسئلة مسؤول غيرك عن كل
ما يمكن الاستفسار عنه بخصوص مهمّته. وبناءً على
ذلك، أرجوك أن تغادر هذا المنزل.

رجل الأمن : أمرك مطاع، يا مولاي. أرجوك أن تأخذ علماً بأن
وجيّهين قد فقدوا في عملية سطو وسلبٍ مبلغ ثلاثمئة
مارك.

الملك هنري : هذا غير مستبعد. وإن كان فعلاً قد نهب هذين
الرجلين، فلا بد له من أن يؤدي حساباً عن جريته
المشيئة. على كل حال، الوداع.

رجل الأمن : ليلتك سعيدة، يا مولاي النبيل.
الأمير هنري : أو بالحري، نهارك سعيد. أليس كذلك؟
رجل الأمن : فعلاً، يا مولاي. أعتقد ان الساعة الآن تجاوزت الثانية
صباحاً.

(يخرج رجل الأمن وسائق العربة).

الأمير هنري : هذا الوغد اللئيم شهيرٌ كشخصية فريدة. هيا نادو ليأتي
الي هنا.

بوينز (يرفع الجدران التي يخبئ وراءها فالتاف) : يا فالتاف... هو
غائص في بحر النوم خلف هذه الجدران، ويشخر
كما يصهل الحصان.

الأمير هنري : اسمع كيف يتنفس بصعوبة نظراً الى بدائه. قش جيوبه
(بوينز يفتش جيوب فالمتاف ويسحب منها أوراقاً). ماذا

وجدت؟

بوينز : ليس فيها سوى أوراق، يا مولاي.

الأمير هنري : انظر ما هي؟ إقرأها.

بوينز (وهو يفتحص إحدى الأوراق ويقرأ) :

الصف	بسر بنس	شلن
خبز محمص	٢	٢
نقاتق	٤	—
كالون خمرة عدد ٢	٨	٥
سمك أنشوا وخمرة بعد العشاء	٦	٢
خبز عادي	١/٢	—

الأمير هنري : يا للفظاعة. لم يأكل غير ما قيمته نصف بنس من

الخبز بالنسبة الى هذه الكمية الكبيرة من الخمرة.

إطوّر باقي الأوراق لنقرأها فيما بعد بتأن، ولتتركه يرقد

حتى الصباح. لأنني أنوي الذهاب الى القصر قبل الظهر.

سنذهب كلنا الى الحرب، وستكلف أنت بمهمة

مشرقة. أما هذا الغني البدين فأخصه بعمل شاق في

فرقة المشاة. وأنا على يقين بأن السير مسافة خمسة

آلاف يرد سيرهقه وربما سبب له الموت. وسيترد

ماله مع الربى. فما عليك إلا أن توافيني باكراً قبل

ظهر الغد. والآن ليلتك سعيدة، يا بوينز.

بوينز : ليلتك سعيدة، يا مولاي الكريم.

(يخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في بنكور عند رئيس الشمامسة

(يدخل هاتسبر وورستر وموريمور وكلانداور)

موريمور : الوعود برّاقة، والأشخاص أمناء، وفاتحة عملنا توحى بأطيب الآمال والنتائج.

هاتسبر : أنت واللورد موريمور، يا ابن العم كلانداور، تفضّلوا بالجلوس. وأنت يا عمي ورستر... تبا لي. لقد نسيت الخريطة.

كلانداور : لا، لا، ها هي. إجلس، يا ابن عمي برسي، واجلس أنت أيضاً، يا ابن عمي هاتسبر. إذ أن لنكاستر كلما دعاك بهذا الاسم يشحب لونه ويسحب الآهات من أعماق صدره، وهو يتمنى أن يراك قد صعدت الى السماء.

هاتسبر : كما نتمنى نحن أن نراك في الجحيم، كلما سمعنا إسم أوين كلانداور.

كلانداور : لا يسعني ان ألومه. اذ حين وُلدتُ إمتلأ أديم السماء بأشكال ملتية وفوانيس مشعشة. وعندما درجتُ في المشي اهتزت الكرة الأرضية من أساساتها كما يرتجف الجبان الرعديد.

هاتسبر : لقد ظهرت بوادر عديدة مماثلة في ذلك الزمان. وحين وضعت هرةً والدتك صغارها، ربما لم تكن أنت قد أصبحت في عداد مواليد هذه الدنيا.

كلانداور : قلت ان الأرض زلزلت عندما جئت انا الى هذا العالم العجيب.

هاتسبر : اذاً اهتزت الأرض عندما رأت السماء تشتعل، وليس لأنك افزعته بمجيكك. فالطبيعة المريضة كثيراً ما تنتفض وتنفجر بصورة غامضة لا تفسر لها. وغالباً ما يتتاب الأرض نوع من المخاض العسير وتهب عليها الرياح الهوجاء المسجينة في باطنها، فتبحث عن مخرج وتجعل الأرض ترتعش وتهز قباب الأجراس والأبراج العالية التي يكسوها الطحلب الأخضر... ومنذ مولدك أصاب جدتنا الأرض بعض الانزعاج، فارتجت هلعاً.

كلانداور : يا ابن عمي، لن أتحمّل ذكر هذه التناقضات على ألسنة العديد من الناس. إسمح لي بأن أقول لك مرة أخرى أن أديم السماء عند مولدي كان حافلاً بأشكال ملتية، وان الماعز هرب الى الجبال، وان قطعان الغنم ملأت السهول بثغائها الغريب وهي واجمة. وقد جعلتني هذه العلامات إنساناً فريداً، إذ أشارت كل تفاصيل حياتي الى اني رجل غير عادي. وفي حظيرتنا المحاطة بالبحر الهادر على سواحل انكلترا واسكتلندا ومقاطعة وايلس، أين هو المخلوق الجريء الذي يمكنه

أن يدعوني تلميذه، أو يلقنني درساً في الشهامة
والمروءة؟ مع ذلك إبحث عن ابن امرأة يستطيع أن
يتبعني على دروب العلم المتعرجة ويمشي الى جانبي
فوق قمم تجارب الحياة.

هاتسبر : أعتقد أن لا أحد يجيد أحسن منك اللغة الوائليّة...

أريد أن أتناول طعام غدائي.

مورتيهور : أختم حديثك معه، يا ابن عمي برسي... وإلا دفعته
الى حافة الجنون.

كلانداور : أنا أستطيع أن أستحضر الأرواح من قعر الهاوية.

هاتسبر : وأنا أيضاً أستطيع أن أفعل ذلك كما يمكن أن يصنعه
أي إنسان. ولكن، هل ترضى بالعودة الى مقرها بعد
استحضارها؟

كلانداور : أجل، ويمكنني أن أعلمك، يا ابن العم، كيف تتحكم
أنت أيضاً بالأبالسة.

هاتسبر : وأنا أستطيع أن أعلمك، يا ابن عمي الصغير، كيف
تسيطر على الشيطان، وأنت تقول الحقيقة المجردة.
أجل، بقولك الحقيقة تخذي ابليس. وإن استطعت الاثيان
على ذكره، أجلبه الى هنا، وأنا أقسم باني سأقوى
على طرده بمجرد السيطرة عليه. أردد لك وصيتي
بأن تقول الحق طوال حياتك وبذلك تخذي ابليس
وتتغلب عليه.

مورتيهور : هيا، هيا كفّ عن هذه الثرثرة التي لا يرجى منها
أي خير.

كلانداور : هنري بوليتروك جابه سلطتي ثلاث مرات. نعم، ثلاث
مرات من ضفاف نهر «وي» ومن رمال سافيرن،

فطردته عارياً بدون رحمة ولا شفقة أثناء هبوب العاصفة.

هاتسبر : هل طردته عارياً أثناء الأنواء القاسية؟ قل لي، بربك، كيف توصل إلى اخفاء ما أصابه من الحمى؟
كلانداور : ها هذا الخريطة. فلتقسم أملكنا حسب اتفاقنا الثلاثي.

(يحدّق الجميع إلى خريطة نشرها كلانداور).

مورتي مور : رئيس الشمامسة شطرها إلى ثلاثة أقسام متساوية. فجاءت حصتي انلكترا ابتداء من ترانت وسافيرن حتى هنا، في الشمال وفي الشرق. وفي الغرب من مقاطعة وإيلس إلى ما بعد سافيرن، وكل الأراضي الخصبة المنبسطة ضمن نطاق هذه الحدود أضحت حصّة أوين كلانداور. أما حصتك أنت، يا ابن عمي العزيز، فهي الشمال برمتها اعتباراً من ترانت. وبعد ان وُضعت نصوص اتفاقيتنا الثلاثية، لم يبقَ سوى ان نصدّقها نحن. وهذا ما يمكن أن يتمّ هذا المساء بالذات. وغداً، يا ابن عمي برسي، نذهب انا وأنت ولورد ورسستر لنقابل اباك وأركان الجيش الاسكتلندي حسب اتفاقنا في شروز بري. لأن والدي كلانداور غير مستعد بعد، ولن نحتاج إلى أية مساعدة قبل أربعة عشر يوماً. (لكلانداور) في هذه الأثناء، يمكنك أن تجمع معاويك وأصدقاءك ووجهاء جواريك.

كلانداور : بعد وقت وجيز سأقرب اليك، يا مولاي. وستأتي سيّداتك إلى هنا تحت حراستي. فلا بد لك من أن تنسحب في أقرب وقت بدون استئذانهن بالانصراف

إذ سينهال عليك الطوفان عندما ستفترق عنك نساؤك.
 هاتسبر (ويده على الخريطة) : يخيل إليّ ان حصتي في شمال بورتن
 لا تعادل حصتك هنا. أنظر كيف ينساب النهر نحو
 أراضي متعرجاً ويحذف قسماً ممتازاً من أملاكى بهيئة
 نصف بدر، وهذا في الواقع جزء كبير منها لا يستهان
 به. سأعترض مجرى النهر في هذا المكان، ليندفع
 نهر ترانت الغزير الى هذه البقعة بشكل قناة جديدة
 متساوية ومباشرة بدون أن تتعرج أكثر من سواها في
 مثل هذه الثلمة لاقتناص قسم خصب من أراضي.
 كلانداور : لن تتعرج أبداً، بل ستعرج اذا لزم الأمر، كما ترون
 مناسباً.

مورتي مور : أجل، ولكن لاحظوا ان النهر يواصل مجراه ويعود
 الى أراضي بصورة عكسية ليعوض عليكم خسارتكم.
 وهكذا يمنحكم مقداراً من الأرض يعادل ما يحرمكم
 اياه من جهة أخرى.

ورسستر : نعم. ولكننا نستطيع بأقلّ خسارة ممكنة أن نربح
 هذا الرأس من الشاطئ الشمالي إذا جعلنا النهر يجري
 رأساً بصورة متوازية.

هاتسبر : انا أريد أن يتحوّر هكذا. وهذا لا يكلفنا كثيراً.

كلانداور : أمّا أنا فلا أرضى بإجراء التغييرات المذكورة.

هاتسبر : ألا تريدها؟

كلانداور : كلا، ولن تقوم بها أنت أبداً.

هاتسبر : ومن الذي يمنعني؟

كلانداور : انا بذاتي.

هاتسبر : اذاً تصرف على هواك، وتكلم لغة وإيلس التي لا
 أفهمها.

كلانداور : انا أعرف اللغة الانكليزية جيداً، يا مولاي، كما تتقنها

أنت. لأنني ربيت في انكلترا وفي بلاطها بالذات. ومنذ
حدثني آلفت لأجل العزف على القيتار عدداً من
الأغاني الانكليزية الرائعة. وقد أضفت الى هذه اللغة
تعميقات لم تتوصل الي تطبيقها أنت شخصياً.

هاتسبر : أهتلك من كل قلبي. أنا أفضل أن أكون هراً وأصرخ
مياو على أن أكون مؤلف اناشيد. كما أفضل أن استمع
الى ختة جرس من نحاس مكسور أو أي دولاب
يحدث صريراً عندما يدور حول محوره. لأن هذه
الأصوات لا تثير أعصابي نظير هذه الأشعار السخيفة
التي تشبه عويل مهووس مطازد.

كلانداور : على كل حال سنغير لك مجرى نهر ترانت.

هاتسبر : هذا لا يهمني، إذ اني مستعد أن أتنازل لأحد الأصدقاء
المخلصين عن ثلاثة أضعاف ما أخسره من الأرض
حسب مشروعك. لكنني سأساوم طبعاً عند المفاوضة
على جزء من عشرة أجزاء الشعرة الواحدة، اذا اقتضى
الأمر. ها هي الاتفاقيات جاهزة، فهيا الى ابرامها.
كلانداور : ضوء القمر جميل، ويسعدك أن تذهب ليلاً. سأستعجل
في استقدام الكاتب، وسأعلم نساءك برحيلك. غير
أني أخشى أن يجنّ جنون ابنتي لما سيصدر عنهن
من الهذيان في موضوع مورتيمور.

(يخرج)

مورتيمور : تباً لك، يا ابن عمي برسي، لأنك تعاند أبي الى
هذا الحد.

هاتسبر : لا حيلة لي بالامتناع عن ذلك. لأنه يخرجني أحياناً

عن صبري حين يحدثني عن الخلد والنملة وعن صاحب الرؤى ميرلان، وعن تنبؤاته، وعن التّين وعن السمك الخالي من الزعانف، وعن النسر المقصّف البرائن، والغراب الذي يموء، ولست أدري عن أية غرائب أخرى لا أتحمّل سماع ذكرها أمامي. أوّد أن أعلمك بأنه تشبّث بي الليلة الماضية طوال تسع ساعات على الأقلّ ليعدّد لي أسماء شتى الأبالسة الذين يخدمونه. فصرخت في وجهه : « دعني منك، يمكنك أن تواصل حديثك إن شئت ». ولكنني لم أفهم ولا كلمة ممّا سرده لي. حقاً هو مملّ مثل حصان مرهق بطيء، وامرأة ثرثرة مزعجة، وبيت يعجّ بالدخان الكثيف. لذا أفصّل أن أعيش على أكل الجبنة والزيتون في طاحون هواء بعيداً جداً، ولا أتعدّى بالأطعمة الدسمة وأسمعه ينقّ كالضفادع في أي بيت تضيق به النفس.

مورتي مور : لا أنكر انه وجيه كريم الأخلاق عالي الثقافة واسع الاطلاع يلمّ بكل غريب من الأسرار. هو شجاع سخّي عطوف وفياض العطاء كمناجم الهند. هل تريد المزيد، يا ابن عمي؟ خصاله حميدة ووفاءه غير محدود لا سيما حيالك أنت. واذا حاولت أن تشاكسه، ربما أدهشك منه بعض العنف والبطش. لكن، لكي تثير استيائه لا بد لك من أن تتحدّاه وتجاوبه كما أفعل انا أحياناً، ولكن بدون أن تتوصّل الى اخراجه تماماً عن رصانته وهذوئه. على كل حال، أستحلفك وأوصيك بأن لا تعيد الكرة لمضايقته.

ورسستر : في الحقيقة، أنت تتعدّى الحدود في عنادك. فننذ

وصولك الى هنا لم تكفّ عن دفعه الى حافة الغضب.
 عليك أن تجتهد، يا مولاي، لتصلح نقيصتك هذه.
 لأنه مع كل ما يديه من كبر النفس والبسالة والنبل،
 وهذا هو المثال الأعلى الذي يجب عليك أن تقتدي
 به، لا يُستغرب أبداً في خاتمة المطاف أن يستشيط
 غيظاً فيخرج عن تحفظه بداعي ما تستفزّه به غالباً
 من الهزء والازدراء. وأقلّ هذه الآفات عندما تسيطر
 على أي رجل حكيم بصير أن تستبدّ به طبيعته الانسانية.
 الضعيفة حيال المصاعب والشدائد، وتوقظ فيه غريزة
 الدفاع عن نفسه ودرء الخطر عن أمنه وطمأنينته.
 ها أناذا عدت الى المدرسة لتعلّمني حسن السلوك
 والتدبير. بما ان نساءك قد رجعن، عليّ أن أستاذنهن
 بالانصراف.

هاتسبر

(يعود كلانداور بصحبة السيد مورتيمور والسيدة برسي).

مورتيمور : هناك أمر يضايقني جداً، هو أن زوجتي لا تعرف
 الانكليزية، وأنا لا أعرف لغة وإيلس.
 كلانداور : ابنتي تبكي لأنها لا تريد الابتعاد عنك، وتصرّ عليّ
 أن تتجنّد هي أيضاً لتذهب وتحارب وتظل دوماً
 بمعيتك.
 مورتيمور : أبتّ العزيز، قلّ له إني أنا وعمّي برسي نريد أن نذهب
 اليه برفقتك.

(كلانداور يكلم ابنة بلغة وإيلس وتجيّه باللغة نفسها).

كلانداور : هي مصرة على فكرتها وتشبّث بها بغياء وعناد بدون
 أن تريد الاصغاء الى صوت التعقل.

(السيدة مورتيمور تخاطب مورتيمور بلغة وإثس).

مورتيمور : انا ادرك مرامك وأفهم جيداً اللغة الوايلسيّة التي
تحدثين بها. ولولا الحياء لأجيتك بألفاظها. (معانقه
السيدة مورتيمور وهي تخاطبه). أنا أفهم معنى قبلاّتك، كما
أنتِ تفهمين معنى قبلاّتي. وهذا لعمرى، تخاطب
مشكور. لكنني لن أرتاح، يا حبيبتى، اذا لم أُنقن
لهجتك. لأن هذه اللغة الوايلسيّة رخيمة للغاية لا سيما
على لسانك، ونبرتها شجية ساحرة، كأنها أنغام عود
بارعة ترافقها وتزيدها نعومة وحلاوة، وهي تخرج من
فم ملكة رائعة تحت أغصان شجرة ظليّة.
كلانداور : ان أُمعنت في حديثك الجذّاب ستدفعها الى حافّة
الهوس.

(تواصل السيدة مورتيمور كلامها).

مورتيمور : ما أشدّ جهلي في هذا المجال.
كلانداور : لقد طلبت منك أن تستلقي على بساط سندسي
للاسترخاء، وأن تضع رأسك على ركبتيها. عندئذ
ستشد كل ما يعجبك من الأغاني، فتكتحل عيناك
بهدهوء الرقاد، وأنت تتأرجح بين صفاء السهر وهناء
الغفوة، حين تلوح تباشير الفجر المتلائي معلنة في
الأفق قرب طلوع النهار واطلالة ربّة النور آتية من
المشرق تنهّادى في هالة ذهبية من السحر والضياء.
مورتيمور : أنا أرغب في التمتع بهذا المنظر البهيّ من كل
جوارحي. ولذا سأجلس وأستمع إليها بانتباه كلّى،
ريثما تتمّ كتابة نصوص العقد.
كلانداور : أجل، إجلس. فالموسيقيون سيعزفون ألحاناً تطرب كل

من يسمعها بارتياح ولو عن بعد ميل، وقد أوشكوا
أن يصلوا إلينا. فبالله عليك، إجلس واستمع.
هاتسبر (السيدة برسي): تعالي، يا كاثي؛ كم تبدين رائعة وأنت
متعددة. هيا عجلي، عجلي كي ألقى برأسي على
حضنك.

السيدة برسي: هيا يا زرزور.

(ينتم كلاندور بيضع كلمات باللغة الوابلية. ثم تصدح
الموسيقى حالاً).

هاتسبر : الآن أيقنت ان الشيطان يتقن لغة وايلس. ولا أستغرب
ان يبرع فيها لأنه علاوة على ذلك موسيقي ماهر.
السيدة برسي: ألاحظ ان الموسيقى متغلغلة في أعماق روحك. لأنك
منصرف بكلّيتك الى الطرب والاستمتاع. إلزم الهدوء،
أيها المحتال، واستمع إليّ وأنا أنشد لك باللغة
الوابلية.

هاتسبر : أحبّ عليّ أن أصغي اليك، يا سيدتي الجميلة، وأنت
تغني باللغة الاسكتلندية.

السيدة برسي: هل تريد أن تصمّ أذنيك؟

هاتسبر : كلا، بالعكس.

السيدة برسي: إذا إلزم الصمت والهدوء.

هاتسبر : هذا ما لا أريد أن أتقيّد به، لأنه من شيم النساء.

السيدة برسي: والآن، رافقتك السلامة.

هاتسبر : الى سرير السيدة الوابلية إذا.

السيدة برسي: ماذا تقول؟

هاتسبر : مهلاً اصغي إليها وهي تنشد.

(تنشد السيدة مورتيمور أغنية وابلية).

هاتسبر (يوصل كلامه) : هيا يا كايث، أريد أن أسمع أغنية منك أيضاً.
السيدة برسي: متى أنا؟ كلاً ثم كلا. أعفني منها، بحق السماء.
هاتسبر : برّك، هل يمكنك أن ترفضني؟ لعمرى أنت تتصرفين
هكذا كأنك زوجة بائع حلوى في سوق الرخص.
صدقيني ان هذا التشبيه صادق وأكد كوجودي في
هذه الدنيا. سامحني الله، بل هو أكيد مثل وضوح
النهار. ما لي ألقى محاضرة بليغة كهذه، كما لو
لم أذهب للتنزه الى أبعد من منطقة فينشيري. إحلفي
لي، يا كايث، كسيدة أصيلة انك تحبين محاضراتي
الجدية التي تملأ الدماغ حكمة وأفكاراً سديدة، وتبدو
كأنها قرص حلوى فاخرة مزدانة بورود من السكر
تزهو بالألوان الجذابة. هيا، برّك، أنشدي.

السيدة برسي: لا، لا أريد أن أغني.
هاتسبر : مع ان ذلك أفضل سبيل الى الاسترخاء والاستمالة.
فاذا كان تجهيز العقد على وشك أن يتم، سأغادر
قبل مرور ساعتين من الزمان. على كل حال، يمكنك
أن تأتي متى شئت.

(يخرج).

كلانداور : تعال، تعال، يا لورد مورتيمور. أراك بطيئاً بعكس
لورد برسي الذي يُعَجِّل دوماً في ذهابه. الآن تمت
كتابة اتفاقيتك، ولم يبقَ علينا سوى ختمها بالشمع
الأحمر. ثم يمكنك أن تمتطي حالياً جوادك السريع
وترحل.

مورتيمور : بكل ممنونة.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في قصر الملك بلندن

(يدخل الملك هنري والأمير هنري وبعض اللوردات).

الملك هنري: أرجوكم، أيها اللوردات، ان تتركونا أنا وأمير وإيلس وحننا للتداول بأمر خاص. لكن لا تبتعدوا لأننا سنحتاج اليكم عمّا قريب. (يخرج اللوردات). لست أدري اذا كان الله بسبب بعض أخطاء ارتكبتها سيعاقبني وييليني بعلّة مزمنة. لكن من جراء تقلّب مزاجك ستقنعني بأنك ستحوّل الى نار محرقة أو ضربة من السماء لمقاصصتي على عصياني. وإلا، قل لي كيف يوفّق المجتمع الفاسد بين الميول المتهتكة الدنية والمشاكل السافلة المنحطة والملذات المستهترّة من جهة، وبين سموّ الأصل وترفع المستوى الذي يجب على قلب الأمير أن يبلغه من جهة أخرى.

الأمير هنري: اذا سمحت لي، يا صاحب الجلالة، سأبرّر سلوكي بسبب ارتكابي هذه الذنوب وغيرها من الزلات المنسوبة لي. أولاً، دعني استرحمك وألتمس حلمك ورحابة صدرك. وعندما أفقد كل قصصي التي بلغت مسامعك، يمكنك أن تصغي الى دفاعي عن نفسي حيال ما أطلقه بحقيّ مستنبطو الروايات والأنباء المغرضة بدون أن يعذروا فورة شبابي، علنيّ أجد الى عفوك والى تويتي أقرب السبل الآمنة.

الملك هنري: سامحك الله. مع ذلك، دعني، يا هاري، استغرب

نزعاتك التي أخذت منحى يخالف ما سلكه عظماء
أجدادك. فلقد فقدت مقعدك في المجلس بصورة شاذة
فشغله أخوك الأصغر. وهكذا نفرت منك قلوب جميع
امراء البلاط والأقرباء. وانهارت كافة الآمال المعلقة
على مستقبلك الزاهر. ولم يبقَ شخص واحد لا يتوقع
انهيارك قريباً. فلو كنت أنا ضحيت نفسي على مذبح
شهواتي وأهوائي، واستهنت بكرامتي أمام رجال الدولة
وتدنيت وتذلت نظيرك حيال مجتمع بذيء حقير،
لكان الرأي العام الذي دعمني لاعتلاء العرش أهملني
وظلّ مخلصاً لسيد الموقف آنذاك، ولكان أقصاني
الى أبعد منفي موحش كأنسان مغموّر لا حول ولا
قوة له. وبما إن ظهوري بين الناس كان نادراً لم
أستطع التحرك بحرية كي لا أثير الدهشة مثل نجم
مذنب. فراح البعض يشير اليّ بالأصبع ويردّد مبتهجاً :
ها هوذا. والبعض الآخر يصيح : أين هو بولينبروك،
ومن هو؟ وهكذا تجنّبت كل الحفلات والتشريفات
وبقيت معتصماً بجبل التواضع حتى انتزعت ولاء جميع
القلوب وهتافات كافة الأفواه بحياتي، حتى أثناء حضور
الملك المتوّج الذي سبقني في الجلوس على العرش.
وهكذا حافظت على زهوّ هيتي وبهاء تاجي عندما
خلفته. فكان حضوري في كل مكان محترماً كملك
حكيم عادل، محفوفاً بالتقدير والاحترام. وكان
وجودي فيما بينهم كأنه عيد يحاط بالاحرام والمراسم
البهيجة. اما الملك الطائش فكان يتنقل بينهم كالمهرج
الغريب الأطوار، وكأنه لهيب هشيم، لم يلبث ان
خبا وجهه لأنه لم يحافظ على وقار مقامه الرفيع

بين أعوانه المشعوذين المهووسين. فلَوَّث اسمه الكبير بصغاراتهم التافهة، ورغم سمو منصبه المجيد كان يشجع ضحكات الغلمان الهازئين ومزاحهم السمج، ولا يعارض تطاول أفكار من يلوذ بحماه من المستهترين بالقيم الخيرة : فكان أليف أهل الشارع ورفيق عامة الشعب. ولما كان كل يوم يُشبع نهم الناس الى رؤيته بات الجميع يأنفون مذاق هذا العمل المبذل، ويشيحون بأنظارهم عن حضوره المتكرر، كما يعاف لذيد الحلوى من يتهافت باستمرار على ازديادها بنهم مفرط. وهكذا عندما يتجلى بأبهته في المناسبات كان يبدو كأنه عصفور عادي في مجموعات الطيور العائدة بأعداد كبيرة أثناء شهر حزيران، نسمع أصواتها ولا نأبه لرفع أنظارنا اليها كي نعجب بها. وإن اتجهت اليها العيون فكأنها نظرت الى مشهد يومي لا يستلفت الانتباه. لأن العيون قد شمت رؤياه ولم يعد إشعاع تاجه يبهل ويشد اليه الحاذق المعجبين، وقد ألفت منظره كل يوم. فكان الناس يتطلعون اليه بعيون ناعسة مثقلة الأجفان لا رهجة تجتذبها لتظل شاخصة مشدودة الى جلال عظمته المتجددة. وكان حضوره المتواصل بين رعاياه يجعلهم يعتبرون وجوده أمراً عادياً لا يلبث المرء أن يملّه لكثرة تكراره. هكذا أنت أيضاً فقدت بريق مكانتك العالية وأضحى معظم عارفك يعتبرون شخصك المميز كإنسان عادي تعبت من مشاهدته العيون بدلاً من أن تكون منجذبة اليك حين تسمح الظروف الاستثنائية بلقاءك، رغم ما أضفى عليك بمهabetي واعتباري

بصفتك ابني ووريثي من هالة فريدة وهاجة، أفقدتها
روعتها بمبازلك المستهجنة.

الأمير هنري: أعدك، يا مولاي الكريم، أن أكون في المستقبل
بمستوى مكانتي المرموقة.

الملك هنري: ان وضعك الحالي، لعمري يشابه ما كان عليه سلفي
رتشرد حين ذهبت الى فرنسا ونزلت من السفينة في
مرفاً رافنشيرك. وما كنت انا عليه آنذاك هو تماماً
حال برسي في هذه الأيام. أقسم بصولجاني، ان له
في الوقت الحاضر من السلطة والاحترام أكثر مما
لك الآن، لأنك تتصرف كأنك خيال وليّ العهد،
تتجاهل ما لك من حقوق لا بدّ من أن تمتنع بها
في رحاب المملكة. فهو يلبي نداء واجبه بينما أنت
لا تقوم بما تقتضيه مسؤولياتك، رغم الأخذ بعين
الاعتبار ما بينكما من فارق العمر يساعده على تحميس
عدد كبير من اللوردات والأساقفة المحترمين لتأدية
مهمّاتهم الشاقة. وما جنى من غار الأمجاد على حساب
الشهير دوكلاس الذي، بفضل اندفاعه الجريء وتفوّقه
العسكري، ارتقى الى أعلى رتب الجندية واكتسب
لقب القائد الأعلى عن جدارة في جميع أنحاء هذه
البقعة من العالم. ثلاث مرات تغلب هاتسبر الشبيه
بإله الحرب مارس، وهو المقاتل الجبار الذي لا يُقهر،
على دوكلاس الكبير في عدة مجابهات، وأسرّه ثم
أطلق سراحه وصادقه. وها هو الآن يرفع صوته متحدّياً
ويهزّ دعائم السلام والأمن الذي يستند إليها عرشنا
الوطيد. فما قولك بكل ذلك؟ ان برسي ونورمبرلند

وسيادة رئيس اساقفة يورك ودوكلاس وموريمور
تحالفوا كلهم علينا وهم يحاربوننا... لكن، لماذا
أصارك بكل هذه الأمور؟ لماذا أحدثك عن
أخصامي، يا هاري؟ وأنت أقرب الناس إليّ، تبدو
كأنك من ألد أعدائي؟ ربما اجتذبتك، وبسبب أهوائك
المنحرفة ومزاجك الغريب الأطوار، شجعوك على
إشهار السلاح في وجهي ومقاتلتي لحساب برسي الذي
ترحف انت على أعتابه وتملّق أطماعه لتظهر له مدى
ضعفك وانحطاط أخلاقك.

الأمير هنري : لا تصدّقه، لأن ما تذكره لن يتم أبداً. سامح الله
من تكلّوا عليّ لاظهاري بهذه الأوصاف غير اللائقة
في نظر جلالتك. انا مستعد لتبديد كل هذه الشكوك
وتحطيمها على رأس برسي التّمام. وفي خاتمة المطاف
عندما تتألّق أمجاد عمري، سأفتخر بأن أبرهن لك
انني شبلك، يا أيها الأسد الشموخ. عندئذ سأرتدي
حلتي الفاخرة وأخفي معالم مجوني وراء قناع من
المجد الذي أمحو به، بعد أن اكسبه، كل ما تلومني
عليه من التهاون والاستهتار. وسيكون ذلك اليوم أول
عهد تبرز فيه من خلف الغيوم شمسي المتألّقة. فأصون
كرامتي انا الابن الذي يتباهى بي والدي وأخفف
شهرة الفارس المغامر هاتسبر حين ألتقي به قريباً ان
شاء الله. فمهما تكذّبت المآثر حول شخصه
وتراكت المعاييب على رأسي، سيأتي زمن أجبر فيه
هذا البطل الشمالي على استبدال أمجاده بحقاراتي غير
المرغوبة. مولاي الفاضل، أودّ أن تعلم ان برسي ليس
سوى أجبر مُكلّف بتجميع كمّيات من الحسنات

لصالحني، وسأضطرّه الى تأدية حساب عمير
لشخصيتي البارزة، فيعوض لي أقلّ بارقة مجد تضعف
وهج مديحه، وإن دعائي الأمر الى انتراع ذلك من
بين ضلوعه. هذا ما أعدك به هنا الآن، ويشهد الله
على صدق نيتي. فان شئت، يا مولاي، دعني ألتمس
من جلالتك أن تسكب بلسم حلمك على جراح
سلوكي غير اللائق. وإلاّ، أضحت نهاية حياتي قرية
وانقطع كل ما بيننا من صلوات مقدسة. فأنا أفضّل
أن أموت مئة الف مرة قبل أن أنقض عهدي الحاسم
هذا لك، يا مولاي وعلة وجودي على هذه الأرض
ووليّ نعمتي الى الأبد.

الملك هنري: هذا منك حكم بالإعدام على مئة الف متمرد، لأنني
أعيد اليك فوراً كل مهامك مع ثقتي الكاملة بمقدرتك
واخلاصك.

(يدخل بلونت).

الملك هنري (يوصل كلامه): ما وراءك من أخبار، يا بلونت؟ أراك
كثير الاستعجال.

بلونت : جئت أعلمك الآن ان لورد مورتيمور أرسل من
اسكتلندا يقول : ان دوكلاس والمتمردين الانكليز
إلتحموا بتاريخ الحادي عشر من هذا الشهر في
شروزبري. فاذا وفي الجميع بما وعدوا، يكونون قد
هدّدوا دولتنا بشكل لم يسبق له مثيل.

الملك هنري: ذهب كونت ويستمورلند بصحبة ولده لورد جون
لنكاستر. وقد مرّت على هذا الحدث خمسة أيام.
إذا، يا هاري، ستمضي صباح الأربعاء القادم، وضحى

الخميس سنجّد نحن أيضاً في السير، وسنلتقي عند
 « بريدج نورث ». وأنت، يا هاري، ستّجّه عن طريق
 كلوسستر شاير. وإذا حسبنا ما بقي علينا أن نفعله،
 نحتاج الى اثني عشر يوماً لتتلاقى جميع قواتنا في
 « بريدج نورث ». أمانا اذاً أعمال كثيرة لا بد من
 إنجازها. فالى الأمام. وكلّما تأخّرنا، إغتم عدونا
 الفرصة لرصّ صفوفه.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في حانة هور بايست شيب

(يدخل فالستاف وباردولف)

فالستاف : ألم يقلّ نشاطي، يا باردولف، منذ تلك العملية
 الأخيرة؟ أولم تتناقص ردة فعلي؟ أولم أتخاذل بسبب
 تقهقر صحتي؟ انظر كيف تراخى جلدي وبدا عليّ
 عجز الشيخوخة، كأنني امرأة طاعنة في السنّ هرمة،
 وقد ذبلت كتنفّاحة نخرها السوس. هيّا، أريد أن أندم
 سريعاً بينما لا يزال فيّ رفق من الحياة، إذ أشعر
 بأنني لن ألبث أن أفقد كل قواي. ولن يسعني عندئذ
 أن أتوب. ان كنت لم أنسَ منظر المعبد من الداخل،
 أكون كحبة البهار الجافة، أو كالحصان الغريق. أؤكد
 لك ان العشرة السيّئة هي أساس انحداري وهلاكي.

باردولف : يا سرّ جون، أنت تهذّ كيائك بيدك الى حدّ أنك لا تدع مجالاً لنفسك كي تعيش مدة طويلة.

فالمستاف : أجل، هذه هي مشكلتي. هيا، أنشدني أغنية حماسية تفرحني. كنت أتحدّى بالفضائل التي يحتاج إليها ازدهار حال كل وجيه. أجل، كنت رجلاً صالحاً مرموقاً. أسبّ قليلاً، لا ألعب بالزهر أكثر من سبع مرات في الأسبوع طبعاً، ولا ارتاد الأماكن الخلّعية أكثر من مرة كل ربع ساعة. وقد استندت أموالاً، وسدّدت ديوني ثلاث أو أربع مرات. أحب الحياة الممتعة حسب إمكانياتي. لكني الآن أعيش وسط القوضى وخارج نطاق جميع الامكانيات المعقولة.

باردولف : هل تلاحظ، يا سرّ جون، انك بدین أكثر من اللازم، بل أكثر من كل ما يقبل به المنطق السليم، يا سرّ جون.

فالمستاف : ان حسنت أنت ملامح محياك، حسنت أنا أسلوب حياتي. أنت قائلنا البحري، وبيدك دفّة مركبنا. لكننا نودّ أيضاً أن تكون فارساً يرفع عالياً نبراس أخلاقنا الحميدة.

باردولف : هيا، يا سرّ جون، لا تخش أن يجلب وجهي عليك النحس.

فالمستاف : لا، لا، أقسم لك اني أكيف تصرفاتي بشكل يجعل الناس يسرون قدماً في السبيل السويّ. هذه لحظتي المشجّعة وفرصتي السانحة. بينما انا لا أنظر الى محياك بدون أن أفكر بنار جهنم، وبالغني الذي كان يعيش متنعماً وأضحى اليوم يتقلّى على جمر أعماله المشينة.

لو انصرفت أنت قليلاً الى التثبّت بأذيال الفضيلة،
أؤكد لك انك كنت خلاف ما أنت عليه الآن، ولكنت
بهذه الوسيلة أصبحت من ملائكة الله العليّ العظيم.
لكنتك تماديت في ضلالك وغرقت في بحر الضياع.
أقسم لك انك لولا وجهك المشرق الصبح لطفى
على ملامحك سواد الليل الفاحم. وعندما كنت تركض
في أعالي مرتفعات كادسهيل تحت جنح الظلام
لثمتك بحصاني، ولو لم أعتبرك كالمشعل المضىء
الهادي أو ككرة من نار تتحدّى المياه، لما كان هناك
من مال وافر تغرف منه ما تشاء. أنت عيد دائم وشعلة
أفراح متواصلة لذا وفرت عليّ ما قيمته ألف مارك
من المشاعل، عندما رافقتني أثناء انتقالني من حانة
الى أخرى. غير ان ثمن الخمرة التي شربتها عني
كان آمن لي قيمة أنوار ساطعة لدى أغلى بائع شموع
في أوروبا كلّها. منذ اثنتين وثلاثين سنة أنا أغذي
شعلتك، يا أيها المتلون بالحرباء. جزاني الله عنك
خيراً.

باردولف : أيها التّين الغادر، كم أودّ أن يكون وجهي محجوباً
عنك.

فالسّاف : رحمتك اللّهمّ. وإلا كنت طعمة حريق غيرتك الملتهبة
غيظاً.

(تدخل المضيفة).

فالسّاف : اذاً، يا عزيزتي السيدة باتلي، هل أجريت تحقيقاً
وعرفت من سطا على جيوي وسلب مني نقودي؟
المضيفة : ماذا تقول، يا سرّ جون؟ ومن تظنني؟ هل تعتقد أنني

آوي لصوصاً في بيتي؟ لقد تحرّينا أنا وزوجي وفقشنا
واستجبونا كل رجل وكل غلام وكل خادم. وأؤكد
لك ان عشر شعرة لم يفقد عندنا.

فالسّاف : أنت تكذّين، أيتها المضيفة المنحوسة. فان باردولف
حلق ليحيته وفقد أكثر من شعرة في دارك. وأنا أقسم
بأن مالا سُرق من جيبى أثناء وجودي في ضيافتك.
هيا، هيا، أي نوع من النساء أنت؟ هيا عوّضي عليّ
ما فقدته في دارك.

المضيفة : لكني مستعدة لإثبات عكس ما تدّعي. يشهد الله،
ان لا أحد تجرّأ قبلك على اتهامي بمثل هذا في بيتي.
فالسّاف : لا تبالغي. أنا أعرفك حقّ المعرفة.

المضيفة : لا، لا، يا سرّ جون، أنت لا تعرفني مطلقاً، بل أنا
أعرفك حقّ المعرفة، يا سرّ جون. لأنك مدين لي
ببعض المال، وها أنت تشاجرني لكي تهضم حقي.
هل نسيت أنني اشتريت لك اثني عشر قميصاً لتستر
بها جسمك.

فالسّاف : من نسيج « الدّولس » الخشن، وزعّتها على صانعات
الخبز فصنعن منها مناخل للطحين.

المضيفة : أنا واثقة، كما أنني امرأة أصيلة، بأن النسيج كان من
الكّتان الهولندي الغالي، ثمن اليرد منه ثمانية شلنات.
فضلاً عن انك مدين لي أيضاً، يا سرّ جون، بمبلغ
لا بأس به من المال لقاء ما تناولته عندي من أطعمة
ومشروبات إضافية، فضلاً عن انك استندت مني مبلغ
أربع وعشرين ليرة نقداً وعداً.

فالسّاف (بشير الى باردولف) : هو نال نصيبه منه. فليدفعه لك.

المضيفة : يا للأسف، هو فقير الحال، خالي الجيوب صفر اليدين.
فالسّاف : ماذا تقولين؟ انظري الى وجهه. من الذي تعتبره اذاً
غنياً؟ لو توصلت الى سلك انفه وخطوده نقوداً
لأصبحت صاحبة ثروة طائلة. انا لن أدفع لك فلساً
واحداً. هل تظنّيني غيباً الى هذا الحد؟ كيف تريد
أن أرتاح في هذا المنزل وقد نُهيت فيه دراھمي من
جيوبي؟ ما عدا اني فقدت خاتماً كان لجدّي، وقيمته
تبلغ أربعين ماركا.

المضيفة : يا الهي. لقد سمعت أحداً يقول للأمير، لا أذكر كم
مرة، ان هذا الخاتم مصنوع من النحاس.
فالسّاف : ماذا تدعين؟ هل الأمير فتى أبله، أو بائس غبي؟ لعمرى،
لو كان ها هنا، لكنت ضربته بالقضيب كالكلب
الأجرب إن نطق بمثل هذا الكلام أمامي.

(يدخل الأمير هنري ويوبز بخطى عسكرية. ويأتي فالسّاف
ليقابلهما وهو يقوم بحركة كأنه ينفخ في عكازه معتبراً إياه نايًا).

فالسّاف : اذاً، يا فتى، ما رأيك؟ هل يهبّ الهواء ويُخرج نغماً؟
هل يتحمّ علينا جميعاً، أن نسير بخطى عسكرية؟
باردولف : أجل، مصطفيّين اثنين اثنين، على وقع نيو كيت.
المضيفة : أرجوك أن تصغي اليّ، يا مولاي.
الأمير هنري : ماذا تقولين، يا سيدة كويكلي؟ كيف حال زوجك.
أنا أحبه كثيراً لأنه رجل مستقيم.

المضيفة : أرجوك أن تصغي اليّ، يا مولاي الكريم.
فالسّاف : أرجوك انا أن تدعها وشأنها، وتستمع اليّ.
الأمير هنري : ماذا تقول، يا جاك؟
فالسّاف : في تلك الليلة، نمت أنا هنا وراء هذه الجدران،

ولاحظت ان المال سُرق من جيبي. هكذا أصبح هذا المنزل مشبوهاً تسرق فيه النقود من الجيوب بिरاعة ومهارة.

الأمير هنري : ماذا فقدت، يا جاك؟

فالسلاف : صدقتي، يا هال، ثلاث أو أربع أوراق نقدية كل واحدة بقيمة أربعين ليرة، وكذلك خاتم جدّي.

الأمير هنري : هذا شيء زهيد لا يساوي أكثر من ثمانية بنسات. المضيضة : هذا تماماً ما كرّرت، يا مولاي. وأكّدت له ان سيادتك أعلنت ذلك. ولقد لاحظت انه تحدّث عنك بطريقة بذيفة كرجل قدر الغم تجرّأ على التهديد بأنّه سيفضرك بالقضيب.

الأمير هنري : لا أظن انه تلفّظ بذلك.

المضيضة : أكون بلا شرف ولا أمانة ولا صدق حتى ولا جنس، لو تفوّت بهذا الكلام.

فالسلاف : انا واثق بأنك منافقة أكثر من أي كاذب دجال، ولست أوفر أمانة من الثعلب المحتال. أما من جهة الجنس، فلا أغالي اذا أكّدت ان البتول مريان تستحق أكثر منك أن تصبح زوجة شرطي. فاسكتي، أيتها البيغاء، ولا تضيفي كلمة واحدة.

المضيضة : هل أنا بيّغاء؟

فالسلاف : أجل، بيغاء حمقاء، لا تدركين ما تعيدين.

المضيضة : انا لست بيّغاء غير مدرّكة. ليتك تفهم أنت ما تبجّج به. أنا زوجة رجل شريف. وان استثنينا لقبك كفارس، يمكنني القول انك دجال إن نعتني ثانية بما فُهِتَ به. فالسلاف : اذا استثنينا انك امرأة، تكونين بهيمة إن قلت العكس.

المضيفة : أية بهيمة، يا أحق، أفصح.
الأمير هنري : هي شبيهة بالحنكليس، يا سرّ جون. ولماذا أشبهها بالحنكليس؟

فالتستاف : لأن لا لحم لها بل هي كلها حسك، ولا يعرف الانسان كيف يلتقطها.

المضيفة : أنت رجل ميت الضمير حين تقول هذا، لأنك تعلم والجميع يعلمون كيف يعاملني الجميع باحترام، يا منافق.

الأمير هنري : أنت صادقة، أيتها المضيفة، وهو يتجنّى عليك بوقاحة.
المضيفة : وأنت كذلك، يا مولاي. فقد قال لي منذ مدة انك مدين له بألف ليرة.

الأمير هنري : غريب منك هذا الادعاء. هل أنا مدين لك بألف ليرة؟
فالتستاف : تذكر ألف ليرة فقط، يا هال؟ بل قل مليون ليرة.
لأن محبتك تساوي مليوناً وأنت مدين لي بمحبتك.
المضيفة : ثم نعتك بالأبله، يا مولاي، وأكد لي انه سيضربك بالقضيب.

فالتستاف : هل أنا قلت ذلك، يا باردولف؟
باردولف : نعم، يا سرّ جون، أنت قلت ذلك.

فالتستاف : هل قلت أنا هذا، يا باردولف؟
باردولف : فعلاً، يا سرّ جون، أنت قلت ذلك.

فالتستاف : أجل، وقد إدّعت أيضاً ان خاتمي من نحاس.
الأمير هنري : نعم، أنا قلت انه من نحاس. فهل تتجرأ الآن على التمسك بوعيدك؟

فالتستاف : أنت تعلم، يا هال، انك كرجل لن تضطرنني الى التراجع بكلامي. ولكنك كأمر أخشاك كما أخاف زئير الشبل.

الأمير هنري : ولماذا لا تذكر الأسد؟

فالتاف : الملك وحده يجب أن تخشاه الرعية كالأسد. فهل
تظن اني أخافك كما أخاف أباك. إن كان هذا
صحيحاً، لا أمانع بأن تقطع زناري.

الأمير هنري : في هذه الحالة، ستندلق أمتعائك من بطنك الضخم
طبعاً بسبب قلة إيمانك وولائك وشهامتك المكذبة
كلها في أحشائك. أنت تهتم امرأة شريفة بأنها سلبت
نقودك من جيوبك. يا ابن الحرام، يا غبي قصير النظر
وقليل الحياء، لو كان في جيوبك غير لوائح ديونك
في الحانات والأمكنة الخلاعية، وقيمة زهيدة ثمن
سكاكر لتبل بها ريقك، ولو كانت جيوبك عامرة
بغير القذارات من هذا النوع، لكنت أنا منافقاً خسيماً
لا وزن لكلامي. مع ذلك أنت متشبث عنيدي تريد
أن تصدق كذبك ودجلتك. ألا تخجل من هذا التصرف
الأرعن؟

فالتاف : اسمع، يا هال. انت تعلم ان آدم أخفق في اثبات
براءته من أكل التفاحة في الفردوس. فماذا يستطيع
أن يفعل المسكين جاك فالتاف في أيام فشله وخيبته
هذه؟ كما ترى، انا صاحب لحم وشحم أكثر من
سواي بين البشر، وهكذا أكون أسرع عطياً من
غيري... أنت تعترف اذاً بأنك نهبت نقودي من
جيوبي.

الأمير هنري : هذا ما استنتجته من تفاصيل التحقيق.

فالتاف : أنا أسامحك، أيتها المضيقة. هيا جهزي لنا طعام
الافطار. أحبي زوجك وداري زبائنك، ودلكي ضيوفك.

وستجدينني لَين العريكة كما تشائين. ألا ترين اني
مسامح مسالم... أرجوك ان تعجلني لأنني جائع. (تخرج
المضيفة). والآن، يا هال، ما هي أنباء البلاط الملكي؟
وما قصة السرقة، يا فتى؟ وكيف ستمّ تصفيتهما؟
الأمير هنري : يا عزيزي الأكل الشره، لا بد لي من أن أسهر عليك
كالملاك الحارس. ها هو المال قد تعوَّض.
فالمستاف : انا لا أحب التعويض على هذه الصورة، لأنه يتعبنى
كثيراً.

الأمير هنري : انا ووالدي قد تصالحنا، ولم يعد لي أي همّ بعد الآن.
فالمستاف : اذاً، سيتسنى لك أن تغرف من خزانة الملكية على
هواك بقدر ما تشاء، ولن تتعب في غسل يديك بعدئذٍ.
باردولف : هيا الى العمل، يا مولاي.

الأمير هنري : دبرتُ لك عملاً في صفوف مشاة الجيش، يا جاك.
فالمستاف : كنت أفضل العمل في مجموعة الخيالة. فأين يمكنني
أن أجد فتى يحسن السرقة ويقنع بالقليل. هل أصبح
أنا سارقاً في الثانية والعشرين من سنّي أو حول هذا
العمر؟ وهكذا أراني أمام مفاجأة، لم تكن في الحسبان.
هيا، أشكر ربّك، لأن هؤلاء المتمردين ليسوا حاقدين
على أصحاب الفضيلة، وأنا أؤيد موقفهم وأشكرهم.
الأمير هنري : يا باردولف.

باردولف : مولاي.
الأمير هنري (يسلم باردولف أوراقاً) : اذهب وسلم هذه الرسائل للورد
جون لنكاستر، ولأخي جون، وهذه للورد ويستمورلند.
هيا، يا بوينز امتطّ صهوة جوادك. لأننا انا وأنت علينا

أن نقطع على ظهور خيلنا مسافة ثلاثين ميلاً قبل
موعد العشاء. الحقّ بي، يا جاك، ووافني غداً إلى
تاميل هول حول الساعة الثانية بعد الظهر. هناك
ستعرف ما هي وظيفتك، وستلقَى تعليمات ومالاً
للتأمين مصروف رجالك. الأرض تحترق، وبرسي بلغ
الذروة. فلا بد من أن ينهار أحد الفريقين، إمّا نحن
وإمّا هم.

(يخرج الأمير وبوينز وباردولف).

فالسّاف : هذا كلام حلو، في عالم رائع. أيتها المضيّفة، أين
طعام إفطاري، هيّا، كم أودّ أن يكون في هذه الحانة
طبل يقرع ليعلن حضوري.

(يخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في مخيم المتمردين قرب شروز بري

(يدخل هاتسبر وورستر ودوكلاس).

هاتسبر : حسنًا تكلمت، أيها الاسكتلندي النبيل. اذا كانت لغة الحقيقة في هذا العصر المتقلسف لا تُعتبر تزلّفًا، فماذا يكون المديح الموجّه الى دوكلاس الذي لم يبلغ شهرته الواسعة أحد سواه في هذا العالم المتحضّر. برّبي، أنا لا أعرف التملّق، وأحتقر الخطب الرنانة في هذا المجال. لكن لا أحد يستأثر في قلبي بمودة أصدق من التي أحفظها لك. صدّقني وثق بأن كلامي هو الحقيقة المجرّدة، ويمكنك أن تمتحن إخلاصي لك، يا مولاي.

دوكلاس : أنت ملك الشرفاء بين جميع الأقوياء على هذه الأرض، وليس فيهم شخص سواك لا أتحدّاه.

هاتسبر : حاول، وكل ما تفعله مقبول لديّ.

(يدخل رسول ويده رسالة).

هاتسبر (يوصل كلامه) : ما هذه الرسالة التي تجيئي بها؟ (للكلام)
لا يسعني إلا أن أشكرك.

الرسول : هذه رسالة من والدك.

هاتسبر : رسالة من أبي؟ لماذا لم يأت هو بذاته؟

الرسول : لا يستطيع القدوم الى هنا، يا مولاي. لأن المرض
أنهك قواه وأقعده.

هاتسبر : أنا لا أفهم كيف يمرض أثناء نشوب هذه المعارك؟
ومن سيقود رجاله المسلحين؟ وبإمرة من سيقبلون إلينا؟

الرسول : رسالته تشرح لك قراره أفضل مني، يا مولاي.

ورسستر : أرجوك أن تعلمني هل يلزم سريره؟

الرسول : نعم، يا مولاي. هو طريق الفراش منذ أربعة أيام.
وعندما غادرته كان أطباؤه غير مرتاحين الى حالته
الصحية.

ورسستر : كم كنت أودّ أن أراه معافى، وأن لا يداهم المرض.

فان صحته لم تكن غالية علينا مثل ما هي الآن في
وضعنا الحرج.

هاتسبر : ان مرضه في هذا الوقت عنه، وضعفه في هذا المأزق

هو ضربة تطعن مشروعنا في الصميم، لأنها أضرت
كثيراً باستعداداتنا. لقد كتب لي أن علته داخلية...

وان أصحابه لا يمكنهم أن يجتمعوا تحت قيادة من
يتوب عنه، لأنه لم يجد مناسباً أن يسلم مهمته الخطيرة

والدقيقة الى سلطة سواه. على كل حال استحثنا على
متابعة عملنا بشجاعة ولو بوسائلنا الضعيفة. وسنرى

كيف ستساعدنا الظروف على نجاح مساعينا. وقد
كتب أيضاً اننا لا نستطيع التراجع الآن لأن الملك

مطلع على كافة تفاصيل خططنا. فما رأيك.

ورسستر

: مرض والدك يصينا بالشلل.

هاتسبر

: هذا جرح خطير، بل بمثابة بتر عضو أساسي. مع ذلك ليس هذا تماماً ما هو حاصل. لأن غيابهُ يبدو لنا أخطر مما هو في الواقع. فهل يجدر بنا أن نغامر بكل إمكانات دولتنا المتحدة دفعةً واحدة؟ وإن تلقى بثقل هام كهذا في مهب رياح هوجاء غير مضمونة العواقب؟ هذا لن يكون تصرفاً حكيماً. لأننا بذلك نعرض كل آمالنا لانتهيار محتمل كأنا نغامر بكل رصيدنا في لعبة غير معقولة.

دوكلاس

: هذا هو حالنا. مع ان لدينا احتياطياً ممتازاً يؤمن لنا مصالحتنا على ما يُرام. ونستطيع أن نتصرف بقسم لا بأس به من مقدرتنا بأمل تعويض النقص في المستقبل القريب، مع احتمال حصول انسحابات تعود علينا بالنفع والفائدة.

هاتسبر

: هناك ملجأ نلوذ به اذا عاكسنا شيطان الحظ وأعاق تقدمنا في تأهّبنا.

ورسستر

: مع ذلك، أنا أتمنى لو كان أبوك معنا. لأن محاولتنا في وضعنا الحاضر الدقيق لا تتيح لنا الانقسام. فهناك جماعات لا تعمل بسبب غياب الكوّن وستظن أن الحرص والحذر والولاء والكره الشديد، كلها ساهمت في اتخاذه هذا الموقف وقضت عليه بأن يظل بعيداً عنا. ولا تنسوا كم تؤثر هذه الفكرة على حماسنا واندفاعنا في مثل قضيتنا المقلقة وكم تؤخر وصولنا الى هدفنا المنشود. لأنكم تعرفون جيداً اننا أثناء هجومنا يتحتم علينا أن نلزم، الى أقصى حد، جانب

الحيطة والتدقيق لسدّ جميع الثغرات وكل المداخل التي ربما سهّلت حدوث ما ليس في الحسبان والإخلال بتوقعاتنا وآمالنا. في الحقيقة، أرى غياب والدك عنا كستار مسدل يوحى للمتردّد بيوادر الوجمل الذي لم يخطر إمكان حصوله ببال أحد.

هاتسبر : لقد ذهبت بعيداً جداً في تأويلاتك، ربما على الأرجح، هذا هو الواقع الذي يمكن أن يُنسب إليه غيابه غير المرتقب والذي لا بد من أن يضيفي على مشروعتنا العظيم وشاحاً من البطولة، وهالة من النور، لا يُخشى فقدهما، لو كان الكونُت ها هنا فيما بيننا. اذ يجب التفكير بأننا نستطيع بدون مساعدته أن نجاهه القوّات الملكية، ونحن واثقون بأنّ عونهُ يسهّل لنا قلب الأوضاع رأساً على عقب. لأنّ كل أمورنا سارت الى الآن على أحسن ما يرام. وكل أفراد قوّاتنا لا تزال بحالة تأهب ممتازة وعلى أتم الاستعداد لمعالجة كل طارئٍ حتماً لصالحنا.

دوكلاس : نعم، طبعاً طبق حساب آمالنا وأمانينا. لأن كلمة خوف لا سبيل لوجودها في قاموس اسكتلندا.

(يدخل رتشرد فرنون).

هاتسبر : أهلاً بك وسهلاً، يا ابن عمي العزيز.
فرنون : أرجو أن تستحق أخباري كل هذا الترحيب، يا مولاي، لأن الكونُت ويستمرلند ومعه سبعة آلاف مقاتل يزحفون إلينا بصحبة الأمير جون.

هاتسبر : هذا لا يضيرنا أبداً. ماذا هناك أيضاً من أخبار؟
فرنون : فضلاً عن ذلك، علمت بأن الملك اشترك شخصياً

في الحملة أو على أهبة القدوم الى هنا على جناح
السرعة ومعه قوّات لا يستهان بها.
: أهلاً به هو أيضاً. أين ابنه أمير وإيلس، هذا الرأس
الفارغ صاحب الأرجل الخفيفة؟ أين هو وأصحابه
الذين يستهترون بكل الناس، ويجبرونه على خدمة
ماربهم الخاصّة.

هاتسبر

: وجميعهم مدججون بالسلاح، وريش النعام يزيّن
خوذاتهم ويرفرف عالياً في الهواء. وهم يطلّون
بجحافلهم كالنسور، وأسلحتهم تلمع في الفضاء
وتشعّد همهم تحت أشعة شمس أيار الساطعة،
ومزاجهم يترنّج نشوان كالماعز الصغير نزقاً كأنه ثور
هائج. لقد شاهدت هنري الابن وقد لبس خوذته ودرع
وأشهر سلاحه واندفع الى المعركة كالإله مرکور
المجنّح وقد قفز الى صهوة جواده برشاقة نادرة جعلته
شبه ملاك نازل من السماوات ليقود رجاله ويسحر
الأنظار بروعة طلّعه ورشاقة قوامه.

فرنون

: كفى، كفى. هو أفضّل من شمس آذار الباهتة. هذا
المذبح يبعث الحمّى في الأبدان. دعوهم يأتوا.
أتركوهم يصلوا إلينا كأنهم ضحايا مذبوحة نقدّمها
قبل أن تبرّد لحرمانها على مذبح الحرب الطاحنة.
وهكذا يتربّع إله الحرب مارس على عرشه، وقد تلوّث
بالدماء حتى أذنيه. لا أعود أمتلك أعصابي، عندما
أفكّر في هذه الغنائم الوافرة التي تستباح على مقربة
مننا، بدون أن يكون لنا منها أي نصيب. هيّا بنا،
سأخذ حصاني وأطلق كالسهم المسدّد الى صدر
أمير وإيلس. وسيتحدّى أحدنا الآخر، هنري يكرّ على

هاتسبر

هنري، حصانه يزاحم حصاني، ولن نفترق إلا عندما يسقط أحدنا جثة هامدة. لماذا لم يصل بعد كلانداور؟
فرنون : اليك هذا النبا الجديد : لقد بلغني وأنا في ورسستر حين كنت أنهب الأرض نهباً على جوادي انه لن يتمكن من جمع رجاله قبل مرور خمسة عشر يوماً.

دوكلاس : هذا أسوأ نبأ سمعته حتى الآن.

ورسستر : أجل، وله وقع جليدي يجمّد الدم في العروق.

هاتسبر : كم يبلغ عدد مقاتلي جيش الملك؟

فرنون : حوالي ثلاثين ألف رجل.

هاتسبر : لنقل أربعين ألفاً. اذا ظلّ والدي وكلانداور كلاهما

على الحياد، سيكفيما ما لدينا من جنود في هذا اليوم التاريخي. هيا ترتّب صفوف رجالنا، فقد دنا وقت الحساب المشهود. وإن كتب علينا أن نموت، يتحتم علينا أن نموت بفرح وابتهاج.

دوكلاس : لا تتكلّم عن الموت. فأنا مضمون لمدة ستة أشهر
حيال الخوف وحيال عزرائيل.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

في طريق متقدّم نحو كوفتري

(يدخل فالستاف وباردولف)

فالستاف : باردولف يتقدم نحو كوفتري. إملأ لي قنية من الخمرة. سيجتاز جنودنا المدينة وستصل هذا المساء الى « سوتن كاب هيل ».

باردولف : هل تريد أن تعطيني مالاً، أيها القائد؟
فالستاف : إُدفع، إُدفع.

باردولف : ستجعلك هذه القنية تنصرف كملاك صغير.

فالستاف : في هذه الحالة، خذه على عاتقك. وعندما تصنع عشرين ملاكاً نظيره، استخدمهم كلهم، وأنا أتكفل بالمصاريف. ثم قل لوكيلي بيتو أن يوافيني الى اطراف المدينة.

باردولف : نعم، أيها القائد. الوداع.

(يخرج).

فالستاف : اذا لم أحجل من جنودي، كنت دجالاً منافقاً. فقد عصرت جيداً خزانة الملك مثل الليمونة، وقبضت ما يزيد على ثلاثمئة ليرة لتجهيز مئة وخمسين جندياً. وأنا لا أعصر هكذا سوى المالكين الكرماء وأولاد المزارعين الكبار. وأبحث عن شبّان مخطوبين قد أذيع موعد زواجهم بتاريخ قريب عاجل مرتين، لأنهم أقرب الى المرفهين السذج الذين يفضّلون سماع صوت الشيطان على قرع طبول الحرب، ويخافون رمي السهام

أكثر من صياح دجاجة تبيض أو بطة برية جريحة. أنا لم أعصر سوى أكلة الدسم الذين يوازي حجم قلوبهم رأس الدبوس، وكلهم قد دفعوا الجزية للتملص من الخدمة العسكرية. والآن باتت فرقي كلها مؤلفة من رتباء وعرفاء وملازمين وضباط، وكذلك من رجال مساكين لا يمتلكون قشرة بصلة، وهم مجردون من متاع الدنيا نظير لعازر المائل رسمة في هذه الجدرانية والكلاب تلعق قروحه بشرهة، ومن شجعان لم ينخرطوا أبداً في سلك الجندية، ومن خدام مطرودين لأنهم غير صالحين، ومن فتیان أغرار وغللمان حانات هارين، ومن أصحاب نزل مفلسين، وبالإجمال من كل فئات جماعة البطالين الذي يمتصون دماء المجتمع الهادئ أثناء السلم الطويل الأمد. وهم رعا عار جاز عليهم الحرمان فأمسوا مثل لافتة ممزقة ومرفقة. دفعوا الجزية كي لا يُجندوا ويحملوا السلاح ويساقوا الى المعارك. يمكنكم أن تعتبروا عددهم مئة وخمسين من أولاد الذوات الذين لم يعد لديهم إلا الأسمال البالية. يأتون ليحرسوا الخنازير ويشربوا ماء غسل أواني السفرة ويتغذوا بما يذوب من شحمهم ولحمهم. هناك مازح مزعج صادفته في طريقي واعترض عليّ بأني أفرغت الأجواء من كل صيد ونبتت جميع جثث الأموات، اذ لم يسبق لأحد أن شعر بمثل هذا الهلع. لن أجتاز كوفتري بصحتهم، وهذا تصميمي النهائي. ثم ان هؤلاء الأغبياء يمشون وأرجلهم متباعدة كما لو كانوا يرسفون في قيود من حديد، والسبب يعود الى اني انتشلت معظمهم من السجون المظلمة حيث

كانوا محكومين لآجال طويلة. ففي فرقتي ليس سوى قميص ونصف، ونصف القميص هذا مصنوع من قطعتين موصولتين معاً وملقأتين على ضلوع أحد الحرّاس بدون أكمام. أما القميص فهو في الحقيقة مسروق من ضيف نزل سان ألبان أو من الرجل الأحمر الأنف الذي يدبر نزل كوفتري. لكن كل هذا لا يستحقّ الذكر، لأن هؤلاء المرتزقة سيجدون ملابس داخلية كثيرة منشورة على الأسيجة.

(يدخل الأمير هنري ويستورلند).

الأمير هنري : ما لك متنفخ المقلتين هكذا، يا جاك؟ وماذا تفعل ها هنا في ورويك شاير؟ اني ألتبس عفوك، يا عزيزي لورد ويستورلند، ان كنت أعتقد أن سيادتك لا تزال في شروز بري.

ويستورلند : والله، يا سرّ جون، حان لي أن أكون هنا. وكذلك أنت أيضاً، بما ان جنودي يعسكرون في هذا المكان. أؤكد لك ان الملك يحتاج إلينا جميعاً، وعلينا أن نسير طوال اليوم لنوافيه.

فالمستاف : لا ينشغل بالك عليّ، فأنا نشيط ومتيقظ مثل الهرة التي تغافل لتسرق الجبنة. لكن قل لي، يا جاك، من يخصّ هؤلاء الرجال الذين يمشون خلفنا؟

فالمستاف : يخصّونني، أنا، يا هنري.

الأمير هنري : لم أشاهد في حياتي رجالاً يُرثى لهم نظيرهم.

فالمستاف : هم يصلحون فقط لطمعهم بالرماح أو لتمزّق أجسامهم قتابل المدافع. وهم أفضل من يملأون فراغ ساحة القتال. على كل حال، يا عزيزي، هم رجال برسم

الموت، أجل يرسم الموت كضحايا رخيصة لا يؤسف عليهم.

ويستمرولند : لكن، يا سرّ جون، يخيّل اليّ أنهم مساكين وضعفاء للغاية، فضلاً عن أنهم في منتهى البؤس والشقاء. فالستاف : لعمرى، لست أدري أين اكتسبوا فقرهم هذا. أمّا هزالهم، فلا دخل لي أنا فيه مطلقاً.

الأمير هنري : وأنا أصادق على قولك، إلّا اذا اعتبرت الهزال مكوّناً من سماكة ثلاثة أصابع من الدهن تكسو ضلوع صدورهم. على كل حال، لا بدّ لنا أن نستعجل، يا صديقي. لأن يرسي قد وصل الى السهل.

فالستاف : ماذا تقول؟ هل تمنى للملك أن يعسكر مع جنوده على مقربة منا.

ويستمرولند : أجل، يا سرّ جون. وأخشى أن تتأخّر في موافاته الى هناك.

فالستاف : بالفعل، سيداً القتال، كما يبدأ تناول الطعام الأول بالنسبة الى الجنود الكسالى، والثاني بالنسبة الى المدعوين الذوّاقة.

(يتعدون).

المشهد الثالث

في معسكر المتمردين قرب شروز بري

(يدخل هاتسبر وورستر ودوكلاس وفرنون)

هاتسبر : سنقاتله هذا المساء.
ورستر : هذا غير ممكن بتاتا.
دوكلاس : اذًا، أنتم تفسحون له سبيل الفوز.
فرنون : كلا، ثم كلا.
هاتسبر (لفرنون) : كيف تقول هذا؟ أولا تعلم أنه ينتظر وصول المدد؟
فرنون : نحن أيضاً نترقب مَرَدَّنَا.
هاتسبر : إغاثته مؤكدة، بينما نجدتنا نحن مشكوك بأمرها.
ورستر (لهاتسبر) : يا ابن عمي العزيز، إسمع نصيحتي ولا تتحرك هذا المساء.

دوكلاس : رأيك غير ملائم لأنه وليد الخوف والتردد.
فرنون : لا ترشقني بنبال الاستهتار وعدم المبالاة، يا دوكلاس.
بذمتي، أنا مستعد لإثبات قلبي بالمغامرة حتى بحياتي،
عندما تكون الشهامة دافعي. فاني نظيرك، يا مولاي،
لا أصغي الى أية نصيحة يسديها اليّ اسكتلندي، وان
كنت فريسة الهجوم والفرغ.

دوكلاس : أجل، لا سيما هذا المساء.
فرنون : انا موافق.
هاتسبر : قلت، هذا المساء بالذات.
فرنون : هيا بنا اذًا. هذا لا يمكن أن يتم. أنا أستغرب جداً
كيف يستطيع رجل مثلك عالي المكانة واسع السلطة
أن لا يلاحظ العقوبات التي تعيق هجومنا وربما تفشله.

لأن خيالة ابن عمي فرنون لم تصل بعد، وفرسان
عملك ورمستر لن يصلوا إلا عصر اليوم فقط. والآن
أرى حماسه واندفاعه مشلولين ونشاطه على وشك
الانهيار من شدة التعب والارهاق وليس هناك من
حصان لم يفقد نصف قواه في هذه الأثناء.

هاتسبر : لا يغرب عن بالك ان فرسان الأعداء ليسوا في حالة
أفضل منها وهم بصورة عامة منهوكون العزيمة. وهكذا
يسعنا أن نغتنم هذه الفرصة السانحة لاقتحامهم.

ورمستر : عدد رجال الملك يفوق عدد رجالنا. فأرجوك، يا
ابن عمي، بحق السماء، أن تنتظر قليلاً حتى يصل
الينا كل ما نترقبه من العون.

(تعلن الموسيقى قدوم أحد أعضاء المجلس. يدخل سر والتر
بلونت).

بلونت : أنا آتيكم بعروض مغرية من قبل الملك. فأرجوكم
أن تفضلوا وتصغوا إليّ.

هاتسبر : أهلاً بك، يا سر والتر بلونت. أملنا أن تكون من
مؤيدينا. لأن في ما بيننا من يميلون الينا كثيراً، ولا
يقدرّون جدارتك حق قدرها. ونظراً الى سمعتك الطيبة
يوقنون بأنك لن تنضمّ الى صفوفنا بل بالعكس تساند
أعداءنا.

بلونت : لا سمح الله أن أكون كذلك، وقد اجتمعت عن مقتضى
واجبي الحقيقي. أنتم بطبيعة الحال انقلبتم على شرعية
جلالته. واليكم رسالتي : لقد أوفدني الملك لمعرفة
طبيعة وضعكم وسبب اتخاذكم، في جو السلام العام،
موقفكم العدائي غير المشكور، وأعطيتكم لشعبه الموالي

مثالاً سيئاً في الشراسة والجسارة. فان كان الملك قد غمطكم حقكم في مجالات شتى، أراه الآن يلج عليكم لتبين مطالبكم، على أن تلبّي فوراً جميعها بشكل يرضيكم ويرفع الغبن عنكم، وهو مستعد لأن يسامحكم أنتم ومن تمرّدوا عليه بناءً على تحريضكم.

: الملك طيب القلب، وهو يعرف أيضاً متى يبعد ومتى يقي بوعوده. ولقد ساهمنا أنا وأبي وعمّي، في دعمه لإعتلاء العرش الذي يترعّع عليه الآن، وهو يكاد يبلغ السادسة والعشرين من العمر، قبل أن يتضح لرعاياه ما يستطيع أن يؤمنه لهم من الحقوق، إذ كان لا يزال فتى متشرداً بائساً غير معروف، يتجول في أنحاء البلاد على غير هدى. فاستقبله والذي عند الشاطئ.

وفيما كان يقسم له بالله، ويؤكد له انه لم يأت إلا ليصبح دوق لنكاستر ويطالب بميراثه ويلتمس السلام والأمان، رقّ له قلب والذي لما رآه فيه من البراءة والمطالبة الصادقة. فأقسم له أبي بدوره، أن يساعده، ووفى بوعده. وحالما شاهد لوردات المملكة وباروناتها أن نورثمبرلند يريد انصافه، جاء الكبار والصغار لتحتيته، وخلعوا قبعاتهم وطوّوا ركابهم أمامه وبادروا الى لقائه بعد ذلك في الضواحي والمدن والقرى ورافقوه فوق الجسور وواكبوه في الشوارع وقدموا له هداياهم وأقسموا يمين الولاء لشخصه وأوفدوا اليه أولادهم كحجّاب وربطوا مصيرهم بحسن طالعه. ومن جهته، حالما أبصر نموّ عظمته وسموّ شأنه، ما كان منه إلا أن إزداد اعتباره واحترامه بسبب الوعود التي أعدها عليه والذي حين كان الفتى مغامراً مغموراً يهيم على

شاطئ رافنسبورك. وها هو الآن يتشامخ عليه ويلمح له بأنه سيأدر إلى تصحيح بعض البيانات والقرارات المجحفة التي تعرقل سير أمور المجتمع ويؤدّ معالجة بعض التجاوزات متظاهراً بالعطف على أبناء الوطن والرغبة في انقاذهم مما يعانونه من ويلات. وبناءً على هذا الرياء وهذا العدل المزيف، جمع حوله القلوب واكتسب محبة من ينوي أن يغدر بهم. وذهب إلى أبعد من ذلك، فأقصى عن جوار الملك كل المخلصين له، أثناء غياب جلالته ممن أوكل اليهم إدارة شؤون الدولة نيابةً عنه، حينما ذهب ليشرف على سير المعارك الدائرة في إيرلندا.

بلونت : أنا لم آتِ إلى هنا لسماع هذه القصص.

هاتسبر : أمّا أنا فاستتج ما جرى. إذ إنه بعد مدة وجيزة سمي إلى خلع الملك، وما عثم أن أمر بإعدامه. وسرعان ما فرض الضرائب الباهظة على كافة الشعب. والأنكى أنه أصرّ على إبقاء ابن عمه مارش سجيناً في مقاطعة وايلس، كي لا يصبح ملكاً، ثم أطلق سراحه بعد أن قبض فدية لا بأس بها. ولم يتورّع عن التنديد بي على أثر كل انتصاراتي ونصب الشراك للإيقاع بي بالحيلة، وطرد عمي من المجلس وأبعد أبي عن البلاط بحقد وازدراء، ونقض حلفاناته واحداً تلو الآخر، واضطرونا إلى البحث عن خلاصنا بحمل السلاح والانتقال على سلطته التي شككنا بدوامها نظراً إلى مدى ما أضعفها من سوء استعماله إياها في شتى أبواب الظلم والغدر.

بلونت : هل تريد أن أنقل هذا الحديث الى الملك؟
 هاتسبر : ليس بهذه التعابير عينا، يا سرّ والتر. لأننا سنتفاوض
 واياك في هذا الموضوع الشائك. يمكنك أن تذهب
 الى الملك وتطلب منه أن يقدم لنا برهاناً يضمن لنا
 عودة رسولنا. وغداً في الصباح الباكر سينقل عمي
 اليه ما ننوي عمله. فالوداع.
 بلونت : أتمنى أن تقبلوا بهذا العرض الودّي المنصف.
 هاتسبر : قد نقبله.
 بلونت : إن شاء الله.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في مقرّ رئيس أساقفة يورك

(يدخل رئيس اساقفة يورك وأحد الوجهاء)

رئيس الأساقفة (يسلم الوجه أوراقي) : هلمّا، يا سرّ ميكائيل الكريم،
 اذهب على جناح السرعة لتسليم هذه العجالة الى لورد
 مارشال، وهذه لابن عمي إسكروب، وباقي الرسائل
 لأصحابها. ليتك تعلم كم هي هامة، كي تستعجل
 على قدر المستطاع في تأدية مهمتك.
 الوجه : اني استشفّ مضمونها، يا مولاي الفاضل.
 رئيس الأساقفة : هذا غير مستبعد. فغداً، يا سرّ ميكائيل، هو يوم
 يتقرر فيه مصير عشرة آلاف مقاتل. إذ ان الملك

سيكون في شروز بري على رأس جيش لجب جنده
على عجل لمجابهة لورد هاري. وأنا أخشى، يا سرّ
ميكائيل، بسبب مرض نورثمبرلند الذي كان عدد رجاله
ضخماً، وبسبب غياب أوين كلاندور الذي يتكل على
قواته، وقد سرت بعض الشائعات ومنعته من المجيء،
انا أخشى أن يكون جيش برسي ضعيفاً الى حدّ ان
لا يستطيع مساندة شنّ القتال حالاً على الملك.

الوجيه : لا داعي للخوف أبداً، أيها اللورد الكريم، ما دام
دوكلاس ولورد مورتيمور كلاهما هنا.

رئيس الأساقفة : كلا، مورتيمور ليس هنا.

الوجيه : لكن مرّداك هنا، وكذلك فرنون ولورد هاري برسي،
وأيضاً مولاي ورسستر، مع نخبة من المحاربين
البواسل والوجهاء الأكارم.

رئيس الأساقفة : هذا صحيح. لكن الملك من ناحية قد جمع نخبة
عليّة القوم بأسرهم : أي أمير وائلس ولورد جون
لنكاستر والنيل ويستمورلند والمحارب بلونت وغيرهم
من المقاتلين الأشداء ورفاقهم، وكلّهم رجال امتازوا
بسمعتهم الطيبة وخبرتهم العسكرية الواسعة.

الوجيه : لا شك، يا مولاي، بأنهم لن يلاقوا أحصافاً ألداء
يوازنوهم بالمهارة وشدة البأس.

رئيس الأساقفة : أرجو ذلك من كل قلبي. والأجدر بنا أن لا ننام
متكئين فقط على مقدرتنا. لذلك، بغية أن نتجنّب
أسوأ الحالات، يا سرّ ميكائيل، علينا أن نستعجل
الأمر، لأن لورد برسي، اذا لم يتمكن من الوصول
الى مبتغاه قبل أن يستغني الملك عن رجاله ويصرفهم،
يودّ أن يزورك معتبراً ذاته أنه ينتمي الى تحالفنا. وليس

من الحكمة أن نستنفر قوّاتنا لنحمي أنفسنا من أذاه.
بالتيّجة، لا بد لنا من العجلة. ويتحتم عليّ أيضاً
أن أذهب لأكتب الى بعض الأصدقاء استنجد بهم.
وبناءً على ذلك، أودّعك، يا سرّ ميكائيل.
(يفترقان).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في معسكر الملك بقرب شرورُ بري،
وقد طلعت عليه أنوار الفجر

(يدخل الملك هنري، والأمير هنري، والأمير جون لنكاستر وسرُ والتر بلونت
وسرُ جون فالستاف)

الملك هنري: ما لهذه الشمس المشرقة على تلالنا، محمرة هكذا
كأنها دامية، والطبيعة تبدو شاحبة على نورها الباهت؟

الأمير هنري: ريح الشمال تهب وتصفّر كالبوبق الحزين وسط هذه
الكتابة الرهيبة. وهي بتحريكها أوراق الشجر بعنف
تُسمعنا حفيفاً مخنوقاً كأن العاصفة تنوح وتُعول في
هذا النهار المكفهر الغاضب.

الملك هنري: أجل، كأن زمجرة الأنواء تتحبب بسبب هزيمة
المنكسرين في المعركة، لأن الأيام لا تعبس أبداً في
وجه المنتصرين.

(تصدح الموسيقى. يدخل ورسستر وفرنون).

الملك هنري: أهذا أنت، يا لورد ورسستر؟ من المؤسف أن نلتقي
أنا وأنت في مثل هذه الأحوال المقلقة. لقد خيبت
آمالنا وبددت ثقتنا فيك، وأجبرتنا على التناكّر للسلام
فيما بيننا وعلى حبس أجسامنا المستنة في دروع فولاذية

ثقيلة. وهذا أمر غير مستحب، كما تعلم جيداً، يا مولاي. ما هو جوابك على ذلك؟ أولاً تريد الآن أن تحلّ عقدة هذه الحرب البغيضة، لنسلك معاً يداً بيد درب التفاهم والوثام ونكمل مسيرتنا السلمية الخيرة كما فعلنا في السابق ردحاً طويلاً من الزمن؟ أولاً تريد أن تجوب معي بسرور رحاب الآفاق النيرة بعيداً عن ظلمة العداء والبغضاء وأن نلتزم الهدوء والبهجة في مستقبل الأيام؟

ورسستر : إصغ اليّ، يا مولاي. انا من جهتي يسرّني أن أقضي ما بقي من عمري في أمان وسعادة ورخاء، لأنّي من طبعي لا أحبّ المشاكسة والتفرقة الوخيمة العاقبة.

الملك هنري: أعرف تمام المعرفة أنك لم تبحث يوماً عن الخلاف. ولكن كيف بربك وصلنا اليه. فالمتاف : كان التمرد في طريقه الينا عندما تعثّرنا وسقطنا في مطباته.

الأمير هنري: سقياً للسلم، وما أحلى زمن الوثام. ورسستر : لقد استغربت كيف استرعت انظار أغلب أفراد بلاطي، بينما أسمح لنفسني بأن أعلمك، اني أول من حافظ على مودة أصدقائي. فلأجلك قد كسرت عصاي أثناء تولّي منصبني في عهد رتشرد. وسعيت ليلاً ونهاراً الى موافاتك ومساندتك، وأنت لم تكن في وضع أقوى ولا أنجح مني. والفضل لي ولأخي ولولدي في عودتك الى ديارك سالماً، وقد جابهنا كل المخاطر بشجاعة في تلك الظروف الصعبة. لذا أقسمت لنا وعاهدتنا في دنكاستر على أن لا تفكّر يوماً في مقاومة سلطنتي وأن لا تطالب إلّا بما يحقّ لك من إرث

جون دي غان، أي دوقية لنكاستر. لذلك وعدتك بكل مساعدتي عند الحاجة. وسرعان ما أمطر سحاب الحظ غيثه عليك نعماً وازدهاراً. غير أن مساندتي وغياب الملك، وكذلك التجاوزات وفوضى تلك الحقبة العسيرة والآلام التي عاينها والرياح المعاكسة التي احتجزت الملك أثناء حربه التعيسة في إيرلندا زمناً طويلاً هناك، حتى ظن الجميع في انكلترا أنه مات. فبادرت أنت إلى استغلال هذه الظروف كأنها حسنات جاءت تدعم مأربك. واغتنمت الفرصة لجعل الأغلبية ترجوك كي تستلم زمام السلطة العليا. لكنك نسيت العهد الذي قطعته لي على نفسك في دنكاستر. وبعد أن ساندتك أنا في هذه القضية عاملتني كطفل عاقٍ عَضَّ مرضعه، وولد غيبٍ سطا على عرش. ياوي فراخ عصفور وادع. أجل ساعدتك، ولما اشتد ساعدك رميت ثقتي بك في المهالك. فخشيت أنا أن أدفن حياً تحت حطام مودتي وأمانتي. وراودتني فكرة الهرب لأنجو بنفسي من غدرك وآمن مما قد يلحق بي من ظلمك، لكنني عدلت عن هذا النهج المعوج، وفضلت تنظيم المقاومة مستفيداً من الأسلحة التي أعددتها أنت لمحاربة مصالحك بطرقك الملتوية الجائرة وأساليبك الجائرة البطاشة، وتعدياتك الوحشية فدست بشراسة جميع المقدمات التي حاولت أن تذرّع بها في شبابك لبلوغ أهدافك.

الملك هنري: كل هذه الأمور توسلتها وأعلنتها وتمسكت بها ونشرت في المعابد لكي تلبس عصيانك ثوب الفضيلة

الزاهي وتبهر من تنظلي عليه المظاهر الخداعة والحيل
البرقعة بالبراءة وحُسن النية. فاجتذبت اليك أفواجا
من المستائين الحاقدين وألّتهم على خصمك وشجعتهم
على تأييد مخططك الجهنمي فانقلبوا معك على السلطة
الشرعية، وساعدتك هذه الفوضى على التغلب
والانتصار في نهاية الأمر، نظراً الى ما اعتمدته في
تصرفك الشاذ من أساليب الغطوسة ووسائل التحطيم
والتهديم.

الأمير هنري : عديدون بين أفراد جيشي هم الذين سيدفعون غالياً
ثمن لقائنا هذا اذا اتفق لهم أن يشتبكوا في قتال
مستमित. قل لابن أخيك اني أنا أمير وإئلس أنضم
الى معظم الناس للاشادة بشخص هنري برسي. وأقسم
بأعز ما لديّ اني أضع المصلحة الآتية جانباً لأتعاون
واياه بصورة أنشط وأشجع وأجرأ للخلاص من محتني
الحاضرة بأعمال نبيلة ترفع الرأس. أما من جهتي فيجب
عليّ أن أقول لك كم أنا خجول من قلة تمسّكي
بمبادئ الفروسية الآتية. وهذا هو رأي أغلب أتباعي
في ما يشجعونني عليه من أعمالني وتوقعاتي. مع ذلك
أعلن أمام صاحب الجلالة ابي اني موافق على أن
تستفيد أكثر مني من شهرته وأمجاده، وأتعهد لتفاذي
سفك دماء الطرفين، أن أحاول التغلب عليه في قتال
إفرادي.

الملك هنري: وأنا لن أتردد، يا أمير وإئلس، أن أغامر في محاربة
أعرافك مهما حالت دون انسجامنا دواعي الاشتباك
معاً في معركة مشتركة. لا، يا ورسستر الكريم، لا.

أنا أحبّ شعبي محبة صادقة فائقة، حتى اني أكنّ
مودّة خاصّة لمن ناصرُوا ابن أخيك على مناوأتي.
واذا ارتضوا ما أعرضه عليهم من حلمي وسماحتي،
وأنا أعنيهم جميعاً، وبنوع خاص هو وأهم أتباعه،
ستصبحون أصدقائي مجدداً، وأظن أنا بحلّكم الوفي
على الدوام. قلّ هذا لابن أخيك واستحصل لي منه
على ردّه الذي أرجو أن يكون ايجابياً وودياً. وإذا
لم يوافق على ذلك، فلن أحجم عن توبيخه ومعاقبته.
وبناء على اقتراحي هذا، أسألك أن ترحل لأنني لا
أريد أن أرهق نفسي بمفاوضات غير مجدية. أنا أعرف
جيداً ما في عرضي من إغراء لا يقاوم، وآمل أن
يتقبّله بكل حكمة وتبصّر.

(يخرج ورسر وفرنون).

الأمير هنري : أؤكد لك وأقسم بحياتي أن عرضك غير مقبول لديه.
لأن دوكلاس وهاتسبر مجتمعين يمكنهما أن يقاوما
بالسلاح قوى الدنيا بأكملها.

الملك هنري : الى العمل اذاً، وعلى كل رئيس أن يلزم مكانه، لأننا
بموجب ردّهم السلبي سننقضّ عليهم، والله يعيننا على
صيانة قضيتنا العادلة.

(يخرج الملك وبلونت والأمير جون).

فالتاف : يا هال، اذا رأيتني أغامر في خوض هذه المعركة،
آمل أن تساعدني شخصياً لأنني أعتبر هذا منك برهاناً
قاطعاً على ما تحفظه لي من الصداقة والمودة.

الأمير هنري : يلزمك جيّار للقيام بما تطلبه مني. أرجوك أن تبدأ

بتلاوة صلاتك إستعداداً للرقاد. الوداع.
فالسّاتف : أُملي وطيد، وقد حان وقت النوم، أن تنقضي كل
المشاكل بسلام.
الأمير هنري : يبدو عليك انك استجبت دعوة ربك لتضحّي بنفسك.
(يخرج).

فالسّاتف (وحده) : أجلي لم يُقرّر بعد كي يحين في موعد قريب.
وأنا أرفض أن أردّ أمانة ربّي قبل زمن استحقاقها.
لماذا اسارع الى التصدّي لأمر لا يعنيني؟ هذه مسألة
غير هامّة. فإنّ شهادتي تأبى عليّ أن أستبق الأحداث.
لكن اذا دعاني الواجب للانتقال الى العالم الآخر لن
أُتأخّر عن التلبية. غير اني أتساءل عمّا اذا كانت المروءة
تستطيع أن تعوّض عليّ يداً أو رجلاً في حال فقدانها،
أو تسكّن لي الم جرح أو علة ما؟ كلاً. وهل تتعاطى
الشهامة أعمال الجراحة التي تجهلها؟ كلاً، ثم كلاً.
هي مجرد كلمة. وماذا تعني هذه الكلمة؟ انها تحوي
نفساً حيّاً فيه كل سحر الحياة وروعها. ومن يمتلك
هذه الشهامة الأيّة؟ هل يشعر بها من أسلم روحه
في أي يوم عادي؟ كلاً. هل يسمع الجميع نداءها؟
كلّا. هل القضية اذاً شعور غير حقيقي؟ أجل لدى
الأموات الذين فقدوا كل حركة. ولكن، ألا يتسنى
للشهم أن يعيش بين الأموات؟ كلاً. لماذا؟ لأن النيمة
لا تتيح له ذلك. وهكذا أنا أيضاً لا أريد ذلك. فهذه
الشهامة شعار بسيط هو خلاصة مبادئي ومشاكلي.
(يخرج).

المشهد الثاني

في معسكر المتمردين

(يدخل ورسستر وفرونون)

ورسستر : لا، لا، يجب أن لا يعرف سرُّ رتشد ان ابن أخي
مطلع على العرض السخي الذي قدّمه الملك لتحقيق
الوفاق بين مختلف الفرقاء المتناحرين.

ورسستر : في هذه الحالة سنهلك كلنا لا محالة. اذ لا يعقل
أن لا يفي الملك بوعده، وان لا يعطف علينا ويشملنا
برعايته. سيظن بنا سوءاً وسيجد دائماً حجة وفرصة
لمعاقبنا على هذا التمرّد وعلى غيره من الأخطاء.
فهنالك شكوك تحوم حولنا ومن الصعب الأغضاء عنها.
لأن الخيانة ليست مدعاة ثقة ما دام الثعلب الغادر
مهما رَوْض ودُجّن لا بد له من الاحتفاظ بخبث أجداده
الماكرين. فان بدت علينا امارات الحزن أو الفرح
سناؤل دائماً شراً. وسيكون مصيرهم كبقر الزريبة
يزداد اقترابها من المسلخ كلما حسنت معاملتها وزاد
وزنها. ان الضرر الذي سببه ابن أخي، من السهل
غض الطرف عنه ونسيانه. وعذره هو نزق شبابه ودم
الحماس الذي يغلي في عروقه ولقبه المميز هاتسبر
أي المتهوّر الذي تسيطر عليه أهوائه الفاسدة. وكل
أخطائه وذنوبه ستتصبّ عواقبها على رأسي ورأس
والده. نحن ربّينا وتهاونّا في تقويم اعوجاجاته وبما
ان انحطاطه مستمرّ في محيطنا وهو من مسؤولياتنا،
علينا نحن علّة كل هذه المعضلات أن ندفع ثمن

تساهلنا. لذلك، يا ابن عمي العزيز، يتحتم على هنري
أن يجهل عرض الملك مهما كلف الأمر.
فرنون : قل ما شئت، وأنا أكرّر وجهة نظرك وأدعمها. ها
هوذا ابن أخي قادم إلينا.

(يدخل هاتسبر ودوكلاس، يتبعه ضباط وجنود).

هاتسبر : لقد عاد عمي. فليطلق سراح مولاي ويستمورلند...
ما وراءك من الأخبار يا عمّاه؟

ورسستر : سيهاجمك جنود الملك بدون إمهال.

دوكلاس : ارسل إليه تحدياتي بواسطة لورد ويستمورلند.

هاتسبر : اذهب، يا لورد دوكلاس، وكلفه بايصال هذا التحدي.

دوكلاس : لعمرى، انا ذاهب بكل طيبة خاطر.

ورسستر : لا يغرب عن بالك ان الملك ليس في صدره ذرّة
من الحلم والانسانية.

هاتسبر : وهل أنت، لا سمح الله، طلبت منه أن يكون حليماً؟

ورسستر : لقد خاطبته برقة عن أخطائنا وعن وعوده التي لم
يفر بها. وللتعويض عن موقفه الذي يستحق اللوم،
ندد الآن بما أقسم سابقاً على القيام به. وهو يعتبرنا
متمردين وخونة، وقد عزم على استلال سيفه ليصلح
ما يصمنا به من نقائص.

(يدخل دوكلاس).

دوكلاس : هبوا الى السلاح أيها الذوات. لأنني وجّهت تحدياً
عنيفاً للهجة الى كرامة الملك هنري. وقد أبلغته
اياهم بواسطة ويستمورلند الذي كان رهينته. وهذا من
شأنه أن يعجل هجومه علينا في أقرب وقت.

ورسستر : أمير وايلس، على ما بلغنا، يتقدم والده في اتجاهنا وقد تحدثك لمجابهته في قتال فردي.

هاتسبر : كم أتمنى أن تنهال المشاكل على رأسي، وأن نكون أنا وهنري مونماوث من تقطع عليهم الأنفاس وتدهشهم بفروستيتك. ألا قل لي كيف نظم أموره؟ هل لا يزال غير مبالٍ؟

فرنون : لا، وربي. لم أسمع في حياتي تحدياً متواضعاً أكثر من هذا، كأن أخا يحرض أخاه برفق وكياسة أثناء عرض ألعاب مسلّية، بعد أن كال لك سيلاً من المديح، وقد نَمَقَ ثنائه ببلاغة خطابية. فعلّد ماثرك في وصف شيق ورفعك فوق كل الشبهات وأضاف أن هذا الاطراء لا يفي بما تتمتع به حقيقة من المزايا الحميدة والخصال الفريدة. ثم بنبل يليق بأمر أصيل، لم يتأخر عن انتقاد ذاته، ونَدّد بشبابه المتهور بنعومة نادرة بدا من خلالها كأنه يملك حاسة مزدوجة طائشة ورصينة معاً، كأنه أستاذ وتلميذ في آن واحد. هنا توقّف عن الكلام، ليستجمع شتات أفكاره. لكنني أستطيع أن أوكد لك أمام الجميع، إن تخطى أحقاد هذا النهار، أن انكلترا لن تشهد أبداً أملاً أحلى وأحب من رحابة صدره هذه إذ قلّ أن لمسها أحد من قبل بمثل هذه العذوبة والوداعة.

هاتسبر : أعتقد، يا ابن عمي، أنك تتعشق الاستهتارات المكشوفة. فلم أسمع عن أمير تصرّف بمثل هذا التهتك الأحمق غير مبالٍ بكل العواقب الوخيمة. ولكن مهما كان سلوكه غريباً، أنا أصرّ هذا المساء على ضمّه إلى صدري كجندي وأعانقه بلهفة وأغمره بلطفي

وعطفي. والآن الي السلاح، هيا الي السلاح، أيها
الرفاق والجنود والأصدقاء. ليكن رائدنا واجب الولاء
وهمة الشباب. واعذروني لأنني لست مفوّهاً لأخطب
فيكم ببلاغة وفصاحة تبين لكم ما أكنّه مع ذلك من
حماس غير محدود.

(يدخل رسول).

الرسول : يا مولاي، هذه رسالة موجهة اليك.
هاتسبر : لا أستطيع أن أقرأها الآن. الحياة قصيرة، يا سادة،
لكن اذا استعملت لحظاتها الرجيزة بجبن ودناءة، بدت
أطول بكثير مما هي فعلاً. مع ذلك اذا ربطت الحياة
بعقارب الساعة، لا تدوم مسيرتها أكثر من ستين دقيقة.
واذا عشنا فنحن نعيش لنمشي ونُجابه الملوك، واذا
متنا يكون أجلنا قد حان، فنقضي نحنا بارتياح لأن
الأمرأ أيضاً عرضة للقاء مثل سواهم. أمّا مصيرنا،
فعندما نشهر السلاح لأجل قضية شرعية فنهابتها لا
بد من أن تكون عادلة.

(يدخل رسول).

الرسول : يا مولاي، عليك أن تكون على أتم الاستعداد، لأن
الملك يتقدم بسرعة.
هاتسبر : أشكره على مقاطعته حديثي، لأن بلاغتي ليست
بفصاحة خطيب مفوّه. لدي كلمة أخيرة أقولها : يجب
على كل واحد منا أن يحسن التصرف، بقدر إمكانه.
والآن ها أنا أشهر سيفي مصمماً على تخضيب نصلكه
بالدم الأحمر الحامي الذي ترضه الصدقة في تناول

يدي، طوال هذا النهار الخطير. فاعتصم بالأمل، يا
برسي، وإلى الأمام. دغ كل أدوات الحرب تدوي
أصواتها الرنانة، ولتنطلق كلنا على وقع هذا النغم
الموسيقي. وأنا أراهن أن السماء والأرض معاً لن تتيحا
لعدد كبير منا أن يقوم مرة ثانية بما يستطيع أن يأتيه
من البطولة في هذه الساعة الرهيبة.

(تنفخ الأبواق. ويتمنق الجميع ثم يمشون).

المشهد الثالث

وسط ساحة المعركة في شروز بوي

(تشاهد تحركات جنود ومناوشات. تُسمع موسيقى الهجوم.
ثم يدخل دوكلاس وبلونت، كل منهما من جهة)

بلونت : ما اسمك، يا من تسدّ عليّ سُبُل التحرك في هذه
المعركة؟ أي شرف تترقّب نيله على يدي.

دوكلاس : أعلم ان اسمي دوكلاس، وأنا أقصد أن أضايقك لأنني
أعرف انك الملك.

بلونت : هذه هي الحقيقة بعينها.

دوكلاس : اليوم لورد ستافورد دفع غالباً شبهه بك، اذ بدلاً منك،
أيها الملك هنري، اخترق حسامي صدره وأزهق روحه.
وها هو سيفي ينوي أن يلحقك به ويخمد أنفاسك
أنت أيضاً، اذا لم تستسلم اليّ كأسييري.

بلونت : أنا لم أُولد لكي استسلم، أيها الاسكتلندي المتجبر،
ولن تلبث أن تكون ضحية انتقامي لمقتل لورد
ستافورد.

(يشيكان ويسقط بلونت قتيلاً).
(يدخل هاتسبر).

هاتسبر : يا دوكلاس، لو كنت قاتلت هكذا في هولمدن لما
تمكنت من قتل اسكتلندي واحد.

دوكلاس : تمّ تفوّقنا، وأصبح انتصارنا كاملاً. وها هو الملك
ملقى على الأرض جثمة هامة.

هاتسبر : أين هو؟

دوكلاس : هنا.

هاتسبر : هذا الرجل هو دوكلاس، وأنا أعرف جيداً محياه.
فلقد كان فارساً مغواراً يدعى بلونت. وكان زيّه يماثل
الملك تماماً.

دوكلاس (ينظر الى الجثة) : عملك ضرب من الجنون، ذهبت أنت
ضحيته. فلقد كلّفك غالباً انتحالك اسماً مستعاراً.

لماذا ادّعت أمامي انك الملك؟

هاتسبر : كثيرون هم الذين يرتدون ملابس كتيابه.

دوكلاس : بحق سيفي، سأمزق كل ما يشبه ملابسه، وسأقطع
إرباً إرباً كل من يرتدي الثياب التي تشبهها حتى أجد
الملك الحقيقي.

هاتسبر : هيا، الى الأمام. جنودنا يشتركون في المعركة بكل
بسالة كما يجب عليهم أن يقاتلوا.

(يخرجان).

(تصدق الموسيقى ثانية. يدخل فالستاف).

فالستاف : آسف لعدم تصفيتي حسابي في لندن. وأخشى أن أسدّد هذا الحساب حيث أنا الآن. فهنا لا بد من أن تتم التصفية طبعاً على حساب شخصه هذه المرة. (ينحي على جثمان بلونت). مهلاً، من أنت؟ لقد نلت شرفاً كبيراً هكذا، يا سرّ والتر بلونت. ما هذه الحماقة... دمي يغلي كرصاص ذائب وهو ثقيل مثله. وقائي الله من الرصاص. أنا لست بحاجة الى الهجوم على أيّ كان... لقد قدّمت اغيائي الى مكان لاقوا فيه مصرعهم، ومن بين مئة وخمسين كانوا بمعيتي لم يبق سوى ثلاثة أحياء، لم يعودوا صالحين لغير التسوّل طوال باقي حياتهم، عند مخارج المدينة... من القادم الى هنا؟

(يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : ماذا جرى؟ هل أنت هنا ولا تأتي بحركة؟ أعزني سيفك. لأن عدداً كبيراً من الوجهاء مجتدلون أمواتا بلا حراك تحت سنابك خيل العدو، ظلوا هنا هكذا بدون أن يثار لهم أحد. أرجوك أن تعيرني سيفك. فالستاف : أرجوك، يا هال، أن تدعني أتنفس الصعداء قليلاً. لن يتمكن التركي غوريغوريوس أبداً من إظهار مثل هذه الشجاعة التي أبداها اليوم. لقد صفيت حسابي مع برسي، وأضحى مصيره معلوماً. الأمير هنري : أجل بات معلوماً، ما دام يحيا لكي يقتل. أرجوك أن تعيرني سيفك.

فالسّاف : لا، لا. برّتي، يا هال، اذا كان برسي لا يزال على قيد الحياة لن تحظى بسيّفي، بل أعطيك غداًرتي إن شئت أن تقتله.

الأمير هنري : هاتها. ألا تزال في قرايبها؟

فالسّاف : أجل، يا هال. وهي بعد حامية، حامية جداً، وفيها فعالية تقوى على تدمير مدينة برمتها.

الأمير هنري (يسحب قينة خمره) : آه منك. هل هذا وقت المزاح والمداعبة؟

(يرمي بالقينة ويخرج).

فالسّاف : هيا، اذا كان برسي لا يزال حياً سأخترق صدره بسيّفي، إن وجدته في طريقي. هذا مفهوم. وإلاّ اذا انا اعترضت سبيله، أودّ أن يُردّني جثمة هامة. لأنّي لا أحب المجد الباطل المتجهم الذي أحرزه هنا سرّ والتر. صونوا حياتي، فاذا استطعت أن أحافظ عليها كان به، وإلاّ سأنال المجد صدفةً بدون أن أبحث عنه، وينقضي الأمر على أهون سبيل.

(يخرج).

المشهد الرابع

في مكان آخر من ساحة المعركة

(تسمع موسيقى التحذير. ويتحرك الجنود. ثم يدخل الملك هنري والأمير هنري والأمير جون ويستمورلند).

الملك هنري: أرجوك، يا هاري، أن تنسحب، لأن دملك ينزف بوفرة.
رافقه يا لورد جون لنكاستر.

الأمير جون: لا، يا مولاي، ليس قبل أن يسيل دمي أنا أيضاً.
الأمير هنري: ألتمس من جلالتك أن تعود إلى المقدمة، خشية أن يبعث انسحابك الهلع في نفوس اصحابك.
الملك هنري: سأفعل كما تشير عليّ... يا لورد ويستمورلند، رافقه إلى خيمته.

ويستمورلند: هيّا بنا، يا مولاي، لأوصلك إلى خيمتك.
الأمير هنري: توصلني أنا، يا مولاي؟ أنا لست بحاجة إلى المساعدة.
لا سمح الله، ان يتشغل خدش بسيط أمير وايلس من ساحة المعركة هذه، حيث تدوس الأرجل كل نبيل مضرج بدمه، وحيث ينتصر سلاح المتمردين في مثل هذه المذبحة الوحشية.

الأمير جون: لقد طال زمن راحتنا. تعال، يا ابن عمي ويستمورلند.
هنا يجب علينا تأدية واجبنا المقدس. بالله عليك، تعال.
(يخرج الأمير جون ويستمورلند).

الأمير هنري: لقد خدعتني، بحق السماء، يا لنكاستر. لم أكن أظنك أبداً تتمتع بمثل هذه البطولة. ولقد أحببتك حتى اليوم كأخ، يا جون. ولكنك الآن أصبحت أعزّ عليّ من نفسي.

الملك هنري: رأيته عن كثب يقارع برسي بصلابة نادرة لم أكن أترقبها من محارب مبتدئ نظيره.

الأمير هنري: حقاً، هذا الولد يبعث في نفوسنا الحماس والاندفاع.
(يخرج).

(تسمع موسيقى التحذير. يدخل دوكلاس).

دوكلاس: هل هذا ملك جديد؟ أرى الملوك يبتون كرؤوس الثنّين السبعة. انا دوكلاس أجرّ الثنوم على جميع من يحملون هذه الشارات. من أنت، يا من تتزيّى كشخص الملك بالذات؟

الملك هنري: انا الملك الأصيل. آسف جداً، يا دوكلاس من كل قلبي لكونك صادفت مراراً شبيه الملك، ولم تلتق أبداً بالملك الحقيقي شخصياً قبل الآن. ولداي الأثنان ييحثان عنك وعن برسي في ساحة القتال. لكن بما أنك لقيتني هنا صدفةً سأمتحنك لذا أطلب منك أن تستعد للدفاع عن نفسك.

دوكلاس: أخشى أن تكون أيضاً هنري آخر مزيفاً. مع أنني أجد فيك شخصية الملك بالذات. غير أنني، كائناً من كنت، أوقن بأنك أصبحت طريديتي وهكذا تظلّ تحت سيطرتي.

(يتفانلان. وحين يسمي الملك في خطر، يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري: ارفع رأسك، أيها الأسكتلندي الزميم، أو تتعرّض صراحةً الى خطر عدم رفعه ثانية. لأن أرواح الأعزاء شرلي وستافورد وبلونت لا تزال تستصرخ حدّ سيفي البتّار. أنا أمير وائلس أهّدك. واعلم اني لم أعد بأمر

إلّا نفّذته بدون إمهال. (يقفان، بهرب دوكلاس، ويخاطب الملك): تشجّع يا مولاي. كيف حالك الآن؟ لقد أرسل سرّ نقولاس كاؤسي في طلب النجدة، وكذلك كليفتون. وها أنا مسرع للانضمام الى هذا الأخير على الفور.

الملك هنري: قف واسترجع أنفاسك لحظةً. ها قد استعدت سمعتك الطيبة التي فقدتها، وبرهنت على أنك تهتمّ بحياتي ومكانتي، فبادرت الى اغاثتي.

الأمير هنري: شكراً لك، أيتها السماء. كم أغاظني الذين ادّعوا اني لا أحرص إلّا على وجودي. فلو كان ذلك صحيحاً لتركّت يد دوكلاس البطّاشة تطالك بكل ما يضره لك صاحبها من حقد وكراهية. وكان هو عَجَل على ترحيلك من هذه الدنيا، ووفّر على ابنك عناء خيانة فظيعة لبلوغ هذه النتيجة.

الملك هنري: اسرع يا كليفتون، وأنا أبادر الى اغاثة سرّ نقولاس كاؤسي.

(يدخل هاتسبر).

هاتسبر: ان لم أكن مخطئاً، أنت هنري مونموث.
الأمير هنري: أنت تكلمني كما لو كنت مزماً أن انكر إسمي.
هاتسبر: انا اسمي هنري برسي.

الأمير هنري: في هذه الحالة أرى أُمامي متعمداً شجاعاً يحمل اسماً كإسمي، أنا أمير وايلس. ولا أظن، يا برسي، أنك تريد أن تتزع مني هذا الفخر. إذ ان كوكبين لا يسعهما أن يتزاحما في دائرة واحدة وانكلترا لا تتسع

لحكم مزدوج يسيطر عليه اثنان يحملان إسماً واحداً :
هاري برسي وهاري أمير وايلس.

هاتسبر : أجل، هي في الحقيقة لا تتسع لكلينا. لأن هاري
قد صفى حسابه مع خصمه. وإن شاء الله ستكون
سمعتك القتالية أولى بكثير من سمعتي أنا.

الأمير هنري : سأجعلها أعظم منها قبل أن أغادر في هذا المكان.
لأنني عازم على جمع كل امجادك وجعلها عقداً أزین
بها عفتي.

هاتسبر : لم أعد أتحمّل عنجهياتك أكثر مما فعلت.

(يتقاتلان)

(يدخل فالستاف)

فالستاف : جوابك شديد في محله، يا هال. لكن أصمت، يا
هال. لأنك لن تلاقى هنا لعب أولاد. وسأريك كيف
تكون مقارعة السيوف.

(يدخل دوكلاس ويقاتل فالستاف الذي يسقط الى الأرض كأنه
مات، ثم يتعد. يجرح هاتسبر ويسقط الى الأرض هو أيضاً).

هاتسبر : لقد حرمتني شبابي، يا هاري. وما يغيظني ليس فقداً
حياتي الفانية، بقدر فقداًني الألقاب التي انتزعتها مني.
فقد شئت أفكاري أكثر من كل الضربات التي أنزلها
بي سيفك الفتاك. غير ان الفكر يظل أسير الحياة،
والحياة عبدة الزمن، والزمن يسيطر على الكون الذي
لا يد له من التوقف بعد حين... ربما يصبح بإمكانني
يوماً أن أتنبأ، لو كانت يد الموت القاسية الباردة
لا تكتم فمي في ذلك الزمان. لا، يا برسي، أنت

لست سوى تراب، ولا تصلح أن تكون طعاماً...

(يلفظ أنفاسه).

الأمير هنري : إلّا للزود، يا برسي الشجاع... الوداع، يا صاحب القلب الكبير. أنت طعام مجبول بالغرور، وها قد انكشيت أخيراً على ذاتك لترقد في حفرة ضيقة. عندما كان جسدك يأوي نفسك، كانت المملكة برحابتها لا تتسع لك. اما الآن فها أنت تكفي بمساحة قدمين فقط من أقدر تراب الأرض... والأرض التي تحملك في هذه اللحظة المشؤومة وأنت ميت لا تحمل بسهولة انساناً جباراً وقحاً مثلك وأنت حي. (ينحي على الجثة). لو كنت لا تزال تتأثر بالمديح لما وجهت اليك كلاماً هكذا عزيزاً ينم عن التقدير والاحترام. لكن اسمح لي بأن أتكرم عليك بتغطية وجهك المشوه. فإن ممارسة هذه الطقوس العاطفية النبيلة تزيدني شرفاً على شرف. الوداع. أوصيك بأن لا تصطحب الى السماء سوى الشاء والمديح. أما دناءتك فدعها ترقد معك في ظلمة القبر مثواك الأخير، ولا تذكرها على بلاط ضريحك (يشاهد فالسناف معداً على الأرض). من هذا؟ أهو جيل قديم؟ أولم يستطيع كل هذا اللحم أن يحافظ على بعض حيوته؟ مسكين جاك، الوداع. ما أصعب فراقك علي. سأفتقدك كثيراً وإن غرقت في خضم من الاستهتارات. ففي هذه الاشتباكات الدامية، لم يحرمني الموت شخصاً أعز منك. سأحط جثمانك قريباً. وحتى ذلك الحين، إبق مسجى تمسح في دمك الى جانب النبيل برسي.

(يخرج).

فالمستاف (ينهض ببطء) : تحتطني أنت؟ اذا حَتَطَنتي اليوم سأسمح لك بأن تملّحنني وتأكلني غداً... يا إلهي، كم كنت مصيئاً عندما تظاهرت بانني ميت، وإلا كان هذا التّنين الاسكتلندي دفعني غالياً ثمن مراوغتي. هل تظاهرت بالموت حقاً؟ انا مخطئ، لأنني لم أظاهر بأية حالة مصطنعة، بل الموت تظاهر في حالتي المرية. لأنني لست سوى شبه رجل عندما لا تكون في حياة الرجال. بالعكس، أنا أعتبر ان تظاهري بالموت عندما لا أزال على قيد الحياة ليس تظاهراً، بل هو نموذج حقيقي وكامل للحياة. لأن أوّل معالم الشجاعة هو الحرص والحذر. وبفضل هذه الحيلة البارعة أنقذت حياتي. والله، أنا خائف من هذا الغادر برسي حتى إن كان بالفعل ميتاً. واذا كان هو أيضاً يتظاهر بأنه ميت، وأزعم أن ينهض؟... لعنة ابليس عليه أنا أخشى أن يكون أحد هذين المتظاهرين بالموت ليس سوى دجال محتال أدهى مني. لذى أريد أن أثبّين مصيره الحقيقي. وأقسم بعدئذ أنني فعلاً قتلته. لكن لماذا لا يتمكّن من النهوض كما فعلت أنا؟ ليس إلّا الشاهد العيان يتسنى له أن يكذبّ قولِي، اللهمّ إلّا إذا رأى ما أعمل في هذه اللحظة. (بطمن برسي بخنجره). وهذا الجرح في فخذك يُجهّز عليك، فهل تقوى بعده على المجيء بصحبتِي؟

(يحمل الجثة على ظهره).

(يدخل الأمير هنري ثانية، وكذلك الأمير جون).

الأمير هنري : هيا بنا، يا أخي جون. يكفي اليوم ما برهنت عنه بسيفك من بسالة لم يسبق لها مثيل.

الأمير جون : لكن مهلاً. من عندنا هنا؟ ألم تخبرني بأن هذا الرجل البدين قد مات؟

الأمير هنري : فعلاً، رأيته جثة هامدة بلا حراك مضرجة بالدم، ملقاة على الأرض. هل أنت حي، أم أنت شبح يخدع أنظارنا؟ أرجوك أن تتكلم، لأننا بتنا لا نصدق عيوننا ولا نصدق آذاننا. أنت حتماً لست كما يبدو عليك.

فالسف : كلا، هذا أكيد. أنا لست انساناً مزدوجاً. وبما اني لست جون فالسف، اذاً أنا رجل غيبي. (يرمي الجسم أرضاً). هذا هو برسي. اذا كان أبوك ينوي منحني شرفاً جديداً، فليكن. وإلا، عليه أن يقتل هو بذاته برسي القادم. لأنني أنا عازم على أن أكون دوقاً أو كونتاً بكل تأكيد.

الأمير هنري : لكني أنا الذي قتلت برسي، وقد رأيتك أنت بالذات ميتاً.

فالسف : أنت... يا الهي، يا الهي، ماذا أسمع؟ هذا العالم غائص في مستنقع من الكذب والنفاق. انا لا أنكر أنني كنت مطروحاً أرضاً أتففس بصعوبة، وكذلك هو أيضاً. لكننا نهضنا كلانا في اللحظة عينها، فتقاتلنا حوالي ساعة من الزمن حسب ساعة شروز بري الكبيرة. اذا شئت أن تصدقني، كان ذلك رائعاً. وإلا، على من يريد أن يكافئ القيم أن يجيب بصدق حسب ما يراه حقاً. اني أتشيت بتأكيدي حتى الممات أنني أحدثت في فخذ هذا الجرح البليغ. فإذا ظل هذا

الرجل حيًّا ونفَى ذلك، سأجبر جسمه على ابتلاع
جزء جديد من سيفي.

الأمير جون : هذه أغرب قصة سمعتها في حياتي.
الأمير هنري : وهذا أيضاً أشجع فتى رأيته بأَم عيني، يا أخي جون.
هيا، احمل بفخر أمتعتك على ظهرك ولنيسر. من جهتي
أنا، إن كان الكذب يفيدك سأنمقه بأحلى ما استطيعه
من ألفاظ. (تُسمع موسيقى الانسحاب). نفخ بوق
الانسحاب، وهذا اليوم هو يومنا. تعال، يا أخي نذهب
معاً الى آخر ساحة المعركة كي نرى مَنْ مِنْ رفاقنا
لا يزال على قيد الحياة ومن منهم قضى نحبه.

(يخرج الأمير هنري والأمير جون).

فالسُتاف : سأتبعهما بحجّة اني أريد أخذ مكافأتي. فمن يجزييني
خيراً يكافئه الله على جوده وكرمه. واذا أصبحت من
كبار العالم، فهذا دليل على اني بَتُّ أميل الى التصاغر.
لأنني سأضطر الى اختصار أمور كثيرة، وأبطل شرب
الخمرة وأعيش حياة لائقة نظيفة كما يجب أن يفعل
كل سيد نبيل.

(يخرج وهو يحمل جثة هاتسبر).

المشهد الخامس

في خيمة الملك

(تُفتح الأبواب. يدخل الملك هنري والأمير هنري والأمير جون وريستورلد وغيرهم من اللوردات، يتبعهم ورسستر وفرنون كأسيدين).

الملك هنري: هكذا سُحق التمرد ولقي العُصاة عقابهم. أيها الجاحد ورسستر. ألم أعدك بعفو وحلم وعطف يشمل الجميع؟ لكنك قلبت معني عرضي رأساً على عقب وأساءت استغلال ثقة ابن أخيك فيك. ها قد قُتل اليوم ثلاثة فرسان في صفوفنا وكونت نبيل وكثيرون غيرهم في هذه الساعة، لأنك لم تنقل باخلاص وولاء، من جيشي إلى جيش، رسالتي الصريحة الصادقة.

ورسستر : ان ما أقدمت عليه قد أوحى به إليّ ما يقتضيه صون كرامتي. وأنا مستعد لقبول مصيري المحتوم بملء الرضى.

الملك هنري: خذوا ورسستر ونفذوا فيه حكم الاعدام، وكذلك فرنون. اما سائر المذنبين، فسترتب قليلاً لنرى كيف نعاقبهم. (يخرج ورسستر وفرنون محاطين بالحراس). ما هي أحوال ساحة المعركة الآن؟

الأمير هنري: الاسكتلندي النبيل لورد دوكلاس، عندما شاهد أن الحظ قلب له ظهر المجنّ، حين قتل النبيل برسي وباقي الرجال المسلّحين هربوا وتشتّوا، لاذ هو أيضاً بالفرار مع من ظلّ سالماً. فما لبث ان سقط من أعلى الهضبة ورضّ جسمه. فأمره الرجال الذين طاردوه. وها هو دوكلاس سجين في خيمتي. فألتبس من جلالتك أن تسمح لي بإبقائه تحت تصرّفي.

الملك هنري: بكل طية خاطر.
الأمير هنري: هذا الرجل هو لك، يا أخي جون لنكاستر. تصرّف
به كما يحلو لك. إذهب وقابل دوكلاس وردّ اليه
حريته الكاملة بدون أية فدية. لأنّ الدرس الذي ألقاه
اليوم علينا في المروءة والإباء نقبله بامتنان، ولو أتى
من شخص نعتبره من ألدّ أخصامنا.
الملك هنري: هكذا لم يبق علينا سوى أن نقاسم مهمّتنا. فأنت
يا ابني جون، وأنت يا ابن عمي ويستمورلند، ستذهبان
إلى يورك على جناح السرعة لمقابلة نورثمبرلند والحبر
إسكروب لأنهما كما علمت قد إعتصما بقوة السلاح.
وأنا وأنت، يا ولدي هاري، ستتجه إلى مقاطعة وايلس
لمحاربة كلانداور والكونت مارش. وبهذه الانجازات
يفقد التمرد فاعليته في هذه الجهات التي حلّت بها
الخسائر الفادحة لليوم الثاني على التوالي. وبما أن
تدابيرنا سجّلت بداية موفّقة، علينا أن نتابع سعيينا حتى
نستعيد جميع أراضينا وحقوقنا كاملة. (يخرجون).

تمّ الجزء الأول من مسرحية هنري الرابع

هنري الرابع

الجزء الثاني

أشخاص المسرحية

الشائعة : بمثابة مقدّمة.

الملك هنري الرابع.

الأمير هنري : ابنه، فيما بعد هنري الخامس

الأمير جون لنكاستر
همفري كلوستر
توماس كلارانس
نورثمبرلاند

إشكروب، رئيس اساقفة يورك

لورد موبري
لورد هانتينغس
لورد باردولف
ترافير
مورتن
كولفيل

ورويك
ويشمورلاند
سوراي
كوار
هركور
اللورد كبير القضاة

بونتر
فالستاف
باردولف
بيستولي
بيتو
غلام

ظرفاء منوعين

شالو	{	من حكام الأفضية
سيلانس		
دائفي	:	خادم شالو
كريف	:	وياج : خادمان
موازي	{	جنود أفضية
أومبر		
فارو		
فابل		
فو		
غلمان حانة، وحجاب وخدم.		
زوجة نورثمبرلند.		
أرملة برسي.		
المضيقة كويكلي.		
دوروثي تروذرا.		
خاتمة.		

تجري الأحداث في انكلترا.

مقدمة

(تدخل الشائعة مرتدية ثوباً عليه رسوم ألبيّة ملوّنة)

الشائعة

: إفتحوا آذانكم. من منكم يريد أن يُصاب بالصمم عندما تتكلّم الشائعة الصاخبة؟ فأنا من الشرق الى الغرب أركب الريح كحصان أصيل، لأذيع بدون انقطاع ما يبدّاه الناس من أعمال على هذه الكرة الأرضية. بواسطة ألبستيّ تلعلع دائماً شتى الأوهام التي أترجمها الى جميع اللهجات لتبلغ كل الأسماع وتغدق عليها الأخبار المغلوطة. أتحدّث عن السلام بينما العداء الخفي يمزق أطراف الدنيا خلف ابتسام الهدوء والطمأنينة الواجمة. ومنّ غيري انا الشائعة أجل من غيري يستعجل استنفار الرجال المسلّحين واستعدادات الدفاع؟ بينما يُفترض في الجيوش التي تحرّكها الكوارث ان تحمل بين جوانبها أهوال الحروب وطفانها فالشائعة هي كالقوقعة الذي تنفخ فيه شتى الظنون وكوامن الحسد ومحرضات العدوان. وهي آلات يتلاعب بها مسخ رهيب متعدّد الرؤوس توغر صدره أحقاد الشقاق وشكوك الجماعات باستمرار. لكن، ما الذي يدفعني الى تشريح شخصيّتي

المعروفة المساوي، وأنا بين أهلي وأصحابي؟ لماذا
انا الشائعة موجودة ها هنا؟ اني أسابق العاصفة. اما
الملك هنري الذي سحق في سهل شروزبري الدامي
شباب هاتسبر وفرقه، وأحمد نيران تمرّده الأرعن في
بحر من دماء مثيري الشغب والفتن. ولكن، لماذا
بدأت هكذا بإعلان الحقيقة؟ ووظيفتي هي نشر الشائعة
التي تذيب خبر موت هاري مونموث الذي صرعه
سيف النبيل الغاضب هاتسبر. فاضطر الملك حيال
غضب دوكلاس ان يُطأطأ رأسه ويهرول مسرعاً الى
قبره. هذا هو التقرير الذي نشرته في المدن والضواحي
بين ساحة المعركة الملكية في شروزبري وهذا السور
الحجري المهذّم المفتت حيث تمارض والد نورثمبرلند
المسنّ. فوصل رسله وهم يلهثون، ولم ينقلوا من
الأخبار إلّا التي أبلغتهم أنا إليها. وكنائلي الشائعة لم
يأتوا إلّا بالترضيات الكاذبة الخداعة، وهي أفسى من
الحقيقة المرّة كالحنظل.

(تخرج).

الفصل الأول

المشهد الأول

في وانكوزت عند مدخل قصر نورثمبرلند

(البواب واقف في المدخل، يدخل لورد باردولف)

لورد باردولف : من يحرس هذا الباب؟ أين الكونت؟

البواب : من الآتي لأنبيء بقدمه؟

لورد باردولف : قل للكونت ان لورد باردولف ينتظر هنا.

البواب : مولاي يتنزه في الحديقة. فأرجو سيادتك أن تطرق

الباب ليرد عليك الكونت بذاته.

لورد باردولف : ها هوذا الكونت قد أقبل.

(يدخل نورثمبرلند).

نورثمبرلند : ما وراءك من الأخبار، يا لورد باردولف. ان كل لحظة

تأتينا نبأً جديداً. الأوقات حرجة وقاسية حالياً.

والشقاق يبدو كحصان متخوم جموح يشور جنونه

فيقلب كل ما يجده حوله.

لورد باردولف : أيها الكونت النبيل، اني أجيتك بأخبار أكيدة من
شروزبري

نورثمبرلند : أمني أن تكون مطمئنة.

لورد باردولف : بقدر ما يتمتعها القلب الطيب الرؤوف. فالملك قد
أصيب بجرح بليغ. وبانتصار ابنك، يا مولاي، سقط
الأمير هنري جثة هامدة. وبلونت الأب والابن هلكا
كلاهما على يد دوكلاس. والأمير الشاب جون،
وويستمولند وستافورد هربوا من ساحة القتال. أما
الجبار سرّ جون أي خنزير هنري مونموث فهو أسير
ابنك. لم يمرّ بنا يوم نزاع حاسم ظفرنا نحن فيه
مثل هذا اليوم الذي جاءنا بالنصر وغار المجد كيوم
فوز قيصر على أخصامه.

نورثمبرلند : ومن أين جمعت كل هذه الأنباء؟ هل شاهدت ساحة
القتال؟ هل أنت قادم من شروزبري؟

لورد باردولف : لقد صادفت شخصاً آتياً من هناك وهو وجيه عالي
النسب طيب السمعة فنقل إليّ من تلقاء نفسه جميع
هذه الأخبار وأكد لي صحتها.

نورثمبرلند : ها هو خادمي ترافير الذي أرسلته يوم الثلاثاء الماضي
ليأتيني بالأنباء.

لورد باردولف : لقد سبقته في طريقي إليك، وهو لا يعرف أكثر
مما أفدتك عنه.

(يدخل ترافير).

ترافير : يا مولاي، طلب مني سرّ جون أمفر فيل أن أعود ادراجي
بعد أن زودني بأخبار مفرحة. ولما كانت مطيته أسرع

من حصاني فقد سبقني اليك. وإثر ابتعاده عني وصل فارس وجيه متعب، ووقف الى جانبي لكي يريح جواده المرهق، واستعلم مني عن طريق شستر وتلقيت منه أخباراً جديدة عن شرور بري. فأفادني بأن التمرد قد قمع، وأعلمني بأن الشاب هنري برسي لاقى مصرعه. وبعد إصابته أرخى العنان لحصانه وانحنى الى الأمام على متن مطيته وأعمل مهمازه في بطن الحيوان النشيط. ثم انطلق الفارس الذي صادفه بدون أن يطلع على نتيجة المعركة وراح ينهب الأرض نهباً مقبلاً إلينا. نورثمبرلند : بالله عليك، كرّر لي ما حدث. هل قال لك حقاً أن مهماز الشاب هنري قد غرّز في بطن حصانه، وأنه سقط جثة هامدة، وان العصيان قد قمع؟

لورد باردولف : اسمع، يا مولاي. اذا كان سيدي ابنك الشاب، لم يغز بالنصر، أوكد لك وأقسم بشرفي اني مستعد أن أتنازل عن لقب بارونيتي وأن أقدم عنقي لحبل المشنقة. دعنا من مواصلة هذا الحديث.

نورثمبرلند : وماذا يقصد هذا الوجيه الذي استوقف خادمي ترافير وزوّده بتفاصيل هذه الأنباء المشؤومة؟ لورد باردولف : لأنه غيبي سرق الحصان الذي يمتطيه وكلم خادملك صدفةً، أجل صدفةً، وزوّده بهذه المعلومات المغلوطة. ها هي أنباء جديدة ترد إلينا.

(يدخل مؤزّن).

نورثمبرلند : وهذا الرجل مثل أي نذير شؤم آخر، يحمل لنا خير كارثة جديدة. هذا ما يدلّ عليه محياه المتجهّم. تكلم يا مورتن. هل أنت قادم من شرور بري؟

مورتن : أجل، يا مولاي النبيل. لقد نجوت من شروزبري حيث

حصد الموت الزؤام الغادر عدداً كبيراً من جماعتنا.

نورثمبرلند : كيف حال ابني وأخي؟ ما لك ترتجف وقد إمتنع

لون خديك اللذين يُفصحان عن رسالتك بوضوح أكثر

من شفئك. هكذا جاء الرجل المرهق المحطّم،

وصورة النية مرتسمة في عينيه، وهول الألم يسحق

قلبه، وأماط اللثام أمام الملك بريام عن هول ما حلّ

بمملكته في ظلام الليل الدامس، ليعلمه بأن نصف

مدينة طروادة ذهب طعمة أليّة اللهب المندلج. وكما

ان بريام درى بما التهمته ألسنة النيران قبل أن يسمع

كلام الرجل، هكذا استخلصت انا نبأ موت ابني برسي

قبل أن تعلنه الكلمات وهذا ما تودّ أن تقوله لي :

« ان ابنك فعل كذا وكذا، وأن أخاك عمل كذا وكذا،

وهكذا قاتل النبيل دوكلاس ». أجل أردت أن تسرد

على مسمعي تفاصيل رواية بطولتهما التي تنوق اذناي

الى تلقّيتها. لكنك في الختام، وأنت تشيد بشجاعتهما

بددت روعة المديح بتنهّدك المؤلم قائلاً : ان أخي

وابني وجميع رفاقهما قد أصبحوا في عالم الأموات.

مورتن : لكن دوكلاس لا يزال على قيد الحياة، وكذلك أخوك.

أما مولاي ابنك...

نورثمبرلند : آه، لقد مات... لاحظ كم هي تعابير الظن سريعة

الانتشار. ان من يخشى حدوث أمر، ويخاف أن يطلع

عليه بصورة غريزيّة من عيون سواه، يوقن بأن ما

يتخوّف منه قد حصل. مع ذلك، أرجوك، يا مورتن،

أن تُعلم الكونت بأن توقّعاته خاطئة. هكذا يكون هذا

الإفصاح في نظري كإهانة طفيفة، وأنا مستعدّ أن

أمحك ثروة لقاء نكرانك اياها، كما أتمنى.
 مورتن : أنت أكبر من أن أنفي أقوالك، يا مولاي. لأن توقعك صحيح وتخوفك في محله، خلافاً لما اشتهي أنا أيضاً.
 نورثمبرلند : لكن كل هذه العبارات لا تثبت ان برسي قد مات. وها انا أقرأ تصريحاً غريباً يبرز في عينك. أنت تهز رأسك وتعتبر من باب الالهانة أو الجرم ان تعلن الحقيقة كما هي. فلا تردّد في القول انه قتل، لأن اعلان موته ليس إساءة، بل الإساءة هي تشويه سمعة الميت، وليس محرّماً أن نعلن وفاة من فارق الحياة، مهما كان الأمر شاقاً. مع ان أول من يفيد عن خبر مشؤوم هو غير مشكور، وصوته يخنّ كنافوس جنائزي يعلن فقدان شخص عزيز علينا.

لورد باردولف : لا يسعى أن أصدّق ان ولدك قد مات، يا مولاي.

مورتن : يعلم الله اني آسف جداً لاضطراري الى حملك على الاعتقاد بما وددت أن لا يجري أبداً. لكنني أبصرت بأنّ عيني دمه ينزف، وهو منهوك القوى يلهث من الاعياء، لا يسعه أن يردّ ولو بضعف على ضربات هاري مونموث. لقد شاهدت الأمير في ثورة غضبه يرمي الى الأرض برسي الشجاع الذي لم يعد يتمكن من النهوض حياً. بالاختصار، أثر على سير المعركة موت هذا القائد النشط الذي ألهم حماس افراد جيشه. لأن صلابة عزيمته أصبحت قدوة رجاله، عندما صُرع هو انهارت معنوياتهم كأنها كتلة من الرصاص ثقيلة الوزن هوت من علوّ شاهق. وبما ان أثقل الأشياء تطير عندما تلقى في الهواء بأسرع ما يمكن، هكذا

بعد أن فقد جنودنا قائدهم هاتشبر سرعان ما تدهوروا في هوة القنوط وبادروا الى الهرب للنجاة بأنفسهم. في هذه الأثناء استطاع الأعداء أن يأسروا ورسنتر بسهولة. وتضايق دوكلاس، هذا الاسكتلندي الدموي الغاضب الذي قتل بسيفه البتار ثلاثة من أشباه الملك، وتداعت بساتنه ولحق بمن اداروا ظهورهم وفرّوا. وفيما هو هارب تعثر من شدة ارتبائه وسقط على الأرض فانقضّ أعداؤه عليه وأسروه. بالنتيجة انتصر الملك وأرسل لمجابهتك، يا مولاي، فرقة من الرجال بقيادة الشاب لنكاستر وويستمورلند. هذه هي الحقيقة بكاملها.

نورثمبرلند : سأجد الوقت الكافي لندب سوء حظنا. لكن، لا ننسَ ان في السمّ علاجاً يشفي. وهذه الأنباء تمرضني لو كنت سليماً معافى. غير أنها في الحالة الحاضرة، أعتقد أنها تشفيني من علتي. وها أنا أشدد عزيمتي. ونظير من جثمت المصائب علي صدره فناءً تحت وفر الحياة، أراني فجأة مجروحاً أمام عاصفة تذكي رياحها جذوة تصميمي على المقاومة. واذا باعضائي التي أضناها التعب والألم تستمدّ قوة ضاعفتها هذه الكوارث. اليك عني اذا، أيها العكاز المكسور. من الآن وصاعداً سأغلف يدي بقفاز من فولاذ لأضرب بها أعدائي. اليك عني أيها الممرّض الجاهل الغبي، فانت ترسّ هزيل غير صالح لحماية رأس أمير حفل ماضيه بالانتصارات المجيدة. بعد الآن لن أخشى أبداً أي سلاح يستهدف جبهتي. لأن قلبي قد طفق بالحقق

الذي تغلي مراحله في صدري، ما دمت، أنا نورثمبرلند، تحت رحمة الظروف القاسية المتقلبة. لتكتنف الأرض والسماء، ولتشدد عناصر الطبيعة قبضتها على خونة هذا العالم الفاسد عسى هذا النظام الجائر ينهار على رؤوس ابنائه أحفاد قايين جدّهم الشقي الذي ارتكب أول جريمة قتل في هذا الكون الغريب العجيب، عندما أزهق روح أخيه الصالح هايل، وقد أوغر الحسد والكراهة صدره عليه هوساً. هكذا يتلقّى الناس عبرةً تهيب بالأرواح الشريرة أن تطلع عن أعمال الهدم والقتل، ويسدل الستار على مأساة البشر، فيزغ فجر الخلاص بعد ظلام الليل المريع.

ترافير : مهلاً، يا مولاي، لأن هذه المشاعر العنيفة تحمل في طياتها لك العذاب والهلاك.

لورد باردولف : عزيزي الكونت، لا تدغ عواطفك تغلب على حكمتك.

مورتن : ان حياة جميع أنصارك متوقفة على سلامة صحتك. فإذا استسلمت الى هذه الانفعالات لن تنجو من الوقوع في الإنحلال والانهيار. وأرجوك أن لا تنسى ويلات الحرب، أيها اللورد النبيل، وان لا تُغفل من حسابك ما تحبل به الأيام من الصدف والمفاجآت، قبل أن تهتف : هبوا الى التمرّد، يا رفاق. لقد توقّعت طبعاً في توزيع ضرباتك، ربما سقوط ولدك، وأنت تعلم ان تقدّمه وسط المخاطر يذنيه من شفير الهاوية. كما تعلم أيضاً ان مغامرته تسبّب له السقوط أكثر من التعرّ والكبوة. وأنت تعرف جيداً كذلك ان جسمه

معرّض للجروح والقروح، وان اندفاعه لا بد من أن
يجرّه الى اسوأ مصير. مع انك شجّعته، حين قلت
له : اذهب. بدون أن تردعك عن موقفك هذا أية
عقبة قد تقف حائلاً دون تنفيذ عزمك الصامد. فماذا
جرى؟ وأية نتيجة أسفر عنها هذا القصد الجريء؟
لا شيء سوى ما كان حدوثه في حيز الإمكان.
لورد باردولف : جميعنا، نحن الذين أصابتنا هذه الكارثة الأليمة،
نعلم اننا نتورط في مغامرة تتقاذفنا فوق أمواج بحر
هائج، وان رهاننا كان قائماً على واحد من عشرة
إمكانات، بأننا لن نبلغ وطننا، ولن نحقق ما نتمناه
من الفوز والانتصار. مع ذلك لم نحجم عن الإقدام
غير المضمون، لأن الغاية التي كنّا نتوخّاها طغت على
خوفنا من الخطر المرجح. ورغم اننا أخفقنا، علينا
أن نحيا آمالنا ونحاول مجدداً تحقيق النجاح في
هذه المغامرة بكل ما لدينا من قوّة، ونبذل الغالي
والنفيس في سبيل بلوغ الغاية المنشودة.

مورتن : أجل، حان الوقت لبذل أقصى جهودنا. على كل حال،
أيها اللورد النبيل، علمت من مصدر أوكد لك أنّه
أهل للثقة، بأن رئيس اساقفة يورك الكريم قد توفّق
في تنظيم فرّق عديدة وقيادتها، وهو رجل محترم يشدّ
اليه رجاله المخلصين بوثاق مزدوج ديني وديني .
أما ولدك، يا مولاي، فلم يكن الى جانبه للاشتراك
في القتال سوى الأجسام والأشباح وأشباه الرجال.
لأن كلمة عصيان كانت تبعد نفوسهم عن العمل الذي
تقوم به أبدانهم. ولم يحاربوا إلا مرغمين كأنهم
يتلعون دواءً مرّاً. لذلك كانت أسلحتهم فقط ملكنا

بينما عزائمهم وأرواحهم كانت مجمدة بمجرد مقتهم
 لفظة تمرّد التي يكرهونها كأنها سمّ كامن في ماء
 مستنقع آسن. واليوم جعل هذا الأسقف من الثورة
 واجباً دينياً، وقد إشتهر بصدقه وأمانته وتقواه في
 مجالات شتى المبادئ والأفكار السامية، وهو قادر
 على اقتياد الأجسام والنفوس معاً. لذا بارك التمرد
 على أثر سفك دم الملك رتشرد المحبوب الذي سال
 على بلاط أرض بومفرات مستمداً من السماء حجته
 في نزاعه لنصرة قضيته. وقد أقنع الجميع بأنه يريد
 أن ينقذ هذه الأرض الدامية التي تمّ تحت جزمة
 الطاغية بولينبروك. فما كان من الكبار والصغار إلّا
 أن أيّدوه وساروا على خطاه.

نورثمبرلند : أنا على يقين بذلك. لكن ألمي الحالي، في الحقيقة،
 قد محا ذلك من ذاكرتي. هيّا ادخلوا معي، وليدّر
 كل منكم رأيه حول أفضل الوسائل الآيلة الى تأمين
 خلاصنا والانتقام لكرامتنا. ولنبحث الرسل والتجارير
 ولنبادر الى كسب عطف الأصدقاء الذين لم يكونوا
 يوماً بمثل هذه الندرة مثلما نحن اليوم في أقصى
 الحاجة الى عونهم.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في أحد شوارع لندن

(يدخل سرّ جون فالستاف، يتبعه غلام شاب يحمل له سيفه وترسه)

فالستاف : بالله عليك، ماذا يقول المتتبع توجيهاتي؟
الغلام : لقد قال، يا مولاي، انها حكيمة سليمة. غير ان
الشخص الذي اطلقها قد يكون هزيراً أكثر مما يمكن
تصوره.

فالستاف : أغلب الناس، ومن جميع الفئات، يفتخرون بمنأوتني.
لكن دماغ هذه الكومة من الطين القذر الذي يُدعى
الانسان لا يسعه أن يتخيل أمراً يثير الضحك والسخرية
لم أبتكره أنا أو إبتكره غيري للهزء بي. انا لا أزدري
بنفسي، بل بسبب كل ما يصدر من هرج عن سائر
الناس... عندما أمشي أمامك أشعر بانني كسمك
الترويت الذي يسيطر على كل صغاره. ولو ان الأمير
لم يضعك في خدمتي لتدفعني الى الأمام أثناء سيري،
لما كان لي عليه أي عتب. لكنك نظير نبتة بلاد
حارة تصلح لتزين قبعتي أكثر من أن تكون خادمي
تسير ورائي. وهذه هي المرة الأولى التي أقنتي فيها
حليّة افتخر بها. على كل حال هذا لا يهمني لأنني
لن أضعك في إطار من ذهب أو من فضة. غير انني
سأحفظ بك ضمن علبة وأعيدك الى صاحبك الفتى
المغرور الذي لم يبت بعد شعر لحيته. وأنا أفضّل
أن أرى لحيّتي تنبت في كفّي على أن أراها تزين
وجنتيه. مع ذلك، لا يتردد في التأكيد أن وجهه وجه

ملك. والله قادر على انهاء المسألة متى شاء، لأن ذقنه لا تحوي شعرة واحدة أكثر من اللازم، وهي في نظر الحلاق الخبير لا تساوي أكثر من ستة فلوس. إلا أنه رغم ذلك يتصب على رجله كما لو كان قد أصبح رجلاً ناضجاً عندما كان والده لا يزال يافعاً. يسعه أن يفاخر على قدر استطاعته بما حباه الله من وسامة. لكنني أؤكد لك انه ليس كذلك في نظري... ماذا قال المعلم دنبُلُن في موضوع هذا النسيج اللّماع لاستعماله في تبطين ردائي القصير وسروالي العريض؟

الغلام : يقول، يا مولاي، ان عليك أن تدفع له أكثر مما يفعل باردولف، وهو لا يقبل بأن يأخذ دراهمك أو دراهمه، ولا يرتضي هذه الضمانة أبداً.

فالسناف : عليه أن يتقبل لعنة هذا الشره، فيحرقه لسانه أكثر مما حصل له حتى الآن. آه، يا ابن الزانية، أيها الدجال الحقيق. أنت تحرج موقف أحد الوجهاء الكرام، وتطلب بعدئذ ضماناً. هؤلاء الأشقياء الذين ينتعلون أشنع الأحذية، لا يرتضون الآن أن ينتقلوا إلا بالجزمات العالية وأن يتزّنروا بأحزمة مجهزة بعلاقات مفاتيح. وعندما يطلب أحدهم خدمة شريفة يصّر على تأمين ضماناً للقيام بها. إن وضع سمّ الموت في الفم لأسهل من التلقظ بكلمة ضماناً. بذمتي انا كفارس، كنت أترقّب منه أن يرسل لي اثنين وعشرين يرداً من النسيج اللّماع وهذا طلب ضماناً يؤمنها لي، ويمكنه بعدئذ أن ينام مرتاح البال، لأن ذلك دليل على النجاح

والازدهار، وقد برزت خفة زوجته من خلاله، وهو لا يرى في الأمر سوءاً، مع انه يحمل بيده فانوسه ليستير به. لكن أين باردولف؟

الغلام : ذهب الى سميث فيلد ليشتري حصاناً لسيادتك.
فالتاف : أنا أشتريه عادةً من سوق بجوار « سان بول »، فلماذا ذهب الى سميث فيلد ليشتريه؟ لو شئت أن أقترن بامرأة في مكان لا يستحق الذكر، لكنت حصلت على مطلوبي وتزوجت في هذه الأثناء.

(يدخل اللورد كبير القضاة ومعه موظف).

الغلام : يا مولاي، هذا هو السيد النبيل الذي اعتقل الأمير، لأنه ضربه بسبب قضية باردولف.
فالتاف : اتبعني حالاً، فأنا لا أريد أن أراه.
كبير القضاة (للموظف) : من الذي يسير هناك؟
الموظف : هذا فالتاف.

كبير القضاة : المتهم بالسرقة؟
الموظف : هو بعينه، يا مولاي. لكنه في هذه المدة الأخيرة أدى خدمات جلّى في شروز بري. وعلي ما بلغني أنه سيذهب الى اللورد جون لنكاستر مكلفاً بمهمة.
كبير القضاة : كيف سيذهب الى يورك؟ نادو من فضلك.

الموظف (بنادي) : يا سرّ جون فالتاف.
فالتاف : يا غلام، قل له اني أصمّ لا أسمع.
الغلام (للموظف) : تكلم بصوت أعلى، لأن سيدي أطرش لا يسمع.
كبير القضاة : أجل، انا واثق بأنه يتظاهر بالصمم كي لا يسمع ما لا يعجبه. هيا اذهب وجرّه من يده. فلا بد لي من أن أتحدث إليه.

- الموظف : يا سرّ جون...
 فالستاف : ماذا تفعل، أيها الغبي، وأنت تستدعيه هكذا؟ أوليس من حروب تدور رحاها حولنا؟ أوليس من أشغال تستدعينا؟ أولاً يحتاج الملك الى رعاياه؟ أولاً تقتضي الثورة جنوداً لقمعها؟ وإن لم يكن من شرف في الإلتحاق بطرف من الأطراف، ففي التسوّل قلة شرف أكثر من خدمة الفريق الأسوأ وإن يكن على شفير التدهور بإسم العصيان.
- الموظف : أنت تخطئ في تقدير موقعي، يا سيدي.
 فالستاف : أيها السيد، هل سمعتني أقول عنك انك رجل شهم؟ لو استغيت عن لقيبي المزدوج كفارس ومحارب، لكننت من أكبر الدجالين.
- الموظف : اذ، أرجوك، يا سيدي، ان تضع جانباً لقبك المزدوج هذا وأن تسمح لي بمصارحتك بأنك لا تقول الحقيقة عندما تتعني بالشهامة.
- فالستاف : أتريد مني أن آذن لك بإعلان ذلك؟ وأن أضع جانباً ما هو جزء لا يتجزأ من شخصيتي؟ إن حصلت مني على هذا السماح يمكنك عندئذ أن تشقني. وإن سمحت بذلك أنت لنفسك، يجدر بك أن تمضي وتشق ذاتك. اليك عني، أيها الكلب الأجرب. هيا اغرب عن وجهي، يا لعين.
- الموظف : مولاي يريد أن يخاطبك، يا سيدي.
 كبير القضاة : من فضلك، يا سرّ جون فالستاف، إسمح لي بأن أقول لك كلمة.
- فالستاف : عزيزي اللورد... صبح الله سيادتك بالخير. يسرني ان أراك، يا صاحب السيادة، خارج هذا المكان. فلقد

سمعت بأنك مريض. وأرجو أن تكون الآن خارجاً من عيادة الطبيب. لأنك، وإن توهمت انك لم تخطُ بعد مرحلة الشباب، يبدو عليك انك بلغت حدود العمر الذي يبدأ الانسان فيه أن يتذوق مرارة الأيام الصعبة. لذا ألتمس من سيادتك بكل احترام أن تعني جدّاً بصحتك.

كبير القضاة : يا سرّ جون، لقد طلبت مقابلتك قبل رحيلك الى شروز بري.

فالسّاف : أعذرني، يا مولاي. علمت أن صاحب الجلالة قد عاد من مقاطعة وايلس يساوره بعض القلق.

كبير القضاة : انا لا أتكلّم عن جلّالته... أريد أن أقول انك لم تشأ أن تأتي لمقابلتي حين أرسلت في طلبك.

فالسّاف : وأنا أيضاً علمت بأن سموّه قد أصابته نزلة دماغية مرة ثانية.

كبير القضاة : أسأل الله أن يمنّ عليه بالشفاء التام. أرجوك أن تصغي اليّ.

فالسّاف : أظن ان هذه النزلة هي من نوع السّبات العميق، أو من الركود الدموي والفكري الذي يضعضع وعي صاحبه.

كبير القضاة : لماذا تقول لي ذلك؟ وماذا يهمني ما أصابه؟

فالسّاف : ان من أسباب هذه النزلة المزيد من الألم أو من الدرس الذي يفضي بالدماغ الى الاضطراب المتواصل. فقد قرأت في كتاب الطبيب كاليان بعض التفاصيل التي تؤدّي الى الصمم.

كبير القضاة : اظنك مصاباً بهذا المرض عنه. لأنك لا تسمع ما أقوله لك.

فالمستاف : حسناً، يا مولاي. ولكن، لا تتضايق إذا أعلمتك بأن هذه العلة التي تحرمك السمع والانتباه لما يقال لك، تقلقني كثيراً.

كبير القضاة : إن عاقبتك برفسة قدم في جنبك قد تشفى من عدم السماع، ولن أرفض أن أكون طبيبك المداوي.

فالمستاف : أنا أفقر من أيوب الصديق، يا مولاي. لكني لست مريضاً أبداً. فيسعدك، يا صاحب السيادة، نظراً إلى فاقتي، أن تداويني بالسجن كعلاج ناجع. ولكن أتى لي الصبر لتتبع تعليماتك والعمل بموجب وصفتك الطبية؟ فالعلماء ينسبون إلى هذه النقطة الهامة انها تثير بعض تأنيب الضمير، إن لم يكن أقصى درجات عذابه.

كبير القضاة : ارسلت في طلبك لمقابلتي، عندما بلغتي بحقق شكوى خطيرة.

فالمستاف : وأنا بناءً على رأي مستشاري الخبير في قوانين هذه البلاد، إمتنعت عن المجيء إلى سيادتكم.

كبير القضاة : بالنتيجة، يا سرّ جون، أعتقد بأنك ارتكبت مخالفة جسيمة.

فالمستاف : ان رجلاً نظيري لا يسهه أن يتصرّف على غير هذا النحو.

كبير القضاة : يبدو لي ان مواردك زهيدة جداً، وأنت تمنع في الاسراف.

فالمستاف : كم أودّ أن أكون على غير هذا الحال. لماذا لا تكون

مواردي وافرة وأن أكون أقلّ إسرافاً؟

كبير القضاة : لقد خدعت الأمير الشاب بتصرفك.

فالسّاف : في الحقيقة، هو الأمير الشاب الذي ضلّني. لأنني بالنسبة إليه كالأعمى الكبير البطن. بينما هو بالنسبة اليّ كأنه كليبي الذي يدلّني على الطريق.

كبير القضاة : يعزّ عليّ أن أنكأ جرحاً كاد يندمل. فان خدمتك النهارية في شروزبري قد بيّضت فعلك الليلي في كاذسهيل. وعليك إذا أن تشكر زماننا المضطرب الذي ختم قضيتك هذه بصورة سلمية.

فالسّاف : ماذا تقول، يا مولاي؟

كبير القضاة : بما ان المسألة انتهت بخير، لا تحرّك ساكناً ولا توقظ الفتنة النائمة.

فالسّاف : ابقاؤ الفتنة يجرّ مشاكل مزعجة، كأنك تستفزّ ثعلباً مراوفاً.

كبير القضاة : أراك مثل شمعة قد احترق قسمها الأفضل.

فالسّاف : بل كمشعل نفد منه الشحم، يا مولاي. فبدون مبالغة انا أتمتع بصفات السيد الوقور.

كبير القضاة : ليس في وجهك شعرة واحدة يضاء تدلّ على الكهولة لأنهمك بحب العظمة.

فالسّاف : بل بحبّ الشحم واللحم والدهن الفائض.

كبير القضاة : أنت تتبع الأمير في كل مكان كأنك شيطانه المغربي.

فالسّاف : ليس هذا تماماً، يا مولاي. لأن شيطانه المغربي خفيف

الظلّ. وأنا بالعكس، من يلقي علي نظرة واحدة، يقبلني

بدون أن يتفحصني. مع ذلك، من وجهة معيّنة، أعرف

نفسي اني لست عملة رائجة يرضى بها أيّ كان.

والفضيلة في هذه الأيام التجارية لا تصنّف في المستوى

الرفيع. كما ان الشجاعة الحقّة تبدو حالياً كمدرب
الدبة، وخفّة الروح تطلّعي في الحانات وتجهد قريحتها
لتأمين دفع الحسابات. وكل مواهب الانسان المفسودة
بفعل انحطاط أهل هذا العصر، لا تساوي شروى نقيير.
أما أنت فمقامك أسمى، ولا تنظر الى أخلاقنا بعين
الاعتبار بسبب شبابنا فتحكم على فطنتنا وذكائنا
بحسب مزاجك وحاجتك. ونحن في ريعان الصبا،
لا بد من الاقرار بأننا لسنا دائماً عند حسن الظن بنا.
كبير القضاة : أراك تعتبر نفسك من زمرة الشباب، وكل ما فيك
يشير الى ان عمرك يضعك في مصافّ الشيوخ. ألم
تدمع عينك؟ أولم تنشف بشرة يديك؟ أولم يشحب
لون خديك؟ أو ما وخط يياض الشيب لحيتك؟ أولم
تعجز قدمك عن حمل جسمك؟ أولم يتضخّم كرشك
المنتفخ؟ أولم يرتجف صوتك المبحوح وينقطع نفّسك
اللاهث؟ أولم تصبح ذقنك المزدوجة مترهّلة؟ أولم
يخف ذكاؤك؟ أولم تذبل سائر مواهبك بسبب تقدّمك
في السنّ؟ وتريد فوق هذا كله أن تحسب ذاتك
انك لا تزال في ريعان الشباب؟ تبّاً لك، يا سرّ جون
من متجاهل متصاب.

فالسّاف : يا مولاي، صدقني اني ولدتُ حول الساعة الثالثة بعد
الظهر، وشعر رأسي أبيض، وبطني منتفخ قليلاً. أمّا
صوتي فقد بُحّ من كثرة ما غنّيت قصائد ومواويل.
لست بحاجة الى اعطائك براهين أخرى على احتفاظي
بكل مقومات صباي. في الواقع انا لم أبلغ سن الشيوخ
إلا بالمنطق والإدراك. ومن يؤدّ أن يغامر بالمراهنة
على الف مارك لقاء ما استطيع تأديته من انجازات

خارقة، ما عليه إلا أن يسلّني هذا المبلغ، وحذار أن يندم. أمّا رأي الأمير فيّ، حسب ما أوهمك باستهتار عن عجزِي، فهو اعتباط أميرِي، صدّقه أنت كأنه حقيقة منزلة نظراً إلى حسن نيّتك وسلامة طويّتك. لقد أنبته انا على ذلك، والشبل الصغير أسف لانطلاء هذا التّبجّح عليه. وأنا أدري الناس بما حصل، لأنّه أراد أن ينعم بلبس الحرير فضايقته خشونة المسح، وشاء أن يملأ كيسه نقوداً، وإذا به يفرغه ليتجرّع برميلاً من الخمرة.

كبير القضاة : إني أسأل الله أن يرسل للأمير رفيقاً أفضل منك. فالستاف : بالعكس أنا أطلب منه تعالى أن يرسل لي كرفيق أميراً أفضل من هذا الذي لا يسعني أن أتخلّص منه.

كبير القضاة : في الواقع، فضّلْك الملك عن الأمير هنري، إذ علم بأنك ستتنصّم إلى اللورد جون لنكاستر لمجابهة رئيس الأساقفة وكونت نورثميرلند.

فالستاف : أجل، أنا أشكر مخيلتك الطريفة الخصبة. لكنك أنت المفترض أن تلزم البيت لمغازلة ربّة السلام، عليك أن تضرع إلى الله كي لا تلتقي جيوشنا وجيوشكم في يوم شديد الحرّ. لأنني لم آخذ معي سوى قميصين، إذ اني لا أعرق بصورة تفوق المألوف. ومهما كانت الأيام حارّة اذا تمسّكت بغير قنيّتي لا أودّ أن أمعن في السكر. ومع اني أتجنّب المشاكل أجدني شريكاً في كل عمل محفوف بالمخاطر، وإن كنت لا أتشبّث بأذيال الحياة الطويلة الأمد. لكن هذه الفكرة مسيطرة على كافّة أفراد شعبنا الانكليزي الذي حالما يلاقي مصلحة مفيدة يسعى إلى تعميمها على الجميع. أمّا

إذا أصررت على قولك اني رجل طاعن في السن،
فيتربّ عليك أن تؤمّن لي بعض الراحة. لذلك ألتمس
من الله أن يجعل ذكر اسمي أخفّ وطأة وأقلّ ترويعاً
في نظر أعدائنا. والأفضل عندي أن يأكل صدأ الخمول
مفاصلي وأن لا يدركني الفناء عن طريق الحركة الدائمة
التي لا تدعني أستريح.

كبير القضاة : هيا أرني شهادتك ومروءتك. ولتذهب بسلام الى
حملتك المرتقة.

فالسّاف : أرجو سيادتك أن تمنحني الف ليرة لأتجهّز بها.
كبير القضاة : لن تنال مني فلساً واحداً. ما لك تستعجل لزيادة
ديونك؟ تمتّع بصحة تامة وسلّم لي على ابن عمي
ويستمولند.

(يخرج كبير القضاة والموظف).

فالسّاف : اذا سايرت ومضيت، أستحقّ أن أجلّد بالسياط. فالمرء
لا يقوى على التفريق بين البخل والشيخوخة، أو الفصل
بين المجنون وفورة الشباب. لكن العجز يضايق في
الحالة الأولى، والنزق يحرض في الثانية. وكلا الشرّين
يجلبان اللعنة على من يركب أمواجهما. أيها الغلام...
الغلام : مولاي.

فالسّاف : كم بقي من النقود في كيسي.

الغلام : مبلغ أربعة عشر فلساً.

فالسّاف : لا أجد علاجاً لفراغ كيسي بصورة مستديمة،
والاستدانة لا تملأه بل ترهقه باستمرار فيظلّ خاوياً.
وهذه علّة ليس لي منها شفاء. هيّا، خذ هذه الرسالة
الى مولاي لنكاستر، وهذه الى الأمير، وهذه أيضاً

الى كونت ويستمورلند. أمّا هذه فسلمها يداً بيد
لصديقتي أرسول التي أقسم لها في كل أسبوع اني
سأقترن بها، وذلك منذ أن رأيت أول شعرة بيضاء
تظهر في لحيتي. هيّا، جدّ في السير، فأنت تعرف
أين تلتقي بي. (يخرج الغلام). ثبّاً لهذا النشاف الذي
يشلّ عروقي. فمن حين الى آخر أشعر بأن إبهام
رجلي لم يعد قادراً على الانطواء. وماذا يهمني إن
أصبحت أعرج؟ فتلك حجة قاطعة تجتنبني الاشتراك
في القتال، ويظل راتبتي ساري المفعول بصورة شرعية.
على الانسان الفطن أن يستفيد من كل بادرة تعترض
سبيله.

(يخرج).

المشهد الثالث

داخل قصر رئيس الأساقفة في يورك

(يدخل رئيس أساقفة يورك واللوردات هامتينكس ومويري وباردولف).

رئيس الأساقفة : هكذا عرفتم دواعينا، كما عرفتم مداخيلنا. والآن،
يا أصدقائي النبلاء، أرجوكم أن تقولوا لي بكل صراحة
ما رأيكم في توقعاتي وآمالي وأنت يا مولاي مارشال،
ما قولك في هذا الموضوع؟

مويري : انا اوافق على لجوئنا الى حمل السلاح. غير أنني أحب
أن أفهم بوضوح أكثر كيف نتوصل بمواردنا الحاضرة
الى تأمين جبهة تتحلّى بالجرأة الكافية والصلابة اللازمة
لمجابهة جيش الملك القوي؟

هاستينكس : اذا وُضعت قواتنا الحالية في خطوط الدفاع تبلغ خمسة
وعشرين الف مقاتل من خيرة الرجال، فضلاً عن مدد
لا يستهان به نتظره من قبل نورثمبرلند العنيد الذي
يغصّ قلبه بسيل من الكراهية والبغضاء.

لورد باردولف : المسألة، يا لورد هاستينكس، تفرض السؤال التالي :
هل يستطيع الرجال الخمسة والعشرون ألفاً الجاهزون
الآن، أن يقوموا بالحملة بدون مساعدة نورثمبرلند؟
هاستينكس : بمعونته، أجل يستطيعون.

لورد باردولف : هذا صحيح. فاذا وجدنا أنفسنا اننا بدونه ضعفاء،
فراي أن لا نتوغّل في التقدّم بعيداً قبل أن يكون
المدد المرتقب قد أصبح في متناول يدينا. لأننا في
حال تورّطنا في المغامرة الدامية، علينا أن لا نعتمد
كثيراً على التمنيّات والآمال والافتراضات، وأن لا
نحسبها حقيقة أكيدة، وإلاّ وقعنا على مفاجآت مضنية
خاتمتها مخزنة.

رئيس الأساقفة : الحق الى جانبك، يا لورد باردولف، لأن هذا
الواقع هو وضع الشاب هاتسبر في شروز بري.

لورد باردولف : فعلاً، يا مولاي. فقد إنكل كثيراً على آماله،
وظنّ خطأً أن الوعود حقيقة ملموسة، واعتبر المدد
الموعود به كأنه حاصل عليه. فخابت أمانيه وفشلت
جميع توقّعاته، وبمخيلته الخصبة الموهوسة قاد رجاله

الى الموت والهلاك لأنه ألقى بنفسه في الهاوية وهو
مغمض العينين.

هاستينكس : اسمح لي أن أقول لك ان حسابات الأمور الممكنة
والآمال الوطيدة ليس منها أي ضرر.

لورد باردولف : قد ينجم عنها بعض الأذى، اذا لم تكن موارد
الحرب الفورية والقوى الضرورية لتقدّم أي هجوم
موجودة إلا في حيز الأمل نظير البراعم التي نراها
تبرز في أول الربيع فتحى إن شاهدها قد أثمرت،
يظلّ هناك هاجس خوف من أن يقضي عليها الجليد
المحتمل حصوله بقتة. عندما نريد أن نبني صرحاً،
ندرس أولاً طبيعة الأرض، ثم نرسم خريطته. وعندما
نتبين صلاحية مقومات المبنى، نبدأ في حسابات
تكاليف التشييد. فاذا وجدنا انها تتعدى امكاناتنا، ماذا
يسعنا أن نفعل؟ علينا أن نعيد رسم خريطتنا على أساس
تخفيض التكاليف وإلا أحجمنا عن مباشرة البناء. هكذا
في مشروعنا الهامّ الذي نُقدّم بموجبه تقريراً على هدم
عرش الملك، وإقامة غيره، يتحتّم علينا أن ندرس
الأرض ونصمّم الخطة ونختار الأساسات المتينة
ونستشير الخبراء ونتأكّد من كفاية مواردنا، لنوقن بما
اذا كنّا قادرين أو لا على تحقيق مثل هذا الانجاز
الضخم الذي ربما يفوق طاقتنا. وإلا كانت قوّاتنا
أرقاماً على الورق فقط، وبدلاً من الاتكال على زنود
الرجال، نتكل على أسماء أشخاص لا وجود لهم في
الواقع، نظير من يرسم خريطة بيت يريد أن يشيّده
رغم ان مصاريفه تتعدى إمكانياته. وبعد أن يبني قسماً
منه يجد نفسه مضطراً الى التوقّف عن إكماله بسبب

التكاليف الباهظة التي استنفدت مدّخره من المال قبل
إتمامه. فيتعرّض مشروعه الى ما يُلققه به المطر من
تلف لا سيما أثناء قساوة برد الشتاء وتلوجه العاتية.

هاستينكس : لنفترض ان آمالنا مبنية ظاهراً على ما يرام، وفاجأتها
عوائق غير متوقعة لتشلّ مساعيها. لنفترض أيضاً أننا
في وضع لا يجعلنا نترقب وصول أي جندي لمساندتنا.
أعتقد مع ذلك ان لدينا قوَّات يمكننا أن نعتبرها معادلة
لما في حوزة الملك.

لورد باردولف : ماذا تقول؟ أليس لدى الملك حوالى خمسة وعشرين
الف رجل؟

هاستينكس : أجل، ليس لديه عدد أكبر منه ليهاجمنا به، يا لورد
باردولف، حتى ولا عدد يعادله. لأنه، كي يتمكّن
من مواجهة الخطر الذي يتهدّده، عليه أن يقسم جيشه
إلى ثلاثة أجنحة : الأولى لمجابهة الفرنسيين، والثاني
لمقابلة كلانداور، والثالث يوجهه حتماً إلينا. مع العلم
ان خزائنه الخالية لم تعد تحوي مალأً لينفق على دعمها.

رئيس الأساقفة : ما عليه إلّا أن يجمع كل قواته المبعثرة هنا وهناك
ليسحقنا بثقلها، ولا داعي لأن نخشى ذلك مطلقاً.

هاستينكس : واذا تصرّف على هذا النحو يترك مؤخرته بدون حماية
من أعدائه الفرنسيين والوايلسيين الذين يطاردونه. فلا
موجب للخوف منه أبداً.

لورد باردولف : حسب الظواهر، من يقود قوَّاته لمهاجمتنا؟

هاستينكس : دوق لنكاستر وويستمورلند. وهو شخصياً مع هاري
مونموث يزحفان على الوايلسيين. ولكن من سينوب

عنه عندما سيواجه الفرنسيين؟ هذا ما لا يوجد لدينا
أي دليل على توقّعه.

رئيس الأساقفة : الى الأمام اذًا. ولنعلن أسباب لجوئنا الى السلاح.
لأن الشعب بات ضحية لإختياره هذا الملك. وهو نادم
على العطف الذي أحاطه به. وقد بنى صرح آماله
على رمال متحركة بدلاً من أن يوطدها على صخر
صلب. فما أغضب الشعب، وما أصعب الهتافات التي
رفعها الى عنان السماء عندما باركت انا بولينبروك.
لكن سرعان ما تبين للجميع انه ليس كما أملوا منه
أن يكون. والآن بعد أن قدّم لك ما تشتهي أيها
الأكول الشره، ازدردت الأطعمة حتى التخمة، ورحت
تحاول أن تردّ ما حشوت به معدتك بدون وعي.
وهكذا، أيها الأحق الجشع، لفظت من جوفك الواسع
خيرات الملك رتشرد، وها أنت جائع تحاول ابتلاع
ما ردّته أحشاؤك، وتطلبه بنباحك المزعج، يا حقير.
قل لي من نولي ثقنا في هذه الأيام العسيرة ليقودنا
الى شاطئ الخلاص؟ ان من تمنّوا موت رتشرد حين
كان على قيد الحياة يندبونه اليوم قرب ضريحه. وأنت،
يا من ألقيت قبضة من التراب على رأسه المجيد،
بينما كان يتقدّم في شوارع لندن لإبان الاحتفالات،
وهو يتهدّد خلف بولينبروك المتشامخ الذي كانت أنظار
الناس شاخصة اليه بإعجاب ووجوم، ها أنت تصرخ
الآن : ردّي النيا، أيتها الأرض، ذاك الملك الرحوم،
وخذي هذا الطاغية المتفطرس. تبّاً لمخيلات عبيد
الخنوع. آه، كم هو الماضي وكذلك المستقبل أفضل
من حاضرنّا الذي لا يرجي منه أي خير.

موبري : هل تريد أن نمضي ونرافق جنودنا لنشترك معهم في
خوض المعركة؟

هاستينكس : نحن رجال هذه اللحظة الحرجة، وهذه اللحظة تدعونا
إلى الذهاب لنلاقي مصيرنا الذي نرجو أن يكون
مجيئاً.

الفصل الثاني

المشهد الأول

في أحد شوارع لندن

(تدخل المضيفة ويتبعها كريف وخادمه ثم بياج).

المضيفة : ماذا فعلت، يا أستاذ كريف؟ هل سجّلت هذه الدعوى؟

كريف : أجل، سجّلتها.

المضيفة : أين مساعدك؟ هل هو موظف نشيط؟ هل يستطيع

إثبات وجوده؟

كريف (لخادمه) : أين بياج، أيها الأحقر؟

المضيفة : تقصد الأستاذ بياج الظريف؟

بياج (وهو يتقدّم) : ها أنذا.

كريف : يا بياج، علينا أن نوقف سرّ جون فالستاف.

المضيفة : لقد كلّفت الأستاذ بياج بإقامة الدعوى وإجراء اللازم.

بياج : قد ندفع ثمن هذا الأمر حياة أحدنا، لأن المذكور

لن يتردّد في اللجوء الى خنجره.

المضيفة : رحمتك اللّهمّ. حذار منه. لأنّه قد طعنني بمديته في

عقر داري بشكل ليس أوحش منه. في الحقيقة، هو

لا يحجم عن ارتكاب أي جرم عندما يشهر سلاحه.
اذ يطعن كأنه شيطان، ولا يتردد في جرح أي رجل
او امرأة أو ولد على السواء.

كريف : اذا استطعت أن أتخلص منه لن أهاب أبداً شراسته.

المضيفة : وأنا كذلك. ولن أتأخر عن مساعدتك في ذلك اذا
اقتضت الحاجة.

كريف : آه، لو استطعت أن أشلّ حركه بالتقاطه بين ذراعيّ.

المضيفة : غيابه يجزّ عليّ الخراب، لأنه مدين لي بمبلغ كبير.

عزيزي الأستاذ كريف، أملكُ به جيداً. وأنت، يا
عزيزي الأستاذ بياج، لا تدعه يهرب. لأنه لا ينقطع
عن الذهاب الى المرحاض، مع احترامي شخصك
الكريم، بحجة انه مصاب بالإسهال. وهو مدعو الى
تناول طعام العشاء في حانة رأس الفهد، الواقعة في
شارع لومبارد، عند المعلم « لودو » تاجر الحرائر.
فأرجوك أن تطلب منه تبرير تغيّيه، بما ان شكواي
مسجلة وقضيتي يعرفها الجميع. معلوم ان مئة مارك
تشكل مبلغاً كبيراً بالنسبة الى امرأة مثلي فقيرة وحيدة
لا معيل لها. وقد طال انتظاري ساعة الفرج الى ما
لا طاقة لي على تحمّله. والتأجيل يلاحقني، ويلاحقني
باستمرار، من يوم الى يوم بدون انقطاع حتى أصبح
من العار أن لا أفكر بذلك جدّياً. لأنني لا أجد شهامة
في هذا التسويف والمماطلة. فأملّي أن لا يظنني أحد
غيبّة أستحق الاهانة والإذلال بكيله لي انا المرأة
الضعيفة، أول قادم الى بيتي. ها هوذا أت وبرفته
المحتال باردولف صاحب الوجه المشووم. أرجوك،

يا أستاذ بياح، أن تقوم بوظيفتك، وأنت كذلك يا أستاذ كريف. وألتمس من كليكما بالاحاح أن تجرياً ما يلزم لصيانة حقوقي.

(يدخل جون فالستاف وغلّامه ثم باردولف).

فالستاف : أيها السامعون، من أضاع فرسه هنا؟ ماذا جرى؟
كريف : يا سرّ جون، أنا أوقفك بناءً على شكوى السيدة كويكلي.

فالستاف : ابتعد عني، أيها الخادم الفقير. أرجوك، يا باردولف، ان تقطع لي رأس هذا الشقي، وأن تلقني بهذه العاهرة الى القناة.

المضيفة : تريد أن يلقي بي الى القناة؟ انا سأرمي بك الى القناة. حذار أن تأتي بحركة، أيها اللقيط البغيض، أيها القاتل، أيها المجرم، أيها الدجّال. هل تنوي أن تقتل من يخدم الله والملك؟ تبّأ لك من طاعية، يا جلّاد الرجال والنساء.

فالستاف : أرجوك يا باردولف، ان تبعدها عني.
كريف : استخدم كل قوتك وشدة بأسك، وسترى...
المضيفة : يا أهل الخير، ساعدوني... ألا تريد؟ آه منك، أنت لا تودّ... تبّأ لك من قاتل خسيس.
فالستاف : ابتعد عني، يا دودة قلدة، يا كلبة نجسة وإلّا حطمت رأسك العنيد.

(يدخل اللورد كبير القضاة وحاشيته).

كبير القضاة : من يقف هنا؟ احترموا أصحاب المقامات السامية وهذا المكان المسالم.

المضيفة : يا مولاي اللورد، أرجوك أن تعطف عليّ، وأن تمدّ لي يد المساعدة.

كبير القضاة : ما هذه الضجة التي تثيرها هنا، يا سرّ جون؟ هل يليق بك أن تتصرف هكذا، يا صاحب المقام الرفيع، أثناء تأديتك واجبك؟ كان من المفروض أن تسير الآن على طريق يورك. (للحاجب) أتركه، يا صاح، لماذا أنت متمسك به؟

المضيفة : أيها اللورد الوقور، أنا أرملة مسكينة من ضاحية إيست شيب، وقد أوقف هذا الرجل بناءً على طلبي. كبير القضاة : بدون شك، لأن لك بدمته بعض المال.

المضيفة : المبلغ ليس بعض المال، بل كل ما أملك، يا مولاي. فقد أخذ مني البيت وما فيه، وابتلع كل مقتناي وحشا به كرشه الضخم. لكن لا بدّ من أن يردّ لي قسماً منه على الأقل، أو أظلّ وراءك طوال الليل والنهار، وأطاردك نظير وحش مفترس.

فالساف : بل الأحرى أن أكون أنا هذا الوحش الضاري الذي يفرعك نظراً الى ضخامة بدني.

كبير القضاة : ما معنى هذا الكلام، يا سرّ جون؟ تبّاً لك من رجل غليظ ثقل الظل، لا سبيل الى تحمّل بلادتك وإهاناتك. أولاً تستحي من مضايقة هذه الأرملة المسكينة وحملها على اللجوء الى مثل هذا اللاحاح لاسترداد مالها؟

فالساف (للمضيفة) : ما هو المبلغ الاجمالي المتوجّب لك عليّ؟ المضيفة : تبّاً لك ولمالك، يا حارس الجثث التنتة لأنك شخص غير شريف. لقد أقسمت لي أغلظ الايمان وأنت جالس في غرفتي حول مائدة مستديرة بقرب نار فحم يوم

الأربعاء من أسبوع العنصرة حين شقَّ الأمير رأسك
 إذ شَبَّهْتَ والده بمنشد وندسور. أجل أقسمت لي
 حين غسلت لك جرحك أنك ستزوجني وأنك
 ستجعلني شريكة حياتك. لا يسعك أن تنكر الآن
 ذلك. أما دخلت زوجة اللحم آنذاك ودعني السيدة
 كويكللي؟ عندما جاءت تستعير مني زجاجة خلّ قائلة
 أنها تجهّز صحن فريديس وطلبت منها أن تسكب لك
 قليلاً منه لتذوّقه. فحذّرتك أنا من أن الجريح إذا أكل
 منه ينوبه بعض الضرر. وحالماً نزلت ألم تقلّ لي
 أن لا أدع الإلفة تسود بيني وبين من يعتبروني قوادة؟
 ثم ألم تقبلني وأنت تطلب مني أن آتيك بثلاثين شلناً؟
 والآن أتحدّثك وأطلب منك أن تقسم لي على الكتاب
 المقدس، إذا واصلت إصرارك على نفي صحة كلامي
 هذا.

فالسّاف : أنها مجنونة بلهاء، يا مولاي. إذ تذيع في كل أنحاء
 المدينة أن ابنتها يشبهك وإن وضعيتها كانت ممتازة،
 وأن الفقر دهورها إلى هذه الهرة الكثيرة. أمّا هؤلاء
 الموظفون المناحيس، فأرجوك أن تسمح لي بالقول
 انهم أوغاد يثيرون في أعماق صدري مزيداً من الغيظ
 والنفور كلما طرق سمعي ذكرهم البغيض.

كبير القضاة : يا سرّ جون، أنا أعرف جيداً أسلوبك في تشويه
 الحقائق، وأعرف طريقتك في تأكيد الادعاءات التي
 تخرج من فمك جزافاً. يبدو لي إنك تستغلّ سذاجة
 هذه المرأة وسرعة تصديقها ما تسمعه لتصل إلى
 أهدافك السافلة وتنال مأربك من شخصها وكيس
 نقودها.

المضيضة : هذه هي كل أمنيته، يا مولاي.

كبير القضاة : أرجوك أن تلزمي الهدوء، يا امرأة. وأنت عليك أن تسدّ لها ما تطالبك به من مال، وأن تعوّض ما سبّته لها من أضرار. يمكنك أن تدفع لها بالعملة الأسترلينية وتحمّل القصاص المتوجب عليك عادةً في مثل هذه الأحوال راضياً.

فالسّاف : لن أمثّل لأمرك بدون اعتراض. لقد وصفت صراحتي الشريفة بالوقاحة، فهل يعقل أن يقدم الرجل الفاضل خضوعه بدون أن ينيس بينت شفة؟ كلا، يا مولاي. وبما اني أحفظ لك أسى الاعتبار، لن أخاطبك متوسّلاً، بل أصارحك بأنني أودّ التخلّص من هذه الورطة، لأنني مدعو للالتحاق بخدمة الملك بأسرع ما يمكن.

كبير القضاة : أنت تتكلم كأنك حرّ في عمل الشرّ على هواك. أجنبي بصورة تليق بأخلاقك العالية وترضي هذه المرأة المسكينّة المحقّقة.

فالسّاف : تعالي الى هنا، أيتها المضيضة.

(يأخذ المضيضة جانباً).

(يدخل كوّار).

كبير القضاة : ما وراءك من الأخبار، يا أستاذ كوّار ؟
كوّار (يقدم ورقة لكبير القضاة) : يا مولاي، ان الملك وهنري أمير وايلس مزمعان أن يصلا قريباً الى هنا. وهذه الورقة تفصح لك عن الباقي.

(كبير القضاة يقرأ الورقة).

فالمستاف (يخاطب المضيفة): أصرّح لك بكل صدق واخلص...

المضيفة : هذا ما كنت تؤكد لي سابقاً.

فالمستاف : صدّقني، لأنّي أخاطبك كرجل محترم وكفى.

المضيفة : بحق الأرض المباركة التي أمشي عليها، سأضطر الى رهن فضيّتي وجدرانّي الموجودة في غرفة الطعام.

فالمستاف : جلّ ما نحتاج اليه اليوم للشرب هي الكؤوس

الرجاجية، اما حيطانك فلا يقتضيها جدرانّات كالتي تمثّل الابن الشاطر أو الصيد الألماني المرسومة بألوان غير مألوفة، وتساوي أكثر الف مرة من ستائر السرير التي ترك عليها الذباب آثاره القذرة، ولا تتعدّى قيمتها عشر ليرات حسب أغلى تقدير. هيا سهلي الأمور.

فلولا مزاجك السمج لما كان في كل انكلترا فتاة أفضل منك. اذهبي واغسلي وجهك واسحبي شكواك. لا بد لك من أن تغيّري لهجتك حيالي. أولاً تعرفيني بعد...؟ هيا هيا. أنا أعلم بأنك سلكت هذا السبيل متأثرة بترّهات سواك.

المضيفة : أرجوك، يا سرّ جون، أن تصدّقني عندما أوكد لك ان عشرين نبيلاً لا يضاهونك في القيمة، وإلا اضطررت في الحقيقة الى رهن فضيّتي بصورة مستعجلة.

فالمستاف : دعينا من هذا التفكير الهزيل، ولّا غيّرت رأيي فيك. وتكونين عندئذٍ قد تصرّفت بحماقة وغباء.

المضيفة : ستقبض الثمن عندما أرهن ثوبي. فألمي أن تأتي لتناول طعام العشاء معي، وستدفع فيما بعد.

فالمستاف : من يعيش يرّ. (لباردولف) اذهب برفقتها، وأزّم الشباك.

المضيفة : هل تقبل بأنّ تعشى معنا دوروثي تروذرا؟

فالتفاف : لا مانع لديّ، نادرها.

(تخرج المضيئة ويتبعها باردولف والموظفون والغلام).

كبير القضاة : الآن بلغتني أخبار سارة.

فالتفاف : وما هي هذه الأنباء، يا عزيزي اللورد؟

كبير القضاة (للكوار) : أين يُزعم الملك أن ينام هذه الليلة؟

كوار : في باشتنكستوك، يا مولاي.

فالتفاف : أمل، يا سيدي، أن تسير كل الأمور على ما يرام...

ما وراءك من الأخبار، يا صاحب؟

كبير القضاة (للكوار بدون أن ينظر الى فالتفاف) : هل استرجع كافة قوّاته؟

كوار : لا، فقط ألف وخمسمئة رجل من المشاة وخمسمئة

من الفرسان، سينضمّون الى مولاي لنكاستر ليزحفوا

نحو نورثمبرلند ورئيس الأساقفة.

فالتفاف (لكبير القضاة) : هل الملك عائد من منطقة وايلس، يا مولاي

اللورد النبيل؟

كبير القضاة (بدون أن ينظر الى فالتفاف) : ستصلك مني رسالة بعد

ساعة من الزمان. هيّا رافقني، يا عزيزي الأستاذ كوار.

فالتفاف : مولاي...

كبير القضاة : ماذا جرى؟

فالتفاف : (بدون أن ينظر الى القاضي) : الأستاذ كوار يدعوك الى

تناول طعام الغداء معه.

كوار : أنا هنا رهن إشارتك، يا مولاي. شكرًا، يا سرّ جون.

كبير القضاة : أنت تقضي هنا مدة طويلة في البحث عن رجال

تجنّدهم في معظم الأنحاء التي تجوبها.

فالتفاف (بدون أن ينظر الى القاضي) : هل تريد، يا أستاذ كوار، أن

تناول معي طعام العشاء؟

كبير القضاة : أسأل الله أن ينير عقلك، لأنك حقاً غبي كبير.
(بخرجون).

المشهد الثاني

في شارع آخر من لندن

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

الأمير هنري : صدّقني، أنا منهوك القوى من شدة التعب.
بوينز : هل هذا ممكن؟ لا يعني أن أصدق أن الإرهاق
يمكن أن يحلّ بشخص رفيع المقام نظيرك.
الأمير هنري : لا أنكر أن هذا التصريح قد يسود صفحة مكاتي
السامية. هل يليق بي أن أتوق الآن الى تجرّع قليل
من الجعة؟

بوينز : طبعاً على الأمير أن لا يتذكّر هكذا أن في الوجود
ميراً الى مثل هذا المسكر الخفيف.

الأمير هنري : أظن أن شهيتي ليست في مستوى أمير مثلي، لأنني
فعلاً أتذكّر وأشتهي احتساء قليل من هذا المشروب
البسيط. لكن مثل هذه الفكرة في الواقع تتعارض وسموّ
مقامي. فما أحقر أن أتذكّر اسمك وأن أتعرف غداً
الى محياك وأن ألاحظ كم من جوارب الحرير تقتتي
وان هذا لونه رمادي وأن أتذكّر كم قميصاً لديك
للزينة والحفلات وللاستعمال العادي. لكن سواي في
هذا الموضوع يلم بمعلومات أوفر مني. وعلى ما أرى

الغلام : حالاً يا مولاي. فقد ناداني من خلال كوة الحانة الحمراء. وهكذا لم أستطع تمييز ملامح وجهه. أخيراً توصلت الى مشاهدة عينيه، وأعتقد أنه وسع الثقبين في قناع خادمة الحانة الجديد الذي استعمله وراح يتطلع من خلالهما.

الأمير هنري : ألم يستفد هذا الصبي من الواقع؟
باردولف : اليك عني، يا ابن الزانية. إنك غيبي أحق.
الغلام : بل ابتعد أنت عني، يا حلم الدجال المشؤوم.
الأمير هنري : أفدنا، يا غلام، ما هذا الحلم الذي تتكلم عنه؟
الغلام : يا مولاي، أبصر الدجال في حلمه أنه أنقذني من جمرة محرقة. لذلك أدعوه حلم الدجال.
الأمير هنري (يعطي الغلام نقوداً) : هذا التفسير يستحق قطعة نقود.
فخذها يا غلام الحظ السعيد.

بوينز : أرجوك أن تصون هذه الوردة من الزبول. وها هذا ستة فلوس لشتري ما تشتهي.

باردولف : اذا لم تتفقوا كلكم على شئفه، فلن تستقيم الأمور.
الأمير هنري : كيف حال معلمك، يا باردولف؟
باردولف : يا مولاي، لقد اعتاد العودة الى المدينة كي يظل تحت رعايتك. هذه الرسالة موجهة اليك.

بوينز : لقد حظيت انا باحترام فائق. فكيف حال معلمك سان مرتان خلال هذا الصيف الحار؟

باردولف : جسمياً لا بأس به، يا سيدي.
بوينز : طبعاً، هو يحتاج عقلياً الى طبيب ماهر. لكن الأمر لا يهتم كثيراً. ومهما كان مريضاً، لا خوف عليه من أن يموت قريباً.

الأمير هنري : أنا أعتقد ان هذا الجو يلائمني، كما هو حال كلي
الأليف، وهو من جهته يصرّ على استخدام امتيازاته.
بما أنه يكتب اليّ هذا الكلام.

(يسلم بوينز رسالة).

بوينز (يقراً) : « جون فالستاف، فارس... » لا بد من أن يعلم بذلك
كل الناس، كلما سنحت له الظروف بذكر اسمه.
تماماً نظير أنساب الملك، هؤلاء الذين لا يسهون،
كلّما سالت نقطة دم من إصبعهم، عن التردد : « ها
هوذا دم ملكي ينزف منّا ». فلا يتأخر من يسمعهم،
عن الاستفهام : « وكيف تمّ ذلك ؟ » اما الجواب
فهو دائماً جاهز مثل الاحترام الذي يديه من يود
اقتراض بعض المال، وأردّده أنا الفقير ابن عمّ الملك،
يا سيدي.

الأمير هنري : ها ها، كثيرون يودّون أن يكونوا أقرباء، ولو أوصلوا
نسبهم البعيد الى يافث بن نوح. لكن، ما هو محتوى
هذا الرسالة؟

بوينز (يقراً) : « من الفارس سرّ جون فالستاف، الى ابن الملك،
أقرب وريث لأبيه، هاري أمير وايلس، تحية
واحتراماً »، لعمرى، تبدو هذه الكتابة كأنها شهادة
نسب.

الأمير هنري : مهلاً مهلاً.

بوينز : « أنا أريد أن أقلّد النبيل الروماني في إيجازه... » طبعاً
يقصد إيجاز النفس، واختصار التنفّس... » جت
التمس رضاك، وأسأل السماء أن تباركك. ثم
استأذّنك بالانصراف. لا ترفع الكلفة بينك وبين بوينز

خشية أن يمعن في ابتزاز عطفك ورعايتك وهو يطمع
بامتياز الاقتران بشقيقته نيلِي. لكن، كن يقظاً وحذراً
لا سيما في فترات تفكيرك وتأملك بما يجري حولك.
أودعك، وأنا أتفحص أساليبك أثناء تدبير أمور
محيطك. التوقيع : جاك فالستاف بالنسبة الى المقربين
التي، جون بالنسبة الى أخوتي وأخواتي، وسرّ جون
بالنسبة على علاقاتي في أنحاء أوروبا. ما رأيك، يا
مولاي، بأن أنقع هذه الرسالة في الخمرة وأن أسقيه
خلاصتها؟

الأمير هنري : هكذا تجبره على ابتلاع عشرين من كلماته... ولكن
هل تريد أن تعاملني هكذا، يا ادوارد؟ هل تودّ فعلاً
أن أقترن بشقيقتك؟

بوينز : أتمنى لأختك أن لا يكون حظها هكذا سيّئاً، إذ اني
لم أبدِ مطلقاً مثل هذه الرغبة.

الأمير هنري : لا تأبه لهذا الكلام. فكم نداعب أمانينا كالمجانين.
وها هي أرواح العقلاء ترفرف فوق السحاب وتهزأ
بمشاريعنا... هل معلمك موجود هنا في لندن؟
باردولف : أجل، يا مولاي.

الأمير هنري : وأين ينوي أن يتعشى هذه الليلة؟ ألا يزال كالخنزير
البرّي المسمّن يأكل دائماً وهو يتعرّغ في أحواله
اللزجة؟

باردولف : نعم، يا مولاي، في مقرّه القديم في إيست شيب.
الأمير هنري : ومن يصحبه هناك؟

الغلام : جماعة المستهترين القدماء، يا مولاي.

الأمير هنري : وهل بمعيته بعض النساء لمشاركته العشاء؟

الغلام : ولا واحدة، يا مولاي، ما عدا السيدة كويكلي المسنة
والسيدة دوروثي تروذرا.

الأمير هنري : ومن هي هذه النكرة المجهولة؟

الغلام : هي سيدة محترمة ونسبية معلمي، يا مولاي.
الأمير هنري : نسيته تماماً كما تنتسب عجلة الرعية الى ثور القرية...

ما رأيك أن نفاجئهم أثناء العشاء، يا ادوارد؟
بوينز : انا مستعد أن أتبعك كظلك، الى حيثما تذهب، يا
مولاي.

الأمير هنري : أوصيكم، أنت أيها الغلام، وأنت يا باردولف، بأن
لا تفوها بكلمة واحدة أمام معلمكما عن عودتي الى
المدينة. خذا هذا اكراماً لصمتكما.

(يناولهما بعض النقود).

باردولف : انا لن أفك عقدة لساني، فاطمئن يا مولاي.
الأمير هنري : الوداع اذاً. هيا اذهبا. (يخرج الغلام وباردولف). لا بد
من أن تكون دوروثي تروذرا هذه مطية عامة.
بوينز : أؤكد لك انها عامة تماماً نظير طريق سان ألبان المؤدي
الى لندن.

الأمير هنري : كيف يتسنى لنا أن نشاهد فالستاف يتصرف هذه الليلة
على سجيته بدون أن يرانا؟
بوينز : سنرتدي سترات ومآزر من الجلد، وسنخدم المائدة
كالغلمان.

الأمير هنري : ومن وريث عرش، سأتحول الى خادم. ما هذا الانحدار
الفظيع؟ هكذا كان مصير الاله المشتري. هو الأمير،
أسمى كالأجير. ما هذا التحول البذيء الذي سيكون
من نصيبي؟ على كل حال ستعوض النتيجة عن هذا

الابتذال الذريّ، لأن النهاية الناجحة تبرّر الوسيلة
الوضيعة، يا ادوارد.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في واكوزث امام القصر

(يدخل نورثمبرلند وزوجته السيدة نورثمبرلند ثم السيدة برسي)

نورثمبرلند : أرجوك، يا زوجتي الحبيبة، وأنت يا ابنتي العزيزة،
أن تفسح المجال لرغباتي الغريبة، ولا يتجهّم وجهكما
بسبب الأحوال الحاضرة ولا تفعلًا مثلي عندما تضايقان
برسي.

السيدة نورثمبرلند : انا منذ الآن أنوي أن لا أنبس بينت شفة. فافعل
ما تريد، ولكن حكمتك دليلك في تصرفاتك.
نورثمبرلند : يؤسفني، يا زوجتي العزيزة، أن تتأثر شهامتي بالموقف
الذي أتخذه، ولا شيء يصونها مثل ذهابي حالاً لا قاتل.
السيدة برسي : مع ذلك، أرجوك، بحق السماء، أن لا تشترك في
هذه الحرب. بالماضي اضطرت مرةً الى نقض
وعودك، مع انك كنت متحفّظاً آنذاك أكثر ممّا أنت
عليه في الوقت الحاضر. وعندما ألقى صديقك برسي،
أي هنري حبيب قلبي، نظرة نحو الشمال ليري

ما إذا كان والده يأتيه بالجنود لنجدته، أدرك أن لا جدوى من انتظاره العقيم، وتنهّد من أعماق صدره. من جعلك تصمّم في ذلك الحين على البقاء في بيتك وعدم الذهاب؟ لقد ردّعتك فقدان إكليّين من غار المجد، أحدهما لك والآخر لولدك. أما إكليّك، فأسأل السماء أن تعيده لك في أبهى روعته. لكن إكليّله هو معلق بمجدك نظير الشمس في كبد القبة الزرقاء. وعلى هدي أنواره سأردّ فرسان انكلترا المتبعين اسمي السبل الى المعالي. وقد تجلّى كمرآة نقية ينعكس على صفحتها نبل الشبيبة أمل المستقبل، والجميع تبعوا خطاه، ولهجته القاسية التي أبرزتها الطبيعة الخشنة أضحت لغة كل الشجعان. لأن هؤلاء الذين كانت أصواتهم خافتة ومترنة تصحّحت وباتت نقيصتها صفة حميدة بمجرد البشّة به. حتى غدت اللهجات والأنظمة والأذواق والميلذات والعادات العسكرية وبمادئ الأخلاق كلها تعكس كالمرآة صور النسخة والكتاب، كأنها قدوة الآخرين بدون استثناء. وكان هو، هذا الفذّ، هذا الانسان العجيب، المثال الذي تخليّتم عنه. هو الذي لم يكن له مثيل، لم تساندوه بشكل من الأشكال. بل تركتموه يواجه وحده شراسة الحرب بكل فظائعها وويلاتها. فاضطر بمفرده الى خوض ساحة القتال ومجابهة المقاتل الصاحب هاتسبر. وهكذا تخليّتم عنه الى مصيره الأليم. لا، لا، يتحتم عليكم الآن ان تحكموا ضميركم وتقوموا بواجبكم وتهبوا الى مناصرته دون سواه. دعوا أخصامه لمصيرهم ولا تساندوا أحداً غيره. فالمارشال ورئيس

الأساقفة لا تنقصهما القوة. ولو كان الى جانب حبيبي
هاري نصف ما لديهم من رجال مسلحين، لسنني
لي اليوم وأنا متشبّثة بمعانقة عزيزي هاتسبر، ان أتكلّم
عن ضريح مونموث.

نورثمبرلند : تبا لقلبك الشغوف، يا ابنتي اللطيفة. فأنتِ تنتزعين
مني بسالتي إذ تذكّرني بأخطائي القديمة. لكن مع
ذلك يجب عليّ أن أذهب وأجابه الأخطار، ويمضي
هو الى مكان آخر يبحث عني، وسيجدني أقلّ استعداداً
مما يجب.

السيدة نورثمبرلند : يمكنك أن تهرب الى اسكتلندا حتى يلمس
البلاء ومجلس العموم والمسلحون مدى قوّتهم عندما
يُقدمون على أول مواجهة.

السيدة برسي : اذا كتب لهم النجاح والتفوق على الملك، يمكنك أن
تنضمّ اليهم، وتساند جبهة متينة كالقودلا لتدعم
موقفهم. لكني أتوسّل اليك واستحلفك بما تكته لي
من الحب أن تدعهم يحاولون أولاً. هكذا تصرف
ابنك، وهكذا تركته انا يتدبّر أمره، وهكذا أصبحت
أرملة. ولن يمدّ الله في عمري لإرواء غليل أسفي
بدموع الحسرة والأسى فتزداد آلامي حتى يبلغ نحبي
عنان السماء، وأنا أندب حظ زوجي النبيل المتوفي.

نورثمبرلند : هيا تعالي معي. لأن نفسي تشبه المدّ الذي بلغ ذروته
ووقف حائراً بين اتجاهين. أنا مستعد للذهاب طوعاً
الى رئيس الأساقفة. لكن ألفاً من الأسباب تقف حائلاً
في سبيلي لتمنعني عن الوصول اليه. لذلك قررت أن

أرحل الى اسكتلندا وأن أبقى هناك حتى تتيح لي
الظروف أن أعود الى هنا.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في حانة هُور بضاحية إيست شيب قرب لندن.

(يدخل غلامان يخدمان في الحانة).

الغلام الأول : ماذا تحمل، يا صاح؟ هل هذه إحصاءات غير ناضجة؟
وأنت تعرف جيداً أن سيدي جون لا يحبها كثيراً.

الغلام الثاني : بدمتي، صدقت. لقد وضع الأمير أمامه مرة صحن
إحصاء غير ناضج وقال له : هذه خمس إحصاءات
إضافية. وخلع قبعته وزاد قائلاً : والآن أستأذن
بالانصراف هؤلاء الفرسان الستة، منهم الأصفر
والمستدير والرجعي والمجعد. فقد ألهم هذا
الحديث، ولم يغب عن بالهم أبداً ما سمعوه.

الغلام الأول : إذاً، عليك أن تغطّيها وتنقلها الى مكان آخر. واجتهد
أن تبعد ضجة المدعو سُورُنُوا الى زاوية أخرى، لأن
السيدة تروذرا تريد أن تستمع الى قليل من الموسيقى.
عجل، فالغرفة التي تناول المدعوون فيها طعام العشاء
يسودها الحرّ الشديد، وهم على وشك أن يأتوا الى
هذا المكان.

الغلام الثاني : الأمير والمعلم يوينز سيحضران الى هنا بعد لحظة

وكل منهما يرتدي سترتنا ومئزرنا المصنوعين من
الجلد، بدون أن يدري سرّ جون بالأمر. هذا ما أسره
التي باردولف حين جاء الى هنا.

الغلام الأول : بذمتي هذه قصة مسلّية ومهزلة ممتازة.

الغلام الثاني : أنا ذاهب لأبحث عن سورنوا.

(يخرج).

(تدخل المضيقة ودوروثي تروذرا).

المضيقة : ورتي، يُخَيِّلَ اليّ، يا قلبي، انك في غاية الارتياح.
وخفقاتك تنبض كأنك تحظى بأحلى أمانيك، وأنت
تباهي كأنك وردة حمراء زاهية. لكنك تبدو كما
لو ارتشفت خمرة ممتازة تقطر نشوة قبل أن يمكننا
أن نسألك ما بك؟ وكيف الآن حالك؟

دوروثي : أنا أفضل حالاً مما كنت عليه منذ هنية.

المضيقة : بل على أحسن ما يرام. لأن القلب الطيب يساوي
ثقله ذهباً. ها هوذا جون قد أتى.

(يدخل فالستاف وهو يغني).

فالستاف : عندما يظهر أرثور في البلاط الملكي،
لا بدّ من السهر آناء الليل، لأنه كالفلكي،
كأن ملك الفضاء لا يتدمر ولا يشتكي.

(يخرج الغلام).

فالستاف (بواصل كلامه) : كيف حال السيدة دُمية؟

المضيقة : جسمها الآن غير مرتاح لأنها تتقيأ، كما تعلم بسبب
حملها.

فالسّاف : هكذا كل النساء في هذه المرحلة سواء، حين يجروُن
على تخطّي بعض الحدود، معظمهنّ يشعُرُن بالأعراض
ذاتها.

دوروثي : تباً لك من بائس كسول. هل هذه هي كل الكرامة
التي تقدمها لي؟

فالسّاف : كم تسعّين من تعاشرين بالغذاء، أيتها السيدة دوروثي؟
دوروثي : هل أنا أسعّتهم؟ الذنب ذنب شراهم التي تنفخهم
وترضهم، وليس ذنبي أبداً.

فالسّاف : اذا ساعد الطاهي على شحذ الشراة، فأنت يا دمية،
تساعدن العلل على مدهمة الأبدان. لذا تعلّما منك
أموراً كثيرة كما أخذنا عنك أفكاراً شتى. أولاً توافقين
على استتاجي هذا، يا صاحبة الفضيلة الهزيلة؟

دوروثي : أجل، ثم تأخذون، أيها الطامعون، سلاسلنا ومجوهراتنا
أيضاً.

فالسّاف (وهو يدمم) : كذلك عقودكن ولآلكن وأحجاركن
الكريمة... لكي يُظهر الشجاع بسالته، عليه أن يتقدّم
بخطي ثابتة، ويسير غير هيّاب على الوعر، ورمحه
مسدّد بيراعة. وحين يحتاج الى الجراح، عليه أن لا
يخشى مبضعه، وعندما يغامر في الهجوم، أن يتوجّه
بجسارة الى هدفه ولا يخطئه.

دوروثي : اذهب واشنق نفسك، أيها الوقح الخسيس.

المضيّفة : عدنا الى عادتنا القديمة. فأنتما لا تلتقيان بدون أن
تختلفا في الرأي. لأنك، ورّتي، أكثر خشونة من
مسلّات قنفذ خائف. ولا تستطيعان كلاكما أن يتحمّل

أحدكما الآخر. (لدوروثي). على كل واحد منكما أن يتحمل رقيقه، وعليك أنتِ بنوع خاص أن تتحفظي لأنك المركب الأضعف، كما يقال.

دوروثي : وهل يقوى المركب الضعيف الخفيف على حمل خزان ضخم ملآن كهذا؟ وعليه حمولة من الخمرة الجيدة، وأنت لم تشاهد في حياتك مركباً محملاً بأثقال هائلة؟ هيا لننظر أصدقاء، يا جاك، لأنك ستذهب الى الحرب، فان رأيته أو لا، لا يهمني أمرك مطلقاً.

(يدخل الغلام).

الغلام (فالساتف) : يا سيدي، القائد يستولي هو تحت ويريد أن يكلمك.

دوروثي : ليذهب هذا المشاغب الى الجحيم. لا أريد أن يدخل الى هنا. فهو أحقر صعلوك عرفته، ولا أرذل منه في كل انكسار.

المضيفة : اذا كان مشاغباً مشاجراً لا تدعه يدخل الى بيتي، على كل حال. لا، لا بد لي من أن أعيش بين جيراني. ولا أريد أن أرى المشاجرين المزعجين. فان سمعتي طيبة وصيتي حسن بين الناس المحترمين. أغلق الباب، ولا داعي لوجود المشاغبين في هذا المكان الهادئ النظيف. أنا لم أعش حتى اليوم لكي أحتك بالمشاجرين. أرجوك أن تغلق الباب جيداً.

فالساتف : إسمعي، أيتها المضيفة...

المضيفة : أرجوك أن تطمئن بالأى، يا سرّ جون، فلن يدخل الى هنا أحد من المشاغبين.

فالساتف : هذا هو قائدي.

المضيفة : لا تكلمني، يا سرّ جون في هذا الموضوع. ان قائدك المشاجر لن يتخطى عتبة بيتي. كنت من كم يوم بصحبة الأستاذ « آتك » النائب في المجلس، فقال لي نهار الأربعاء على أبعد تقدير : يا جارتني كويكلي، استقبلي المدنيين فقط دون سواهم، لأن سمعتك ليست على ما يرام. وأنا أعلم لماذا قال لي هذا... أنت مع ذلك امرأة شريفة ومحترمة. وبالتالي عليك أن تأخذي حذرک من الضيوف الذين تستقبلينهم. وإياك أن تقبلي في دارك أشخاصاً مشاغبيين. لا تتركي أحداً منهم يطلأ عتبتك. لبتك سمعت ما كرّره لي مراراً عديدة من هذا القبيل. ولذا أنا لا أريد أن يزورني أي مشاغب.

فالسّاف : هذا ليس من المشاجرين، يا أيتها المضيفة. انه مختلس لا ينجم عنه أي أذى. ويمكنك أن تداعيه كأنه أرنب صغير، ولا يسعه أن يشاكس دجاجة مسكينة. لا، لا يمكنني أن أفكر في هذه الفئة من البشر.

دوروثي : هذا صحيح، أيتها المضيفة.
المضيفة : أليس كذلك؟ بشرفي، أنا ارتعش كورق الخريف ولا أطيق مشاهدة المشاغبيين.

(يدخل يستولي وباردولف والغلام).

بيستولي : حفظك الله، يا سرّ جون.
فالسّاف : أهلاً بك ومرحباً، أيها القائد بيستولي. تفضّل إشرب هذه الكأس من الخمرة على حساب مضيفتنا.
بيستولي : يا سرّ جون، يسرني أن أشرب كأسين على حسابها.

فالمستاف : هي لا تحبّ التجاوزات، يا مولاي. فلا تحاول إغاضتها.

المضيفة : لا، أنا غير موافقة على اعمالكم ولا على شربكم. ولن ابتلع ما لا يعجبني. ولن أساير طبعاً أي رجل يسعى إلى إغرائي.

بيستولي : اذاً سأحوّل جهودي اليك، يا سيدتي دوروثي.
دوروثي : لا تحاول استدراجي. فأنا أكرهك، أيها الغبي الأحمق. اليك عني أيها التّن، أنا لست من نصيب أحد سوى معلمك.

بيستولي : أنا أعرفك، يا سيدتي دوروثي.
دوروثي : ابتعد عني أيها الشقي الماكر، أيها اللص المحتال. ان قدّمت لك هذه الكأس من الخمرة لن أتردّد في تسديد هذا السكين الى صدرك الحقيّر، اذا حاولت أن تتعدّى حدود اللياقة حيالي. اليك عني أيها المتشرّد، أيها المقامر السافل. متى تقرّبت اليك، أيها المنافق، ولو كان كففاك مزوّدّين بالأشرطة؟ هذا لا يهمني لأنّي أحتقرك، أيها المدّعي الخسيس.

بيستولي : لذلك سأحطم رأسك، أيها السفه المحتال.
فالمستاف : كفى، يا بيستولي. لا أريد أن ينفجر غيظك هنا. اذهب وصبّ جام غضبك في غير هذا المكان، بعيداً عن جمعنا المسالم.

المضيفة : لا، يا أيها القائد بيستولي. لا، لا، يا عزيزي القائد.
دوروثي : أيها القائد، أنت دجال خبيث لعين. ألا نخجل من أن يدعوك الناس قائداً؟ لو كان زملاؤك القادة يفكّرون

مثلي لأوسعوك ضرباً ولطماً لأنك اختلست رتبهم بدون أن تستحقها. لماذا أنت محتال، أيها القائد؟ وقد شوهت وجه إحدى بنات الهوى في أحد بيوت الدعارة. أنت تعتبر نفسك قائداً؟ إذهب وأشنق ذاتك، أيها الجبان المغرور. أنت لست أهلاً إلا لأن تعيش على الفواكه العفنة والخبز اليابس. لأن رتبة القائد من شأنها أن تشرف صاحبها. بينما أنت أفسدت معنى هذه الكلمة وحققتها بأفعالك المشينة، وأصبحت هذه الرتبة بسبب قبائحك خسيصة بعكس صفة الترفع التي تدل على النخوة والإباء. وقد قلبت أنت مدلولها بتصرفك الذري إلى أسفل دركات الانحطاط. لذا يجب على جميع الناس ولا سيما أقرانك القادة أن يحذروك ويتجنبوك كالغزاة الجرباء.

- باردولف : أرجوك أن تمضي، يا عزيزي القائد.
 فالستاف : إسمع ما تقوله عنك السيدة دوروثي.
 بيستولي : لا، لن أمضي. أؤكد لك اني باق، أيها العزيز باردولف.
 فأنا استطع أن أسحق هذه الحشرة بقدمي. وسأنتقم منها لأنها داست كرامتي.
 الغلام : أرجوك أن تذهب.
 بيستولي : قبل أن أمضي، لا بد لي من أن ألعن أجدادها. أقسم لكم اني سأغرقها في بحيرة بلوتون. وأدهورها الى أعماق الجحيم، وأسومها أمرّ العذابات. عليكم اذا أن تزيحوها من دربي، وإلا قتلنها كالكلب المسعور. لا بدّ لهذه الخائنة من أن تموت. أوليست عاهرة حقيرة في نظر الجميع؟

المضيفة : هدى روعك، أيها القائد الطريف يستولي. أؤكد لك أن الساعة أضحت الآن متأخرة. فأرجوك أن تسكن فورة غضبك.

يستولي (بصوت متحد): هذا حقاً مزاح غليظ سمج. أراني بين حيوانات كريمة مشاكسة من الصعب معاشرتها. وتريد أن تشبه بالقياصرة واليونان والطروديين. وهم لا يستحقون إلا اللعنة نظير كلاب الأبالسة التي تحرس أبواب الجحيم، ونباحها يُصمّ آذان أهل النعيم. ثم يقال عنيّ اني من المشاغبين المشاجرين.

المضيفة : بذمتي، أيها القائد، هذا كلام أليم غير معقول ولا مقبول.

باردولف (وهو شديد السخر): دعوا الرجال يعودون كالذئاب وألقوا اليهم بقطع العظام التتة. أولاً يوجد بيننا من عاهرة؟ المضيفة : بشرفي، أيها القائد، أؤكد لك ان ليس لمثل هذه المنبوذة هنا من وجود. ولو كانت هنا، أتظن أنني أخبرها في بيتي؟ بحق السماء، هدى روعك واطمئن بالاً.

يستولي : اذاً كلي هذا واسمني، يا عزيزتي كاليوبوليس... هيا اعطني كأس خمرة... واذا كان حظي يعاكسني، فان آمالي ترضيني. أتظن ان هذه المومس تفرعني؟ كلاً ثم كلاً. سيجرّها إبليس الى أعماق جهنم. هيا لعطني كأس خمرة. وأنت، يا عشيقتي، تعالي وتمددي الى جانبي. (يضع سيفه على الأرض). لا بدّ لنا من إزالة كل الحدود فيما بيننا، وهدم جميع الحواجز التي تفصلني عنك.

فالستاف : يا يستولي، لو كنت انا مكانك لأخلدتُ الى السكينة.

بيستولي : أيها الفارس الظريف دعني أقبل قبضة يدك. لا تنسَ
اني شاهدت الكواكب السبعة.

دوروثي : بحق السماء، إرمي به خارجاً ودحرجه على الدرج.
لأنني لا أطيق سماع ثرثرة هذا الغبي الأحمق.

بيستولي : أتريدن أن يرميني من أعلى الدرج الى أسفله. هل
تظنن اني لا أعرف أمثالك المتهتكات؟

فالستاف : هيا، يا باردولف، ألقه الى تحت كالحجارة المحطمة.
وإذا ظل يفوه بالتفاهات ستُخمد أنفاسه في هذا المكان
بالذات.

باردولف (ليستولي): هيا لإرحل من هنا.
بيستولي (يلم سيفه): هل سنصل الى الطعن؟ هل عليّ أن أجرد
سيفي؟ بينما يهدّذي الموت ويقرّب أجلي، وينهي
أيامي الحزينة؟ لا تنسَ ان الجراح المميتة المفتوحة
تقصّر أعمار الأبطال. تعال لأقول لك، أيها المغرور...
(يسلّ سيفه).

المضيضة : ما هذا الشجار البغيض؟
فالستاف : اعطني سيفي، يا غلام.
دوروثي : أرجوك، يا جاك، أن لا تشهر سلاحك.
فالستاف (يسلّ سيفه ويقول ليستولي): ساعدني على نزول الدرج.
المضيضة : هذه الضجة لا مثيل لها... لقد قرّرت أن لا أدير
نزلاً بعد الآن كي لا أواجه نظير هذا الارهاب
والتهديد. أنا واثقة بأن جريمة سترتكب هنا. رحمتك
اللهم. هيا، يا رجال، أعيدوا سيوفكم الى أغمادها.
هيا أعيدوها حالاً. (يخرج بيستولي وباردولف). إهدأ. ها
قد مضى الغبي. ما أحقره من قوّاد وقع دني.

المضيقة : ألم تُصَبَّ بجرح في فخذك؟ ظننت أنه رفس جنبك
بجزمته.

فالسّاف (لباردولف) : هل طردته وتخلصت منه نهائياً؟

باردولف : أجل، يا مولاي. كان اللعين غارقاً في السكر، وقد
جرحته أنت في كفه.

فالسّاف : تصوّر ان مغروراً مثل هذا الوغد اللّيم يجابهني.

دوروثي : تَبّاً لك من أبله عزيز على قلبي. اللهمّ رحمتك. أنت
مثل قرد مسكين. دعني أمسح لك وجهك. تقدّم،
أيها الفتى. أنت ساذج، ومع ذلك أحبك، لأنك بطل
نظير هرقل طروادة. وتساوي خمسة من أمثال
اكاممتون وعشرة من أمثال سائر الأفذاذ، أيها الخيث
المحتال.

فالسّاف : انا لست سوى لصّ حقير. عليّ أن أُلْفَ هذا الحقير
بشرشف.

دوروثي : هيّا، لَقَه إذا استطعت. وإذا فعلت ذلك سأُعْتَجِكَ بين
شرشفين.

(يدخل الموسيقون).

الغلام : وصلت الفرقة الموسيقية، يا سادتي.

فالسّاف : دعها تعزف... أعزفوا يا سادة، إتّكبي على ركبتني،
يا دوروثي. تَبّاً له من جبان رعديد. لقد أفلت الغبي
من يدي كالزُّبْق.

دوروثي : أجل، وستلاحقه نظير متشرّد. تَبّاً لك من قوّاد لّيم
حقير، أيها الخنزير القذر المعروض في دكان الجزّار.
متى ستكفّ عن الشجار نهائياً وعن استلال السيف

ليلاً؟ ومتى ستبدأ بتهيئة نفسك للرحيل من هذه الدنيا
إلى الآخرة؟

(من مؤخرة المسرح يدخل الأمير هنري وبوينز متكرّين برّي
غللمان الحانات).

فالسّاف : هديء روعك، أيتها الدمية. لا تتكلمي كمن فقد
رشدّه، ولا تذكريني بعد الآن بآخرتي.

دوروثي : لا تشغل بالك. من أية طينة مجبولة طيبة هذا الأمير؟

فالسّاف : هو شاب طيب القلب قليل الرّصانة. مع ذلك، لا
يجدر به أن يصبح خبّازاً لأنه لا يحسن صنع الأرغفة
بشكل منتظم.

دوروثي : يُقال ان بوينز ظريف خفيف الظلّ.

فالسّاف : هو ظريف؟ حصده الطاعون. انه غليظ الفهم عديم

الذوق مثل خردل «توكس بري». هو لا يحوي
ذرة من النعومة بل كله خشونة مثل شوك القنفذ.

دوروثي : لماذا اذاً يحبه الأمير بهذا المقدار؟

فالسّاف : لأنّ رجّليّ كليهما متوازيتان بالخفة، ولأنهما يأكلان

الأخضر واليابس كالجراد، ويزددان المآكل كالفواكه

المنقوعة بالعرق، ويداعبان الغلمان ويقفزان فوق

المقاعد ويحلفان بدون انقطاع لتأكيد ترّاهاتهما،

وكالمشاغبين يستفزّان رفاقهما ليصدّقوا قصصهما

الخفيفة. أخيراً لأنه يتمتع بمواهب تتجلّى في المجون

وفي الألفاظ الرقيقة والأجسام المرنة، لذا يتشبّث الأمير

بمعاشرته ويصرّ على ابقائه بقربه. والأمير يشبه بوينز

كل الشبه في كثير من النواحي. واذا أردت أن تلعن

هذا أو ذاك تراهما متعادلين الى درجة تجعل شعرة واحدة ترجح بينهما كفة الميزان.

الأمير هنري : اذاً هذا الدولاب لا يَئَل له أن يفصل عن محوره.
بوينز : فلنضربه تحت أنظار صاحبه العاهرة.

الأمير هنري : تباً لهذا المعجوز المجعد الجبين الشاحب الخدين الذي يشبه البيغاء عندما يحك عنقه.

بوينز : أوليس غريباً أن تدوم شهوة الانسان سنين عديدة أكثر من مقدرة؟

فالسلاف : قَبْليني، أيتها الدمية.

الأمير هنري : لقد تعانق الكوكبان سائرُن والزهرة هذه السنة، فماذا قال التقويم الفلكي عنهما؟

بوينز (يشير الى باردولف والى المضيئة) : تأملوا هذا المؤشور الناري الذي يداعب فارسه محفوظات معلمه القديمة، ويراجع دفتر مذكراته الصغير كما يداعب كاتمة أسرارهِ.

فالسلاف (لدوروثي) : ما أَلَدَ القبلات التي تجودين بها عليّ.

دوروثي : فعلاً، أنا أقَبْلُك من كل قلبي.

فالسلاف : رغم تقدّمي في السنّ.

دوروثي : صدقني اني أحبك أكثر من كل الشبان المغرورين.

فالسلاف : من أي نسيج تريدان أن أفصل لك ثوباً؟ سأقبض مبلفاً من المال يوم الخميس، وغداً سأقدّم لك قبة... هيا أنشدني لي أغنية مرحة. لقد تأخر الوقت، وعلينا

أن ننام... ثم ستستيني بعد ذهابي من هنا.

دوروثي : بدمتي، سَبْكيني اذا كرّرت هذا الكلام. سأنبرج حتماً عند رجوعك اليّ... هيا أسمع نهاية الأغنية.

فالسلاف : ناولني كأس خمرة، يا فرنسيس.

الأمير هنري وبوينز (وهما يتقدمان) : ها نحن جئناك بها، يا سيد.
فالسّاف (يتألمهما الواحد تلو الآخر) : ها هوذا ابن حرام من صلب
الملك. وأنت يبدو عليك انك لست شقيق بوينز لأنك
لا تشبهه بتاتاً.

الأمير هنري : ما هذا الكلام؟ يا أسفل أهالي هذا البلد؟ ما هو نمط
الحياة الذي تتبعه؟

فالسّاف : هو نمط أفضل بكثير من الذي تتبعه أنت. أنا وحيه
معروف. أما أنت فلست سوى سكير حقير.

المضيفة : حفظ الله سمّوك، أيها الأمير الكريم. بذمتي، أنت
تستحقّ كل الترحيب في لندن، ربّنا يبارك محياك
الصباح. يا إلهي، متى عدت من منطقة وايلس؟

فالسّاف : تَبّاً لك من عاهرة ظريفة بقوامك الرشيق ودمك
الخفيف. (يضغ يده على دوروثي). أهلاً بك ومرحباً.

دوروثي : ماذا تقول أيها الأحمق الضخم الجسم، أنا أكرهك.
بوينز (للأمير) : سيجعلك، يا مولاي، تقلع عن انتقامك، ويحوّل
المسألة الى مهزلة اذا لم تضرب حديدته وهو حام.

الأمير هنري : تَبّاً لك، يا كتلة هائلة من الشحم. ما هذه اللغة الجوفاء
التي تتحدّث بها عني بحضور مثل هذه الآنسة اللطيفة
الشريفة المهيبة.

المضيفة : تبارك الرب الذي منحك هذا القلب الحنون الشفوق.
فهو كنز لا أؤمن منه في هذه الدنيا.

فالسّاف (للأمير) : إسمع.

الأمير هنري : لقد سمعت. أظنك عرضتي كما فعلت يوم هربت
الى جهات كاذّسهيل. وأنت تعلم اني أسير وراءك،
وقلّت كل هذا لتختبر مدى صبري الجميل.

فالسّاف : لا، لا، لا. ما ظننت أبداً أنّك على مقربة مِنّي وتستطيع أن تسمع كلامي.

الأمير هنري : اذاً سأضطر الى اعتبار إهاناتك مقصودة. وعندئذٍ سأعرف كيف أعاقبك.

فالسّاف : لم أتلفظ بأية إهانة، يا هال. بشرفي، لم أتلفظ بأية اهانة، صدّقني.

الأمير هنري : ولا إهانة، أنت الذي ندّدت بي ودعوتني خبازاً وصانع أرغفة، ولست أدري بماذا نعتي أيضاً.

فالسّاف : لم أتلفظ بأية اهانة، يا هال.

بوينز : أبداً، ولا إهانة.

فالسّاف : أوّكد لك اني لم أنس بينت شفة، يا ادوارد. صدّقني، يا عزيزي الشهم ادوارد. ربما ندّدت بك أمام بعض الأشرار لكي لا يتعاطوا أبداً معك. وهكذا تصرفت تجاهك كصديق مخلص كلّي ولاء لشخصك الحبيب. وأبوك مدين لي بالشكر على ما قلت. لكني لم أتلفظ بأية اهانة بحقك، يا هال، أبداً ولا إهانة، يا ادوارد، كلا، كلا. أرجوك أن تصدّقني.

الأمير هنري : أخشى أن تُهين من قبيل الخوف والجبن، هذه الآنسة الفاضلة لكي تصلح أمورك بالنسبة اليّ. فهل مضيفتك هذه من عداد الأشرار؟

بوينز : أجب يا صاحب الضمير الميت أجب، يا محتال.

فالسّاف : لقد أضاف الشيطان اسم باردولف الى لائحة زبائنه الملعين، ومحياه واجهة خاصة يتلطّى وراءها لوسيفوروس الذي يقتصر عمله على أحراق المسيئين الى البشر. اما الغلمان فلهم ملائكة تحرسهم. غير

أن ابليس ليس غريباً عن اغرائهم لاقتراف المحرّمات.

الأمير هنري : وما هو نصيب النساء من كل هذه المشاكل؟
فالسّاتاف : ذهبت إحداهن الى جهنم، والمسكينة تحترق الآن
بدون هواة. أما الأخرى، فأنا مدين لها ببعض المال،
وهي محكومة بعقاب لا أدري بالضبط ما هو.

المضيفة : لا، لا. أؤكد لك ان الواقع هو غير ما ذكرته أنت.
فالسّاتاف : كلا، انا لا أظنّ انك كما قيل عنك، وأعتقد بأنك
بريقة من هذا القبيل. لكن، لا اعتراض على وضعك.
مع انك تتضايقين من استهلاك اللحم في بيتك، خلافاً
لما ينصّ عليه القانون. لذلك أتوقّع انك ستزمرجرين.
المضيفة : كل صاحب نزل يفعل ذلك. وما أهمية أكل فخذ
عجل أو إثنين طوال أيام الصيام.

الأمير هنري (لدوروثي) : وأنّ، أيتها المرأة اللطيفة...

دوروثي : ماذا تقول، يا صاحب السموّ؟
فالسّاتاف : يقول سموّ كلاماً يهتّز له بدنه من شدة الاشمئزاز.
(يُسمع طرّق).

المضيفة : من الذي يطرق الباب بعنف هكذا؟ إذهب وانظر من
الطارق، يا فرنسيس.

(يدخل بيتو).

الأمير هنري : ما وراءك من الأخبار، يا بيتو؟

بيتو : والدك الملك موجود حالياً في ويستمنستر. وقد وصل
من الشمال عشرون رسولاً منهوكي القوى، وأثناء
قدومي الى هنا، صادفت واجتزت أكثر من عشرة
ضباط مكشوفي الرأس يتصبّب العرق من جباههم،

كانوا يطرقون أبواب كل الحانات ويسألون عن سرّ
جون فالستاف.

الأمير هنري : بحق السماء، يا بوينز، انا أستحق اللوم على تبديدي
بهوس كهذا وقتاً ثميناً، بينما عاصفة الفوضى كرياح
الجنوب تهبّ على غيوم سوداء تنهمر منها الأمطار
الغزيرة على الرؤوس العارية وعلى أجسام أصحابها
المجرّدين من السلاح... ليلتك سعيدة، يا فالستاف.

(يخرج الأمير هنري وبوينز ويتو وباردولف).

فالستاف : ها قد أقبل القسم الأونس من الليل، وعلينا أن نغادر
هذا المكان بدون أن ندوق أثناءه طعم النوم. (يُسمع
طرق) : أسمعت؟ طرق الباب مرة ثانية.

(يدخل باردولف).

فالستاف : ماذا يجري ها هنا؟

باردولف : يتحمّ عليك أن تمضي الى البلاط، يا مولاي، حالاً
وسريعاً. لأن أكثر من عشرة ضباط ينتظرونك خارجاً
عند الباب.

فالستاف (للغلام) : إُدفع للموسيقين ما يستحقونه، يا غبي... الوداع،
أيتها المضيئة... الوداع، أيتها الدمية. هل رأيتما أيّهما
المرأتان اللطيفتان كيف يبحث الناس عن الرجال
المرموقين؟ فالعاجزون عن العمل يتسنى لهم أن يناموا،
بينما رجال العمل الجادّ يُطلبون للقيام بالواجب.
الوداع، أيتها البنتان الطيّبتان القلب. اذا لم أرّحل بأقصى
العجلة، سأعود لمشاهدتكما.

دوروثي : أنا لا يسعني أن أتكلّم... لأن قلبي على وشك أن
يتفطر... هيا، يا عزيزي جاك، لا تهمل نفسك أبداً.
فالمستاف : الوداع، الوداع.

(يخرج فالمستاف وباردولف).

المضيفة : هيا، إذهبا. الوداع. منذ تسعة وعشرين يوماً جاءتنا
ذات النفس الخضراء التي عرّفنا إليها... وكان الرجل
أشرف منها وقلبه أوفى... على كل حال، الوداع.
باردولف (ينادي من الداخل) : يا سيدتي تروذرا.

المضيفة : ماذا تريد؟

باردولف (من الداخل) : قللي للسيدة تروذرا أن تأتي ل ترى معلمي
المضيفة : نعم، أسرع، أيتها الدمية، أسرع.

(تخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

يدخل الملك هنري مرتدياً ملابس عادية ويرافقه غلام

الملك هنري: إذهب ونادِ كونت سوراى وكونت ورويك. قبل أن يأتيا، قلّ لهما أن يقرأ هاتين الرّسالتين، وأن يتفحصاهما جيداً. أسرع. (يخرج الغلام). كم من ألوف رعاياي المساكين ينامون في هذه الساعة. أيها الرقاد الهادئ المريح، يا معوّض اتعاب البشر، ماذا فعلت انا حتى جفوتني هكذا؟ لماذا لا تدعني أغمض عينيّ وأغرق في بحر من السّبات العميق والنسيان. لماذا، أيها النوم، تفضّل أن تأوي الى البيوت الحقيرة المهذّمة حيث تريح الناس من ضجيج الذباب المعطر الذي يلزم كبار هذا العالم تحت المظلات الفخمة على أنغام أحلى المعزوفات؟ يا أيها الإله السخيف لماذا تقصد أكواخ البؤساء المتمدّدين على أسرة قدرة وتهجر المخادع الملكية التي يسهر عليها الحراس للمحافظة على سلامة الشخصيات، وهم على أتمّ الاستعداد لدقّ

ناقوس الخطر عند الاقتضاء؟ هل تريد أن تغمض عيني
الملاح فيقلب عليه النعاس وهو في أعلى الصاري
يراقب، ليهوي على الأمواج المتلاطمة في مهبّ الرياح
العاتية التي يوقظ ضجيجها الصاحب غفوة الموت
الرهيب؟ هل تريد، أيها النوم المنحاز، أن تمنح الراحة
في مثل هذه الساعة الحرجة للبحار المبلول الثياب
أثناء هذه الليلة الهادئة، وإن تحرم منه الملك الذي
أنهكه السهاد، رغم كل وسائل الراحة ومظاهر الرغد
والرفاه؟ إغفوا إذاً، يا سعداء الدنيا، واعلموا ان حامل
التاج لا يعرف إلاّ الهمّ والقلق.

(يدخل ورويك وسوراي وسرّ جون بلونت).

ورويك : الف سلام عليك، أيها الملك المعظم.
الملك هنري: هل أفقت، يا مولاي، هكذا باكراً وجئت لتحيّني؟
ورويك : الساعة الآن تجاوزت الواحدة صباحاً.
الملك هنري: إذاً نهاركم سعيد جميعاً، يا سادة. هل قرأتم الرسائل
التي وجهتها إليكم؟

ورويك : نعم، أيها الملك المفدى.
الملك هنري: لمستم إذاً في أي وضع تعيش تتخيّط مملكتنا، والمرض
الخطر الأليم الذي أصاب قلبها في الصميم.

ورويك : المشكلة كامنة في الدستور، ولا تزال الاضطرابات
في أولها. ويمكن شفاؤها وردّ عافيتها إليها بالرأي
السديد والعلاج الملائم. ولن يلبث مولاي لورد
نورثميرلند أن تهمد فورة تمرّده وشيكاً.

الملك هنري: يا إلهي. لماذا نحسن تلاوة كتاب مصير الأجيال ورؤية
الجبال تنهار على مرّ الزمان، والقارة تنفتّ وتذوب

في البحر، وقد تعبت من صلابتها المتشددة. وفي عصور أخرى نلمس وسع حزام الرمال على شواطئ المحيط حول خصر إله البحر نبتون؟ لماذا لا تظل حاضرة في ذهن كل انسان جميع مساوئ الحظ وشتى تشعبات خيبة الأمل ومرارة الظلم والحرمان؟ لو ظهرت مجموعة هذه المفارقات لعيون الشبان وبرز بُعد المسافة التي لا بد من اجتيازها بلوغ المرام، وكذلك مختلف الأخطار الماضية والمحاذير المستقبلية، لكانت ملأت صفحات مجلدات ضخمة لا تحصى، هزت ضمائر المسؤولين الذين يجب أن لا تغيب عن أذهانهم فكرة الموت والزوال التي لا مفر ولا مناص منها. في هذا العالم القاني، منذ عشر سنوات كان رتشرد ونورثميرلند يحتفلان معاً في المناسبات العديدة بصداقتهما المتينة. وبعد مرور ستين فقط كان برسي هذا أقرب شخص الى قلبي، يعمل كأخ مخلص على إنجاح مشاريعي ويكشف لي بصراحة ووضوح كل مباحج حبه وأفراح حياته وكان يقابل غنى رتشرد بعدم المبالاة ويواجهه بتحدياتتي اذا لزم الأمر. ولكن من منكم كان حاضراً هنا؟ (لورويك). أنا أتذكر جيداً، يا ابن عمي الفاضل، انك كنت فيما بيننا عندما ألقى نورثميرلند كلماته التي تبيّنت اليوم كنبؤات. « تبا لك يا نورثميرلند، يا من استخدمك ابن عمي بولينبروك كسَلَمٍ للارتقاء الى العرش... يعلم الله ان هذا الانحراف لم يكن في البدء ما أتوي القيام به. لكن الحاجة اضطررتني الى النزول بالدولة الى مستوى وضعي جعل التاج يستقرّ على رأسي... وأضاف : سيأتي يوم

تحوّل فيه هذه الجريمة البشعة الى دمل خبيث ينشر
الفساد في كل مكان». وتوسّع في أقواله حتى توقّع
ما جرى في عهدي من أحداث، وانقطاع جبل المودة
بيننا.

ورويك : في حياة المجمع البشري أحداث تستشف منها ظروف
الوقت المنصرم. وعند مراقبتها يستطيع الانسان أن
يتنبأ بما تاتي المستقبل على نحو أكيد تقريباً، وما تحبل
به الأيام من تحولات أساسية تنمو مع مرور الزمن ولا
بدّ من أن تصل الى مرحلة التفتّح والبلوغ. هكذا
بموجب هذه التطوّرات الحتمية تمكّن رتشرّد سلفاً
من معرفة ملامح الخيانة التي دحرجته عن عرشه على
يد نورثمبرلند الكبير، فأدّت الى خيانة أعظم
تأصّلت جذورها في الأرض لغير صالحك.

الملك هنري: ان كان من ضرورة لهذه القضايا، يجب علينا أن
تقبّلها كحتمية لا بد منها. وها هذا الحاجة الملحة
تلاحقنا في هذه اللحظة. اذ يقال ان لدى الأسقف
نورثمبرلند خمسون الف مقاتل.

ورويك : هذا غير ممكن، يا مولاي، فالشائعة نظير رجع الصدى
تضخّم عدد من نخشى اذاهم. أرجو من جلالتك
أن تستلقي على سريرك لتأخذ قسطاً من الراحة. أوكد
لك، يا مولاي، ان القوّات التي أرسلتها ستحرز ما
ترجوه من النصر بكل سهولة. ولكي أزيدك اطمئناناً،
أعلمك اني إطلعت على أخبار اكيده تفيد أن كلانداور
قد مات. صحة جلالتك منذ خمسة عشر يوماً ليست
على ما يرام، واذا ظل القلق يساورك ستزداد عافيتك
سوءاً.

الملك هنري : سأُنع نصيحتك. وكم أتمنى الآن أن لا أكون متورطاً
في هذه الحروب الداخلية، فلولاها لكنا رحلنا معاً
إلى الأراضي المقدسة.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في كلوستر شاير وسط باحة أمام منزل القاضي شالو

(يدخل من جهات مختلفة شالو وسيلانس ثم مُوازي وأومبر
وفارو وفابل وفو والخدام الذين يصطقون في صدر المسرح).

شالو : تقدّموا، تقدّموا. هات يدك، يا سيدي. أنت رجل
نشط مبكر في المجيء بارك الله همتك. كيف حال
ابن عمي سيلانس؟

سيلانس : نهارك سعيد، يا ابن عمي شالو.

شالو : كيف حال ابنة عمي رفيقة سريك؟ وكيف حال ابنتك
اللامعة هيلانة؟

سيلانس : مع الأسف، ليست بلبلاً صدحاً، يا ابن عمي شالو.

شالو : ان قلت نعم أو قلت لا، أجرؤ على التأكيد ان ابن
عمي وليم أصبح طالباً ناجحاً، وهو موجود دائماً
في أوفورد، أليس كذلك؟

سيلانس : أجل، يا سيدي، وهو يدرس على نفقتي.

شالو : وسيلتحق قريباً بمدرسة الحقوق. انا أتممت دراستي

في معهد سان كليمان. حيث لا يزال الجميع يتحدثون عني ويلقبونني بالمهووس شالو.

سيلانس : وكانوا يدعونك الفتى شالو أيضاً آنذاك، يا ابن العم.
شالو : بذمتي، لقد دعوني بأسماء شتى، لأنني في الحقيقة

كنت أتمكن من تحقيق كل ما يخطر ببالي بكل سهولة ونجاح. ولم يكن لنا، أنا والشاب جون دوا، وكان من ستافورد شاير، والأسود جورج نو، وكذلك فرنسيس رُونْجُو وولْ إِنْكُوَال وكان من كوتسوالد، أي نحن الأربعة لم يكن لنا مثال. ويسعني أن أصرح باننا كنا نعرف جيداً أين تقام حفلات الرقص الممتعة، وكنا دوماً في رأس قائمة المدعوين، حين كان جاك فالستاف الذي أضحي سرّ جون، لا يزال ولدًا صغيراً، وكان حينذاك غلام توماس موبري دوق نورفولك.

سيلانس : أتعني سرّ جون الذي سيأتي لأجل الجنود، يا ابن عمي؟

شالو : أجل، سرّ جون نفسه. وقد شاهدته يشقّ رأس إِنْكُو كان عند باب المعهد، وكان آنذاك صبيّاً طائشاً ولم يكن طوله يتجاوز هذا المقدار. في ذاك النهار عينه تشاجرت انا وسْمُسُون إِنْكُو ك فيش بائع الفواكه، خلف حانة « كرايز إن ». ما أحلى الأيام التي قضيتها هناك. كم من هؤلاء الأصدقاء ماتوا، وأخشى أن تغيب ذكرياتهم عن ذهني.

سيلانس : هم السابقون ونحن اللاحقون، يا ابن عمي.
شالو : هذا أمر لا مفرّ منه طبعاً. الموت كما تذكر المزامير، قضاء مبرم لا بدّ منه، ويسري على الجميع بدون

استثناء. كلنا مصيرنا الفناء والزوال. كم زوجاً من

البقر شاهدت في معرض إستامفورث؟

: لم أذهب لأزوره، يا ابن العم.

: أجل، الموت أمر حتمي لا بد منه... هل «دوبل»

المسن لا يزال على قيد الحياة في مدينتك؟

: لا، لقد رحل عن هذه الدنيا مؤخراً، يا سيدي.

: يا الهي، هل حقاً مات؟... كان ماهراً في إصابة الهدف

عندما يرشق السهام بقوسه، أجل كان بارعاً... وكان

جون دي غان يحبه كثيراً ويراهن عليه بمبالغ كبيرة

عندما يشترك في أية مباراة... مات المسكين. كان

يرمي سهامه عن بعد مئتين وثمانين أو خمسة وثمانين

قدماً وكانت مشاهدته فعلاً تبهج النظر وهو يرشق

سهامه... ما هو سعر قطع العشرين نعجة في الوقت

الحاضر؟

: حسب الظروف. فقطيع العشرين نعجة يساوي اليوم

عشر ليرات.

: تقول ان «دوبل» المسن قد مات.

(يدخل باردولف وأحد رفاقه).

: ها هما اثنان من جماعة سرّ جون فالتساف، على

ما أظن يتقدّمان نحونا.

: نهارك سعيد، أيها الوجه الكريم. أرجوكم، يا سادة،

أن تقولوا لي من منكم هو القاضي شالو؟

: انا روبرت شالو، يا سيدي. هاوي الجياد في هذه

المقاطعة الجميلة، وأحد قضاة الصلح في بلاط الملك.

ماذا تريد مني؟

باردولف : قائدي، جون فالتاف، يا سيدي، يـرجو أن تنظر اليه
بعين العطف. لأنه وجيه بهيّ الطلعة وضابط كله نشاط
وحيويّة.

شالو : هذا شرف كبير تخصني به، يا سيدي. فقد عرفته
رجلاً ممتازاً متفوقاً في استعمال سيفه. كيف حال
هذا الفارس المغوار، وهل لي أن أسأل أيضاً كيف
حال زوجته؟

باردولف : اعزرنني، يا سيدي، إن قلت لك ان الجندي اليقظ
يقوم بمهمته على وجه أكمل عندما لا يكون متزوجاً.

شالو : هذا قول حكيم، يا سيدي، يأتي في محله. الجندي
اليقظ ممتاز حقاً. فالعبارة اللطيفة جميلة وشيقة، وتال
أفضل استحسان. حقاً، هذه عبارة جميلة قيّمة.

باردولف : أعذرنني، يا سيدي. لقد سبق أن سمعت هذه الكلمة.
أنت تدعوها عبارة. ورّبي، أنا لم أسمعها سابقاً. لكني
أصرّ والسيف في يدي، علي التأكيد أن هذه الكلمة
تمتّ الى الجنديّة، وانها تدلّ على سلطة واسعة. دوام
اليقظة برهان على أن صاحبها متأهب باستمرار، ولا
أجد أروع من هذه الصيغة، لأنه يكون في أهمّ مواقفه
ويستقطب تقدير الجميع. وهذا لعمرى ما يتمناه كل
انسان شهم رصين.

(يدخل فالتاف).

شالو : هذا صحيح... ها هوذا سرّ جون. هاتِ يدك الكريمة.
بشرفي، صدّقني إن قلت لك ان صحتك تبدو جيدة،
وان عمرك لا يؤثر على مظهرك النشط. أهلاً بك،
يا سرّ جون الفاضل.

- فالسّاف : يسرّني أن أجّلك بصحّة تامّة، يا أستاذ روبرت شالو...
أظنّ هذا هو الأستاذ سورّكارت؟
- شالو : كلّاً، يا سرّ جون، هذا هو ابن عمي سيلانس الذي يملك الشركة التي تؤمّن على حياتي.
- فالسّاف : استاذي العزيز سيلانس، يليق بك أن تكون من أنصار السلام.
- سيلانس : أهلاً بسيادتك.
- فالسّاف : أفب من هذا الطقس الحارّ... هل وجدتم لي، يا سادة، ستة رجال أبحث عنهم يصلحون لأنّ الجّقهّم بالخدمة؟
- شالو : أجل، يا سيدي. هل تريد أن تجلس؟
- فالسّاف : أرجوك أن تريني اياهم.
- شالو : ها هم طالبا الوظيفة، يا سيدي. هذا هو رالف مُوازي. وليردّ كلّ من الباقيين عند سماع اسمه، بدون إهمال. هيا، أين موازي؟
- موازي : أنا هنا.
- شالو : كيف تجده، يا سرّ جون؟ هو فتى حسن المظهر قويّ البنية، وابن أسرة معروفة باستقامتها.
- فالسّاف : هل اسمك موازي؟
- موازي : أجل، يا سيدي.
- فالسّاف : حان وقت استخدامك، على ما أرى.
- شالو (يقفه ضاحكاً) : ها ها. بذمتي، هو ممتاز. السيد موازي يودّ أن يخدم في أقرب وقت ممكن. وهذه نقطة لا بأس بها. وما تقوله هو عين الصواب.
- فالسّاف (لشالو) : ضع علامة الى جانب اسمه.
- موازي : كان لي علامة، وكان الأجدر بكم أن تتركوني وشائي.
- ان سيدتي المسنّة ستهاجر أعصابها الآن، نظراً الى

فقدانها هكذا من يقوم خير قيام بأعمالها المنزلية.
فلا حاجة لوضع علامة قرب اسمي. هناك رجال كثر
غيري يطلبون الذهاب.

فالسّاف : هيا أعرّنا سكوتك قليلاً، يا موازي، أنت أيضاً
ستذهب، إذ حان الوقت فعلاً للاستفادة من كفاءتك.

موازي : للاستفادة من كفاءتي؟
شالو : إهدأ، يا غبي، وقف جانباً. هل تدري أين أنت الآن؟...

الى التالي، يا سرّ جون. أين سيمون أوثير؟
فالسّاف : بل هاتوا لي هذا، لأوافق عليه حالاً. إذ يبدو عليه
انه كان جندياً منذ عهد قريب.

شالو : أين أوثير؟

أوثير : ها أنذا، يا سيدي.

فالسّاف : يا أوثير، أنت ابن من؟

أوثير : انا ابن أمي، يا سيدي.

فالسّاف : ابن أمك؟ هذا لا شك فيه، وأنت ظل أيلك. لأن

ابن الأنتى هو ظلّ الذكر كما تدل عليه، في الحقيقة،
أغلب الحالات، مع ان فضل الأب في ذلك ليس بكبير

شالو : هل يناسبك، يا سرّ جون؟

فالسّاف : هذا الرجل يفيدنا في الصيف. أشر على اسمه، فيكتمل
العدد الذي نحتاج اليه.

شالو : والآن، جاء دور توماس فارو.

فالسّاف : أين هو؟

فارو : نعم، يا سيدي.

فالسّاف : أنت، على ما أرى، من طراز غريب.

شالو : هل أضع علامة عند اسمه، يا سرّ جون؟

فالسّاف : لا فائدة من ذلك. لأن متاعه على ظهره، وكل ما

فيه لا يوحى بالرضى. فلا داعي الى التأشير قرب اسمه.
شالو (يعرب في الضحك) : ها ها ها. كما تشاء، يا سيدي، كما تشاء.
على كل حال، أقدم لك تهنيتي القلبية. والآن جاء
دور فرنسيس فابل.

فابل : نعم، سيدي.

فالسلاف : ما هي صنعتك، يا فابل؟

فابل : خياط نسائي، يا سيدي.

فالسلاف : هذا حسن. ولكنك لو كنت خياطاً للرجال لما تأخرت
عن عمل القطب... هل يسعك أن تحدث تقوياً في
أبدان الأعداء بعدد الثقوب التي أحدثتها كعري في
أثواب النساء.

فابل : سأبذل جهدي، يا سيدي. اذ انك لا تستطيع أن
تطلب مني المزيد.

فالسلاف : ردك في محله، أيها الخياط النسائي، أجل، ردك
مناسب، أيها الباسل فابل. ستكون نشيطاً كالحمام
الغاضب، أو كالفأرة السريعة التنقل. ضع علامة أمام
اسم الخياط النسائي، يا أستاذ شالو، وشدد عليه، يا
أستاذ.

فابل : أتمنى أن يذهب فارو أيضاً، يا سيدي.

فالسلاف : أتمنى أن تتحول الى خياط للرجال، كي ترفع حماسك
وتجعله صالحاً لذهابك الى الحرب. إذ لا يسعني
أن أجتد من على ظهره مثل هذا الحمل الثقيل. كفي،
يا فابل الفضولي.

فابل : أجل، هذا يكفي.

فالسلاف : أشكرك شكراً جزيلاً، يا فابل الظريف. من التالي؟

شالو : بيار فو دابري.

- فالسّاتاف : دعني أشاهد فو هذا.
- فو : ها أنذا، يا سيدي.
- فالسّاتاف : ها هوذا فتى لا عيب فيه. هيّا أشر عند اسم فو،
وسنرى ماذا يكون من أمره.
- فو : شكرًا، يا سيدي القائد.
- فالسّاتاف : أترك رضىيت به قبل أن نضع علامة قرب اسمه.
- فو : لا تتعجّب، يا سيدي، لأنني منحرف الصحة.
- فالسّاتاف : وما هي علّتك؟
- فو : أصابني بردٌ رافقه سعال حادّ، يا سيدي، إلّتقطه من
شدة ما دققت الجرس يوم تتويج الملك.
- فالسّاتاف : إذا ستذهب الى الحرب في ردائك العادي. وهكذا
تتخلّص من سعالك، وستدبّر أمر أهلك الذين سنكلفهم
بدق الجرس عنك. هل هذا كل ما لديك من
معلومات؟
- شالو : سننادي اثنين آخرين ليكمل العدد الذي تطلبه، يا
سيدي. لذلك أرجوك أن تقبل دعوتي لتناول طعام
العشاء على مائدتي.
- فالسّاتاف : انا أفضل أن أشرب كأساً معك، لأنني لا أستطيع
البقاء لتناول طعام العشاء عندك. في الحقيقة، سرّتي
مشاهدتك، يا أستاذ شالو.
- شالو : هل تذكر، يا سرّ جون، تلك الليلة التي قضيناها
بأكملها معاً في طاحون الهواء قرب سان جورج؟
- فالسّاتاف : دُعنا من التحدّث عن ذلك، يا عزيزي الأستاذ شالو.
- شالو : في الواقع، كانت ليلة مريحة. هل تعرف إن كانت
« جين يزوني دونوي » لا تزال على قيد الحياة؟
- فالسّاتاف : نعم، هي حيّة، يا أستاذ شالو.

- شالو : صدّقني انها لم تتمكن من التخلّص مني.
فالسّاف : أبداً. وقد أكّدت أنها لا تطيق الأستاذ شالو.
شالو : والله، عرفت كيف أثير غيظها. وكانت بالفعل أَوْزّة
سمينة. ألا تزال رشيقة القوام؟
فالسّاف : لقد شاخت، يا أستاذ شالو.
شالو : نعم، نعم. لا بد من أن تكون قد طعنت في السنّ.
ولقد عرفتُ زوجها روبان قبل أن أذهب الى سان
كليمان.
سيلانس : منذ خمسين عاماً.
شالو : آه، يا ابن عمي سيلانس، ليتك شاهدت ما أبصرناه
أنا وهذا الفارس... أليس كذلك، يا سرّ جون؟
فالسّاف : ولقد رقصنا عندما أشارت الساعة الى منتصف الليل.
هل تتذكّر ذلك، يا أستاذ شالو.
شالو : نعم، أتذكر. نعم، نعم، يا سرّ جون. وكانت كلمة
السّرّ لدينا هـ هيا يا أولاد هـ. والآن، هيا نذهب لتناول
طعام العشاء. كم كانت تلك الأيام رائعة في الحقيقة.
(يخرج فالسّاف وشالو وسيلانس).
فو : يا سيدي العريف باردولف، أرجوك أن تكون صديقي.
وإليك مني أربع قطع من فحة عشر شلنات، سكّها
الملك هنري. في الواقع، انا أفضل أن أشتق على
أن أذهب، ليس بداعي الخوف والقلق بل لأنني شخصياً
لا أحبّ ان أمضي الى الحرب، بل أودّ أن أبقي مع
أهلي. ولأ لما وجدت فرقا بين الذهاب والبقاء وكانا
لديّ سواء.
باردولف : اذا، قف جانبا.

موازي : انا أيضاً أرجو، يا سيدي العريف، بل يا سيدي الضابط،
أن تكون صديقي حُباً بوالدتي. لأن ليس لديها سواي
للقيام بخدمتها. فهي عاجزة ولا تستطيع أن تسعف
نفسها، وسأعطيك أربعين شلناً.

باردولف : هيا، أنت أيضاً قف جانباً.

فابل : بشرفي، صدّقني إن قلت لك ان الذهاب والبقاء عندي
سيّان. لأن الانسان لا يموت إلا مرة واحدة. وبما
ان الموت لا بد منه فلن تكون نفسي قلقة اذا كان
مصيري هكذا. ولكن نصيبي ذهاباً أو بقاءً، لا فرق
عندي. ليس من شرف أفضل من خدمة الأمير. وأنا
راضٍ بما قسمه لي الحظ. لأن من يموت هذه السنة
نظير من يموت السنة القادمة.

باردولف : بالصواب نطقت، أيها الفتى الشجاع.

فابل : أنا، بذمتي، لم أخف يوماً مما يخبئه لي المستقبل.

(بدخل ثانياً فالستاف وشالو وسيلانس).

فالستاف : ها هم الأربعة الذين يعجبونك.

باردولف (بصوت خافت لفالستاف) : أريد أن أقول لك كلمة، يا

سيدي... سأعطيك ثلاث ليرات لإعفاء موازي وفو

من الذهاب.

فالستاف (بصوت خافت لباردولف) : حسناً. لا ينشغل بالك من هذا

القبيل.

شالو : هيا، يا سرّ جون. من هم الأربعة الذين تريدهم؟

فالستاف : اختر لي الأنسب.

شالو : اذاً، هم موازي وفو وفابل وأومبر.

فالستاف : يا موازي إبقَ في بيتك حتى تصبح قريباً غير صالح

للخدمة. وأنت، يا فو، الى أن تصبح صالحاً تماماً،
فكلاكما لا أحتاج الآن اليكما.

شالو : يا سرّ جون، لا تضرّ بمصلحتك. هذان هما أوّلي
رجلين اخترتهما. وأنا يهمني أن أرى في خدمتك
أفضل المحاربين.

فالسّاف : هل تريد أن تعلمني، يا أستاذ شالو، كيف انتقي رجالي؟
وهل تظن ان ما يهمني من الرجل حالة أعضائه وقوّته
وقامته وطوله وبدانته؟ أنا أهتمّ بروحه، يا أستاذ شالو.
ها هوذا فارّو. هل تلاحظ مظهره الغريب، هو قادر
على حشو سلاحه وتفريقه بسرعة فائقة. وستراه كيف
يروح ويجيء برشاقة نظير ناقل المياه عندما يحمل
دلو به بكلتا يديه. أما هذا المدعو أوّمبر فهو قويّ،
وأحب أن أستبقّيه عندي لأنه لن يشكل هدفاً بارزاً
للعُدو. فما عليه إلّا أن يتنضي مدّيته، وأثناء الانسحاب
من موقع، ليس أسرع في الركض، من هذا الخياط
النسائي. إذا أستبقّيه معي لأنه يفني بالمراد لاصلاح
ما يُفسد. وأحيل رجالي الباقيين الى الإصلاح. يا
باردولف، سلّم المدعو فارّو قوساً متيناً.

باردولف : خذ، يا فارّو، وسدّد السهام هكذا.

فالسّاف : هيا، أرني كيف ستحمل هذه القوس. هكذا، حسناً.

ثم أعطني، يا باردولف، رامياً قصير القامة نحيل الجسم
مسناً... فارّو هذا هو طبق المرام... حقاً يبدو عليك
انك عنصر ممتاز. خذ هذا، وأرني ما يمكنك أن تفعل.
شالو : لم يكن يوماً بارعاً في فتّه، لأنه ليس ماهراً في إصابة
الهدف، وأنا أتذكّر في ساحة الرماية قرب « مايل
أند » حين كنت في معهد سان كليمان أمثل على

خشبـة المسرح دور سرّ ذاكوني في مسرحية أرثور،
ان هناك شخصاً قصير القامة يُرَقص سلاحه هكذا،
ثم يكرّ ويفرّ ويتقدّم ويتقهقر وأخيراً يهجم : راناتا،
ثم بَم. ويظهر ثم يختفي... لن أشاهد مثل ذاك الفتى
الماهر.

فالسـتاف : إن فتياناً كهؤلاء يلاثمونني، يا أستاذ شالو... حفظك
الله، يا أستاذ سيلانس، لن أطيل عليك الشرح. أتمنّى
لكما معاً صحة تامة، وأشكركما على مماشاتي مسافة
اثني عشر ميلاً هذا المساء. يا باردولف، سلّم الجنديّين
ملابسهما العسكرية.

شالو : الله يبارك همتك، يا سرّ جون، ويكلّل أعمالك بالنجاح،
ويمنحك راحة البال. عند رجوعك، أرجوك أن تأتي
لزيارتي، كي نجدّد عهد صداقتنا القديمة. وربما
رافقتك الى المحكمة.

فالسـتاف : أتمنى ذلك من كل قلبي، يا أستاذ شالو.
شالو : هيا بنا. لقد صارحتك بكل ما أريد أن أفصح عنه.
أتمنّى لك أتم الصحة والعافية.

فالسـتاف : وأنا أيضاً أتمنى لكم جميعاً، يا ذوات، اطيب الأمانى.
(يخرج شالو وسيلانس). الى الأمام، يا باردولف،
واصطحب معك هؤلاء الرجال.

(يخرج باردولف ومعه المجنّدون).

فالسـتاف (وحده) : عند عودتي سأناقش هذا القاضي. أنا أبصر ما
في أعماق صدره وتلايف دماغه. يا إلهي. كم نحن

الأشخاص الشيوخ معروضون لآفة الكذب. هذا القاضي الهزيل لم يكف عن الثرثرة في موضوع مغامرات شبابه قرب شارع ترُن بول. وعلى كل ثلاث كلمات منه تظهر كذبة ينبغي لسامعه أن يتلها كأنها آية مقدسة. انا لا أزال أتذكره يوم كان في سان كليمان وكأنه أحد الفتيان الذين تتسلى بمداعبتهم والتكيت عليهم. وعندما يتعرى كان يبدو كأنه فجلة بذنين وكانت حركاته أقرب الى بهلوانيات القروء. كان نحيلاً الى درجة كُذنا نراه وكأنه شيخ الجوع بالذات. وكانت المومسات يدعونه « منْذراكور » لأن هندامه دائماً متأخر عن زِي ذلك الحين. وكان ينشد لفتياته الطائشات أغاني سمعها من أفواه سائقي العربات، ويُقسم انها آخر صرعة ليلية من نظمه وتأليفه. والآن ها هوذا سيف الخشب الذي حوَّله فساد العصر الى سائس خيل بليد. وهو يتحدث عن جون دي غان بصورة مألوفة كأنه رفيقه في السلاح. وأنا أقسم بدوري انه لم يشاهده سوى مرة واحدة في باحة كاروسال حين شجَّ رأسه رجال المارشال، لأنه اندس فيما بينهم واختلط بتجمعاتهم. ولقد أبصرته حينذاك وقت له، هو الذي يظن نفسه جون دي غان انه نحيل الى درجة تمكَّنه من الدخول بسهولة في جلد سمك الحيات. وربما تستي لبيت المزمار أن يكون له قصرأ رحيباً. لكنه الآن أصبح يملك الأراضي الواسعة، والعديد من البقر والثيران. سأتصل به اذا رجعت، ولن أكون مرتاح البال اذا لم أجعل منه خاتم سليمان كي أحصل بواسطته على كل ما أشتهي. وبما

ان السمك الكبير دائماً يأكل السمك الصغير، لست
أدري لماذا لا أبتلعه أنا بموجب هذا القانون الطبيعي،
حالما تسنح لي الفرصة المناسبة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

وسط غابة في يورك شائر

(يدخل رئيس اساقفة يورك، ومويزي وهاستينكس وغيرهم)

رئيس الأساقفة : كيف تُدعى هذه الغابة؟

هاستينكس : اسمها غابة كولتري.

رئيس الأساقفة : لنقف هنا، يا سادة، ولنرسلُ كشافين لمعرفة حجم أعدائنا.

هاستينكس : لقد أرسلناهم منذ برهة.

رئيس الأساقفة : حسناً، يا أصحابي وإخواني في هذه الحملة الكبيرة.

عليّ أن أعلمكم اني تلقّيت من نورثمبرلند رسالة

مؤرخة من وقت قريب، باردة اللهجة، اليكم فحواها :

لقد تمّنى أن يكون هنا شخصياً برفقة قوّات تناسب

مقامه العالي، لكنه لم يستطع أن يجنّد أحداً. وبناء

على ذلك، بغية أن يدع فرصته تتفاعل وتختمر،

إنسحب الى اسكتلندا راجياً من كل قلبه أن تثمر

جهودكم وأن تسيطروا على الأحداث الجارية وعلى
مقاومة أخصامكم الألداء.
موبري : هكذا تحطمت وانهارت الآمال التي علّقناها عليه.
(يدخل رسول).

هاستينكس : ما وراءك من الأخبار؟
الرسول : في غرب هذه الغابة، على بعد ميل من هنا تقريباً،
يتقدّم الأعداء بنظامٍ. واستناداً الى المساحة التي
يشغلونها، أقدر ان عددهم يناهز الثلاثين ألفاً على
وجه التقريب.
موبري : العدد الذي افترضناه تماماً. علينا اذاً أن نتقدّم نحن
بدورنا، وأن نجابههم من جهة السهل.
رئيس الأساقفة : من هو الضابط المسلّح القادم الى هنا؟
موبري : أعتقد أنه مولاي ويستمورلند.
(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : أحبيكم وأقدّم لكم أصدق تهاني قائدنا العامّ الأمير
اللورد جون دوق لنكاستر.
رئيس الأساقفة : تكلم، يا لورد ويستمورلند، بكل أمان. ما معنى
مجيئك الينا؟
ويستمورلند : يا مولاي، رسالتي موجّهة الى سموّك بالدرجة الأولى.
فاذا تمادى هذا العصيان، كما هو الحال تذكبه
عصابات حقيرة شرسة بقيادة شبيبة دموية تكسوها
الأسمال البالية وتختلط بها فرق متهمّسة من الرعا،
أقول اذا ظهرت هكذا بمظهرها الحقيقي الطبيعي، لن
تظّلوا هنا، أعني أنت، يا أبتِ الوقور وهؤلاء اللوردات

النبلاء، لتمرّدا فظاعة تمرّدكم الدموي بـشباب مقاماتكم
السامية. أنت، يا مولاي رئيس الأساقفة الذي ترتكز
مهتّك على السلم والأمان، والذي دعمته يد القدرة
الالهية، أنت الذي وطّد سلطتك العلم والأدب، انت
الذي ترمز ملابسك الناصعة الى البراعة مثل حمامة
بيضاء وروح مقدس يبشّر بالتفاهم والوثام، لماذا في
فوضى حركتك المجرمة تترجم لغة السلام الوديع الى
لهجة الصلف والغطرسة والحرب والدمار؟ وقد جعلت
من كنيك قبوراً ومن حيرك دماً مهدوراً ومن ريشاتك
رماحاً مسنونة ومن لغتك المباركة بوقاً صاخباً
وموسيقى يطفى عليها ضجيج المعارك والدمار؟

رئيس الأساقفة : تسألني لماذا أتصرف هكذا؟ هاك باقتضاب ما هي
غايّتنا، كلنا مرضى، لأنّ الإمعان في التجاوزات قد
أورثنا الحمى المحرقة التي اضطررنا الى نرف الدماء.
وهذه الحمى عنها التي أصابت المرحوم الملك رتشرّد
قد قتله. لكني، يا لورد ويستمورلند النبيل، لم آتِ
الى هنا كطبيب ولا كعدوّ السلم زحفت مع رجالي
المسلحين، بل اكتفيت بتوجيه إنذار بآلة الحرب الهائلة
لمعالجة القلوب العليلة التي عافت السعادة، ولكي أطهر
صفوف العصاة الذين أخذوا يهدمون مقومات حياتنا.
وبغية التكلّم بصراحة أكثر أقول اني وضعت في كفة
ميزان العدل ما تخلفه اسلحتنا من ويلات ودمار وما
تحمّله نحن من محن وشدائد، فوجدت ان آلامنا
حالياً هي أخفّ بما لا يقاس مما تسببه من أضرار
وعلل. لقد رأينا مجرى الأمور الحاضرة فاستغنينا عن

راحتنا وطمانيتنا لنصدّ سيل هذه الهجمات الجارفة.
أمامنا ملخّص عن كل ما لحق بنا من خسائر سنبيطه
في الوقت الملائم. وكنا مزمّعين أن نقدمه للملك
منذ زمن بعيد. لكن مساعينا للحصول على موعد
ذهبت ادراج الرياح. والذين حالوا دون تحقيق هذا
اللقاء هم الأشخاص الذين اضربوا بنا أكثر من سواهم.
والأخطار التي هددتنا منذ عهد ليس ببعيد، ولا تزال
آثارها الدموية ظاهرة على الأرض، والأمثال المتكررة
في كل دقيقة تمرّ بنا قد دفعتنا الى حمل السلاح
المدمر، لا لتكسير أجنحة السلام ولا أغصان زيتون
الأمان، بل لحماية السلم الحقيقي هنا قولاً وعملاً،
كما يجب أن يسود بيننا.

ويستمرلند : متى رُفِضت إحتجاجاتكم؟ وبماذا أزعجكم الملك؟
أي كبير منكم قد جُرحت كرامته؟ ولماذا لجأتم الى
التمرد والعصيان وسفك الدماء بما أثّرتموه من الأحقاد
الدفينة والغرائر الوحشية؟

رئيس الأساقفة : ان ما لحق بأسرتي ولا سيّما بأخي من اساءة الدولة،
أيها الصديق الكريم، وما لاقوه من الظلم والطغيان
جعلاني أشترك شخصياً في هذا النزاع المسلّح.

ويستمرلند : هنا لا مجال لتقويم الأمور بالقوة. واذا كان حقاً
هناك من موجب فهذا العمل ليس مطلوباً منك بالذات.

موبري : ولماذا لا يخصّه جزئياً كما يخصّنا نحن كلياً، ونحن
جميعاً نشعر بألم الجراح السابقة ونرى في الوقت
الحاضر يد التعفّف تمتدّ لتلوّث شرفنا.

ويستمرلند : لا، يا مولاي لورد موبري، لا بد من أن تحكم على

الوقت بمنظار الحاجة، لتقتنع حيثذ بأن الزمان، لا الملك، هو مصدر كل هذه المحن. ويبدو لي ان لا الملك ولا الزمان من سبب هذه الفرقة والشقاق وأنخن الجميع بالجراح. أولم ترجع أنت في حومة هذه المشاكل الى سيادة دوق نورفولك والدك النبيل الطيب الذكر.

موبري : ماذا خسر والذي معنوياً حتى احتاج الى تجديد نفوذه بشخصي؟ ان الملك الذي كان يحبه لأسباب تتعلق بالدولة اضطر قسراً الى اقصائه عنه. وقد تم ذلك حين أوشك هو وهنري بولينبروك ان يصطدما وكلاهما علي أتم الاستعداد فوق صهوة جواديهما الصاهلين نرقاً، ورماحهما مشهرين والمهماز في رجليهما جاهز، وعيناهما تقدحان شرراً وحماسة، وهما أن يشتبكا في العراك بدون رحمة ولا هوادة. في ذلك الحين لم يكن ما يحمي صدر بولينبروك من طعنة نجلاء يسدّها اليه والذي المغوار، وفي تلك اللحظة بالذات ألقى الملك عصاه الى الأرض، فما كان من أبي ورفاقه، عن تحفّظ أو مجابهة قعقة السيوف، إلا أن سقطوا مخرجين بدمائهم تحت نظر بولينبروك.

ويستمولند : أنت تؤكد هنا، يا لورد موبري ما لا تعرفه. في تلك الحقبة من الزمان كان كونت هيرفورد أشجع وجيه في انكلترا. فمن يدري لمن من الأثنين كان الحظ ابتسم؟ لكن، لو أحرز والدك النصر هناك لا أظنه كان لاقى الظفر في كوفتري. لأن الشعب بأكملة وبصوت واحد طالب بمعاقبته ورفع بالاجماع صلواته

وأعلن حبّه لهرفورد الذي كان يودّه ويباركه ويجلّه أكثر من الملك. لكن هذا استطراد خارج عن الموضوع. لقد جئت الى هنا من قبل الأمير، قائدنا العام، لأطلع على شكواكم وعلى ما لحق بكم من غبن، ولأعلمكم بأن سموه على أتم الاستعداد لاستقبالكم بكل حفاوة، وإنصافكم كما يحق لكم وترغبون، وكل ما هو شرعي من طلباتكم ستالونه حتماً، بصرف النظر عما بدر منكم مما يفترض انه بادرة عداء.

موبري : لكنه الآن يقدّم هذا العرض مرغماً بسبب ما فاجأناه به من ردّة فعل، ويقوم به من باب السياسة لا بداعي التحييد.

ويستمرلند : يا مولاي، أنت تفكّر هكذا بدافع ما ينفخ صدرك من الزهو والاعتداد بنفسك. بينما هذا العرض قد صدر عنه من قبيل الحلم والرفق لا بداعي الخوف والتراجع. واليك بهذه الحقيقة الأكيدة. ها هو جيشنا على مرأى ومسمع من مواقعكم. وأنا أقسم لك بشرفي، ان هذا الجيش هو مبعث ثقة وارتياح ولا يمكن أو يوحى بأية فكرة خوف. وخطوطنا تضمّ أسماء شهيرة أكثر مما تحويه صفوفكم. ثم ان رجالنا أبرع في القتال من رجالكم ودروعنا أمتن بما لا يقاس من دروعكم، وهذا يجعلنا نحن الأقوى والأشدّ بأساً. فلا تدعي اننا مجبرون على تقديم هذا العرض السخي.

موبري : على كل حال، لا أرى مجالاً لقبولنا بالتفاوض.
ويستمرلند : هذا ليس إلا الدليل القاطع على التضعضع الذي أفضى

اليه موقفكم المثبت بما لا يستحق كل هذا العناد.
لأن الوضع المشكوك فيه لا يجوز إعماده أساساً
لأية تسوية ومصالحة.

هاستينكس : هل يتمتع الأمير جون بصلاحيات مطلقة وواسعة تعادل
سلطة أبيه الملك، ليستمع الى مطالبينا ويقرر بصورة
نهائية كل الشروط التي تنفق عليها؟

ويستورلند : هذا أمر مفروغ منه بوجه عام. وأنا استغرب ان تطرح
مثل هذا السؤال.

رئيس الأساقفة : اذاً يا مولاي ويستورلند، إعتد هذا الأمر الواقع،
لأنه يشمل جميع ما سبب لنا من المضايقات، وليكن
لكل بند من الاتفاقية استدراك، ولكل فرد إشتراك في
هذه القضية هنا وفي أي مكان آخر عفو نهائي مبرم،
على أن يضمن تنفيذ ما نريده حالاً في كل ما يخصنا
ويتعلق بنا. وهكذا تعود الأمور بصفاء الى مجاريها
الطبيعية، وينضم رجالنا الى قوات الدولة لتوطيد السلام
والوئام بيننا جميعاً على الدوام لأننا كلنا رعاياها سواء
بسواء.

ويستورلند (بأخذ الاتفاقية) : سأبسط هذه للقائد العام. واذا شئت،
يا مولاي، ستقابل قريباً بخصوص أوضاع جيشنا.
وعندئذ إن شاء الله، تنهي جميع المشاكل سلمياً أو
على ارض المعركة حيث برز خلافنا وسيكون السلاح
حكماً بيننا يقرر مصيرنا ومصيركم.

رئيس الأساقفة : انا موافق على ذلك، يا مولاي.

(يخرج ويستورلند).

موبري : في أعماق صدري إحساس ينبئني بأن عوامل السلام
بيننا ليست مستقرة.

هاستينكس : لا تخشى ذلك. اذا توصلنا الى جعل نصوص السلام
نهائية وشاملة على أساس شروطنا سيكون صلحنا صلباً
كالصخر.

موبري : أجل، ولكن سيُنظر الى حجتنا كأنها عرجاء وجوفاء
ومبتذلة وهزيلة تذكر الملك بتمردنا عليه. ومهما أظهرنا
له من مودة وإخلاص، نظل شهداء ولائنا وخضوعنا
للملك، بحيث عندما تهبّ أضعف رياح الغطرسة من
جهته ستجعل حبوب قمحنا أخفّ وزناً من ثبنا،
فلا يفرّق بين السنايل الجيدة والزؤان الرديء.

رئيس الأساقفة : لا، لا، يا مولاي. أرجوك أن تلاحظ هذا : الملك قد
أرهمته الاتهامات المشينة والمختلقة، لأنه أدرك ان
خنتي الشك بالقتل لا يفيد ولا يؤدي إلّا الى إشعال
الفتنة وإحياء مشككين أخطر منه بين ورثة الضحية.
وبالتالي هو يريد الآن محو كل ما سُجِّل في باب
الحقد والضعيفة، ويصرّ على ازالة كل أثر يذكره بشقائه
ويعيد الى ذهنه أيامه التعيسة. ما دام قد اقتنع أنه
لا يستطيع أن يقتلع من هذه الأرض جذور كل ما
سبب له القلق والهَمّ، لأن أخصامه متشبّثون هم
وأصدقاؤهم بأن سعيهم للقضاء على أي عدو سيؤدي
حتماً الى فقد صاحب يكون لهم عوناً أيام الشدة.
فإن هذه الدولة أشبه بامرأة وقحة أخرجت زوجها عن
صبره حتى هدّدها بالضرب والتأديب، وحين عزم على
تفنيذ وعيده أبرزت في وجهه إبنه، فجمّدت يده وهو
يرفعها لتهميشها والاقتصاص منها.

هاستينكس : من جهة أخرى قصد الملك أن يُعَمِّل قضائه في أبدان مناوئيه، لكن أدوات هذا العقاب لم تطاوع مشيئته. فغدت سلطته كنمر اقتلعت برائته، يهدّد وليس له من قدرة على التقاط طريدته.

رئيس الأساقفة : هذا صحيح. لذا، كن مطمئن البال، يا عزيزي لورد مارشال، إننا ان أحكمنا جيداً صياغة بنود اتفاقيتنا سيدوم حلمنا وسلامنا نظير عضو كُبير وجَبَر وأضحى أقوى مما كان عليه قبل إعطابه.

موبري : حسناً. ها هوذا مولاي ويستمورلند يعود إلينا.

(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : الأمير قريب جداً من هذا المكان. فهل تريد سيادتكم أن تجتمع بسموه على مسافة متساوية بين جيشينا؟ موبري (لرئيس الأساقفة) : سرّ، يا صاحب السيادة، قدماً على بركة الله. رئيس الأساقفة (لموبري) : كن السبّاق، يا مولاي، واذهب لتحية الأمير، ونحن لا نلبث أن نلحق بك.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في جهة أخرى من الغابة

(يدخل مويري ورئيس أساقفة يورك وهاستينك من جهة،
ومن الجهة الأخرى يدخل الأمير جون لنكاستر وويستمورلند
وضباط ورجال من الحاشية)

الأمير جون : أهلاً بك، يا ابن عمي مويري. أحييك، يا رئيس
الأساقفة الجليل، وأنت أيضاً، يا لورد هاستينك، وأنتم
كلكم كذلك. يا مولاي لورد يورك، كانت أيامك
أحلي، يوم التأمت رعبتك مجتمعةً عند قبة الجرس
وتحلقت حولك لسماع تعليقاتك الحكيمة على
النصوص المقدسة، أكثر من هذه الأيام، إذ تحاول
أن تظهر كرجل حديدي تحرّك زمرة من العصاة يطبلون
ويزمّرون ويستبدلون كلام اللين بحد السيف، وتباشير
الحياة بأشباح الموت. لأن الرجل الجالس على عرش
القلوب والزاهي بنور شمس العطاء، مهما ابتز ثقة
الملك بالأمور الطفيفة، كم من المحن، يا للأسف،
يسبّب في ظلّ طاغية، عظمته باهظة الثمن كهذه.
هكذا هو حالك، يا سيدي رئيس الأساقفة. من لا
يدرّي كم كان مقامك سامياً في تعزيز كتاب الله.
بالنسبة إلينا كنت الناطق باسم مجلس الملك باعتباره
صوت الرب بالذات على الأرض، وقديسه في السماء،
وكل أفكارنا كانت متجهة الى قدرتك الفائقة ونفوذك
الواسع. ومن كان يجسر على مجرّد التفكير في إمكان
معاكستك مشيئة جلالته، لا سيّما أثناء ممارسة سلطتك
الدينية في ظل سلطتك الدنيوية كأنك عدوّ لدود يناوئ

ملكه، لا تتردد عن معارضته بأعمال مشينة بعيدة كل البعد عن رسالتك المباركة؟ أجل لقد أثرت بما تدعيه من مؤازرة السماء، فسمأ كبيراً من رعايا أبي، نائب الله على الأرض، وأقمت الأرض ولم تقعدها لمحاربتة بعكس توصيات الدين المسالمة، وآلبت عليه عدداً كبيراً من رعاياه المخلصين.

رئيس الأساقفة : يا عزيزي لورد لنكاستر، أنا هنا لا أريد أن أقوض أركان سلام أبيك. لكن هذه القوضى، كما سبق وشرحت للورد ويستمورلند، تجمعنا بدافع إحساسنا الغريزي بالغين، وتكثفنا بشكل فعال لتأمين خلاصنا. ولقد أرسلت الى سموك معروضاً مفصلاً يبين سبب محتنا واستغلالنا. لكن البلاط رفضه بازدراء، وهذا ما أيقظ ظنوننا وهيج تنين الحرب المسع الرؤوس. غير ان نظرتة الهائلة يمكن تلطيفها بتسامح رائع وتبليية مطالينا الشرعية العادلة. وهكذا لن تأخر عن ابداء خضوعنا وامتناننا اذ يكون إنصافنا قد شفى جراح غيظنا، فنحن بتواضع أمام مشيئة جلالته.

مويري : وإلا اجتهدنا أن نجرب حظنا جميعنا حتى آخر رجل منا.

هاستينكس : وحين نسقط هنا، سيأتي من يحلون محلنا لتجديد هذه المحاولة. واذا لم ينجحوا بدورهم سيجدون من ينوب عنهم لمواصلة السعي حتى تتكفل بالفوز. وهكذا تولد تمرّدات متلاحقة وتنتقل هذه النزاعات من وريث الى آخر ما دامت في انكلترا أجيال صاعدة تتمتع بالنخوة والحمية.

الأمير جون : أنت سطحي الى آخر حدود السطحية، يا هاستينك،
ولا يسعك أن تدرك عمق فعالية الظروف المقبلة.
ويستمرولند (للأير): هل لسموك أن تتنازل وتعلمنا بصراحة الى أي
مدى تستطيع أن تتقبل عروضهم؟

الأمير جون : انا مستعد لأن أقبلها جميعها، وأقسم هنا بشرفي أن
نوايا والدي أسوء فهمها، وان العديد ممن يحيطون
به لشدة فسادهم شوها إرادته وسلطته. يا مولاي،
هذا الغبن سرعان ما يُرفع عنكم، وأؤكد لك انه سيرفع
حتماً. واذا وافقتم، تسحبون أنتم قوّاتكم من مختلف
المناطق كما نسحب نحن قوّاتنا. ثم هنا في هذا
المكان تتبادل انتخاب الصداقة بين جيشينا وتعاون أمام
الجميع ونحتفظ بذكرى هذه المصالحة الودّية الصادقة
على مدى الأيام.

رئيس الأساقفة : اني أعتد على كلامك، أيها الأمير، لتحقيق هذا
التقارب.

الأمير جون : أجل، أنا أعدك بذلك واني مصمم على الوفاء بوعدتي.
وبناءً على ذلك أشرب نخب سموك.

هاستينك (للضابط) : أيها القائد، إذهب وبشر الجنود بنياً هذا السلم.
ولتدفع رواتبهم ولينصرفوا الى بيوتهم، وأنا واثق بأن
الأمر سيسرهم. عجل أيها القائد.

(يخرج الضابط).

رئيس الأساقفة (بأخذ كأساً) : اني أشرب نخبك، أيها اللورد النبيل
ويستمرولند.

ويستمرولند : انا مغتبط بهذه النتيجة السارة. ليتك تعلم كم عانيت
من المشقات للوصول الى هذا السلم، فأشرب وافرح

من كل قلبك. وستظهر مودتي لك قريباً بشكل جليّ
واضح لا يقبل أدنى ريب.
رئيس الأساقفة : أنا لا أشكّ بما تقول.

ويستمرولند : حقاً أنا سعيد بهذه الخاتمة المرضية. وأنا أشرب
نخبك، يا عزيزي اللورد وابن عمي اللطيف موبري.
موبري : ستهنئي قريباً باستردادك كامل صحتي، لأنني فجأة
شعرت ببعض الانزعاج.

رئيس الأساقفة : عند اقتراب المحن كثيراً ما يشعر المرء بسرور غير
طبيعي. كما أن الحزن والكآبة غالباً ما تسبق الأحداث
السعيدة.

ويستمرولند : إفرح إذاً، يا ابن عمي العزيز، لأن انحرافاً مبالغاً في
صحتك أتاح لك أن تفاجأ غداً بحدث سارّ.

رئيس الأساقفة : صدّقني اذا قلت لك اني مرتاح البال للغاية.
موبري : أبشر، سيصبح ما تقول.

(تُسمع هتافات عن بعد).

الأمير جون : انتشر نبأ السلم. فأسمعوا الهتافات بهذه المناسبة
السعيدة.

موبري : هذه الهتافات تملو عادة على أثر إحراز النصر.
رئيس الأساقفة : هذا في الحقيقة انتصار عظيم مثل استياب السلام.
لأن الفريقين سيتكاتفان بنبل وبدون سقوط أية ضحية.
الأمير جون (لويستورلد) : إذهب، يا مولاي، واصرف أيضاً جميع
رجال جيشنا. (يخرج ويستمرولند). (رئيس الأساقفة) وإذا
سمحت، يا مولاي الفاضل، سيمرّ مسلّحوكم أماناً
لنرى أي نوع من الرجال كنا سنجابه.

رئيس الأساقفة: إذهب، يا لورد هاستينكس، وقبل أن يتفرّق هؤلاء الرجال، دعهم يمرّون أمامنا.

(يخرج هاستينكس).

الأمير جون : املي كبير أن ننام جميعنا مرتاحين في هذه الليلة التاريخية.

(يدخل ويستورلند).

الأمير جون (بواصل كلامه) : لماذا، يا ابن العمّ، ظلّت فرّقنا بدون تحرّك.

ويستورلند : لأنّ الرؤساء الذين تلقّوا الأمر أولاً من قبلك بالبقاء، لم يرضوا أن ينصرفوا قبل أن يسمعوا هذا الأمر منك شخصياً.

الأمير جون : هم يعرفون واجبهم.

(يدخل هاستينك).

هاستينكس : يا مولاي، تفرّق أفراد جيشنا، ونظير ثيران فتية أفلتت من النير، سارعوا في الابتعاد باتجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب. كما يفعل التلاميذ عند الانصراف من المدرسة، كل واحد يركض الى بيته أو الى باحة اللعب.

ويستورلند : خير مفاجئ، يا مولاي هاستينكس، لأجله أوقفت كمجرم متلبس بالخيانة العظمى. كذلك أنت، يا سيادة رئيس الأساقفة، وأنت أيضاً، يا لورد موبري، لأنكما مشتركان معه بالخيانة.

موبري : هل هذا عمل عادل وشريف؟

ويستمرولند : وهل يعتبر تجمّعكم كما ذكرت؟

رئيس الأساقفة : هل تريد أن تنقض حلفانك؟

الأمير جون : أنا لم أقسم لك أن أحقق أية تسوية. لقد وعدتك باستدراك التجاوزات التي شكوت منها، وأنا لا أزال مصمماً على تنفيذ وعدي بكل ضمير حي. لكن، من جهتكم، أيها المتمرّدون، هل تريدون نيل مكافأتكم على عصيانكم وعلى تصرفاتكم العدوانية؟ لقد جئتم هؤلاء الرجال بصورة طائشة وجئتم بهم الى هنا لتهديد كيانتنا، ثم صرفتموهم بطريقة مهووسة. لا بدّ من دق الطبول لمطاردة عصاباتكم المشتة. مشيئة الله نصرتنا عليكم وليست جهودنا التي قادتنا الى الفوز في هذا النهار. هيّا، يا رجال، رافقوا هؤلاء الخونة الى المشتقة حيث يكفّر المجرمون عن عصيانهم وتزهق أرواحهم.

(يخرج الجميع).

المشهد الثالث

في بقعة أخرى من الغابة

(تصيح الموسيقى، يتحرك الجنود ويتلاقى فالستاف وكولفيل).

فالستاف : أرجوك أن تقول لي ما اسمك؟ وما هي صنعتك؟
ومن أين أتيت؟

كولفيل : انا فارس، يا سيدي، واسمي كولفيل دي فال.
فالستاف : تقول ان اسمك كولفيل، ولقبك فارس، وإقامتك في
فال. بعد الآن، لن يكون اسمك كولفيل، أيها
الخبثاء. أما لقبك فهو الخائن، وإقامتك السجن الذي
ستلازمه مدى الحياة.

كولفيل : أولست سرّ جون فالستاف؟
فالستاف : انا رجل بكل معنى الكلمة، يا سيد، مهما تقلّبت
الأحوال. فهل تريد أن تسلّم نفسك، أو أحاول القبض
عليك بالقوة؟ وهكذا تجعلني أعرق وكل نقطة من
عرقى ستكلّف دموع أصدقائك الذين سيندبون موتك
ويكون مصيرك. فالأجدر بك أن تحزم أمرك وتستسلم
إليّ وتكون تحت رحمتي.

كولفيل : أعتقد أنك سرّ جون فالستاف، وبناءً على ذلك أستسلم
إليك.

فالستاف : في بطني مدرسة لغات كاملة، لا عمل لها سوى
الهتاف باسمي. ولو كان لي بطن عادي لاعتبرت
أنشط فتى في جميع أنحاء أوروبا. لكن كرشي يُثقل
همني.... ها هوذا قائدنا العام قادم.

(يدخل الأمير جون وويستمرلند وآخرون).

الأمير جون : انتهى التمرد، ولا حاجة الى متابعة المطاردة. يجب أن تستدعي الجنود، يا ابن عمي الكريم ويستمرلند. (يخرج ويستمرلند). أين كنت، يا فالستاف، طوال هذا الوقت؟ ها أنت عائد بعد أن انتهت جميع المشاكل. أقسم لك بحياتي، ان عود المشنقة سينكسر من كثرة ثقلك، في يوم قريب، ان شاء الله.

فالستاف : سأحزن للغاية، اذا لم يتم الأمر هكذا. لقد عرفت دوماً ان التويخات والعلامات هي دائماً مكافأة أصحاب القيم. هل تظنني أسرع كالرزورز أو كالسهم المنطلق أو كقنبلة المدفع؟ وهل يتسنى لجسمي الضخم أن يسابق الفكر السريع كالبرق؟ لقد بادرت الى المجيء بالعجلة الممكنة لتحركي البطيء، فسبقت أكثر من ثمانين حصان عربة سفر صادفتها في سبيلي الى هنا. وأثناء الطريق لم أحجم عن توقيف سرّ جون كولفيل والإتيان به أسيراً، وهو فارس مغوار وعدوّ ماهر رهيب. لكن، ما العمل؟ فحين شاهدني استسلم اليّ بطريقة تمكّنتني من القول مع القائد الروماني الشهير قيصر ذي الأنف المعقوف : جئت، ورأيت، وانتصرت.

الأمير جون : وهذا تمّ بفضل لباقة لا بفضل جهادك. فالستاف : لست أدري. على كل حال، ها هو مائل أمامك، أسلمك اياه، وأنتس من سموك أن تضيف مأثرتي هذه الى انجازات هذا النهار التاريخي المجيد. وإلا، بحق السماء، رويت هذا الحدث في قصيدة خاصة نمتّ مطلعها بتعداد صفاتي، وصوّرت في سياقها كولفيل وهو يقبل رجلي. ومهما يكن الأمر، لن أقصر

في الاثنيان على ذكرك معي وإبراز شخصيتك الفذة
نظير قطعة عملة جديدة برّاقة. هذا اذا لم أجعل إسمك
ينخسف في سماء المجد كالقمر القاتم وسط فلك
معمت تظهر فيه أشخاص الكبار كرؤوس الدبابيس، لا
قيمة لأقوالهم مهما علوا في سلم النبل والجاه اذا
لم تنظر إليّ بعين العطف والرعاية. وعلى هذا الأساس،
أرجوك أن تقدّر جهودي وأن تعاملني بالعدل
والانصاف.

الأمير جون : انصافك عسير، أيها المتفلسف الظريف.

فالسّاف : اذا، أرجو أن تعرّض عليّ.

الأمير جون : أنت ثقيل الوزن، والتعويض عليك ليس بيسير.

فالسّاف : فما عليك إلا أن تسدي إليّ أي معروف يوازي صنيعي،
وسمّه كيفما شئت.

الأمير جون (للأسير) : هل تدعى كولفيل؟

كولفيل : أجل، يا مولاي.

الأمير جون : أنت متمرد مرموق، يا كولفيل.

فالسّاف : وقد أسره رجل مشهور بأمانته.

كولفيل : أنا، يا مولاي، على مثال رؤسائي الذين أوصلوني الى
هنا. ولو تبعوا نصيحتي لكانوا استسلموا إليك لقاء
أبهظ الأثمان.

فالسّاف : لست أدري بِكُمْ باعوه. لكنك أنت وهبت وجودك
هنا بلا مقابل نظير فتى عاقل، وأنا أشكرك على تصرفك
الرصين.

(يدخل ويستمررلند ثانية).

الأمير جون : هل أوقفتم المطاردة؟

ويستمرولند : أجل، إنسحبنا ووضعنا حداً للمجزرة.
 الأمير جون : أرسلوا كولفيل ورفاقه الى يورك، لكي ينفذ فيهم حكم
 الاعدام حالاً. خذه، يا بلونت، وضعه تحت الحراسة
 المشددة. (يؤخذ كولفيل). والآن لتعجل في الرحيل الى
 البلاط، يا سادة. إذ علمت بأن والدي الملك مريض
 جداً. وأخبار نجاحنا ستسببنا الى جلالته وتفرحه،
 فتشيط صحته. هيا بنا، يا ابن عمي، انقل اليه هذا
 النبأ السارّ وسلحق بك قريباً في مسيرتنا العادية.
 فالستاف : إسمح لي، يا مولاي، بأن أمرّ بكلوستر شاير، وعندما
 تصل الى البلاط، أرجوك أن تكون أميراً عطوفاً عليّ
 لدى تقديم تقريرك.
 الأمير جون : الوداع، يا فالستاف. بصفتي القائد الأعلى، سأتكلم
 عنك بطريقة أفضل مما تستحقّ.

(يخرج).

فالستاف (وحده) : كم أودّ أن تكون منفتح الذهن، فذلك أولى من
 دوقيتك بذمتي، هذا الفتى البارد الدم مدهش لأنه
 يشرب الخمرة. وأمثاله في الصلابة لا يرجى منهم
 خير كثير. لأن مشروبهم غير المسكر بالاضافة الى
 ما يأكلونه من السمك يردّ دمهم الى درجة أن يصابوا
 بجمود الرجلولة. وعندما يتزوجون ينجبون فتيات
 نحيلات. وهم في الغالب أغبياء وجبناء، كالعديد بيننا
 ممن لا يتعاطون المنشطات. ان كأساً من الخمرة
 الجيدة تذهب بكل الحماقات والسخافات والحزازات
 التي تطوّق المرء وتضايقه وتغعم صدره آمالاً هزيلة وغريبة
 تحكّم بتفكيره ولسانه وتولّد فيه مزاجات سخيفة

مستبدة. أما ثمانية فضائل الخمرة الممتازة فإنها تحمي الدم الذي، قبل أن يبرد، يجعل الكبد أبيض مائلا الى الشحوب، وهذه دلالة على الغباء والجبانة، كما قلت. ثم ان الخمرة تمنح الدفء والحركة في الباطن الى أقصى مدى. وتثير الوجه كالمصباح وتزيد القوى في جسم الانسان الذي يشبه مملكة صغيرة، وتنبهه الى وجوب التسلح لدرء التخاذل. عندئذ تلتف جميع عناصر الجيش الداخلي في الجسم حول قائدها ألا وهو القلب الذي يزهو بهذا الموكب الحميم ويجرؤ على القيام بالمهارات المرغوبة، وجميع هذه النشاطات ناجمة عن الخمرة المنبهة. هكذا بدون الخمرة، نرى ان مجمل الأسلحة القيّمة ليست ذات فعالية كبيرة، لأنها هي التي تحركها. والثقافة هي أشبه بمنجم ذهب يحرسه إبليس بانتظار ان تستمره الخمرة وتروج أعماله وتزيده قيمة. لهذا السبب نجد الأمير هاري نشيطاً، لأن الدم البارد الذي ورثه عن أبيه بصورة طبيعية هو كالأرض الهزيلة الجرداء القاحلة، لا تصلح ولا تخصب إلا اذا شربت وارتوت. فتصبح جيدة طيبة. ولو كان لي ألف ولد لما تأخرت عن تعويدهم رفض المشروب الخفيف والتمسك بتجرع الخمرة الجيدة المسكرة؟

(يدخل باردولف).

فالسٹاف :	ما وراءك من أخبار، يا باردولف.
باردولف :	كل أفراد الجيش صُرفوا ورحلوا.
فالسٹاف :	لا بأس من رحيلهم. أما أنا فسامر بكلوستستر شاير

حيث سَأزور الفارس الأستاذ روبرت شالو. فلقد عَجنته
وخبزته وأدرته بسبَّاتي وإبهامي، وقرياً سأمهره بخمتي.
هيا بنا نذهب.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في جناح الملك بقصره في وستمنستر

(يدخل الملك هنري وكلارانس والأمير همفري. ورويك وغيرهم).

الملك هنري: والآن، اذا كُتِبَ لهذا الجدل نهاية سعيدة بعد انهياره
عند أبواننا، سنقود شباننا الى ساحات قتال أوسع ولن
نشهر إلا خناجر مشحوذة. فاسطولنا جاهز وجيشنا
مستتفر ولدى معاونينا التفويضات القانونية اللازمة،
وكل الأمور تسير على ما يرام. ولا يلزمنا إلا اقدام
شخصي، ونحن ننتظر عودة المتمردين الذين لا تزال
الأسلحة في أيديهم، الى حظيرة الحكومة، والخضوع
لأوامرها الشرعية.

ورويك : لا نشك أبداً بأن جلالتك ستحصل على هذه الترضية.
الملك هنري: يا بني همفري كلوستستر، أين أخوك الأمير الشاب؟
همفري : أظن، يا مولاي، انه ذهب الى الصيد في وندسور.
الملك هنري: وهل ذهب شقيقه توماس كلارانس بمعيته؟
همفري : لا، يا مولاي الكريم، انه هنا ماثل أمام جلالتك.

كلارانس (يتقدم): ماذا تريد مني، يا أبي ومولاي؟

الملك هنري: انا لا أريد لك إلا كل خير، يا توماس كلارانس.
كيف لم تذهب بصحبة أخيك الأمير؟ هو يحبك وأنت
تبتعد عنه، يا توماس. ان لك في قلبه منزلة ومودة
خاصة تمتاز عن سائر أخوتك. فألمي ان تصون هذه
المحبة، يا ولدي. وبعد رحيلي عن هذا العالم، أرجو
أن تكون خير وسيط بين جلاله شقيقك خليفتي وبين
سائر أخوتك. فلازمه ولا تهمل محبته ولا تنهوان
في الاحتفاظ برضاه عن طريق الفتور والتظاهر بقلة
الإكتراث. لأنني أعرف جيداً انه يعطف على من يقدر
رعايته وهو شغوف على من يستحق الاهتمام به وكريم
الكف، ومثل النور يضيء على أهل البرّ والاحسان.
مع ذلك أعرف جيداً انه متى غضب تحجر قلبه وأظلم
مثل أيام الشتاء وعنف نظير رياح العاصفة الهوجاء
في نهار ربيعي. فلا بد اذاً من مداراة طبيعته. يمكنك
أن توبّخه على أخطائه لكن بلطف واحترام، حين تراه
ميالاً للمرح. لكن اذا كان سيّء المزاج فاصبر عليه
الى أن تصفو أجواؤه ويهدأ كأنه حوت على اليابسة
وقد أنهكه التعب خارج مياه البحر الواسع. إحفظ
ما أوصيك به، يا توماس. عليك أيضاً ان تكون مثلاً
صالحاً لأصدقائك، وستكون كحلقة من ذهب تجمع
بين أخوتك، بحيث يظل وئاق الدم رباطاً لا يتفكك
بفعل تقدّم العمر الذي يصعب تجنّبه متى سرى هذا
السّم العنيف القتال كالزرنخ والسريع الانفجار
كالبارود.

كلارانس : سأحيطه بكل رعايتي وكل حنوي.
الملك هنري: لماذا أنت هنا ولست معه في وندسور، يا توماس؟

كلارانس : هو اليوم غائب لأنه ذهب لتناول طعام العشاء في لندن.

الملك هنري: وهل تدري بصحبة من؟

كلارانس : بمعية بوينز ورفاقه الآخرين كالمعتاد.

الملك هنري: أنحصب أرض تتعرض للأعشاب الضارة. وهو أنبل

صورة تمثلي وأنا في ريعان الشباب، لم يسلم من

التهوّر. لذلك أنا قلق على مصيره بعد مماتي. قلبي

يتفطر ويقطر دماً عندما أتصور ما قد يحل به من

شقاء ومن فساد بعد أن أرقد في مثواي الأخير الى

جانب أجدادي. إذ عندما لن يصدّ تهتكه أي رادع

حين سيخلو بنفسه تحت تأثير الغضب وفورة الدم

والاحتداد، يوم تترج السلطة بالتبذير، الى أين ستطير

به أجنحة شهواته وسط الأخطار المحدقة التي ستجرّفه

الى هاوية المهالك والكوارث.

ورويك : يا مولاي الفاضل، أنت تذهب بعيداً في هذا المجال.

فالأمير يدرس الآن طباع رفاقه كأنها مفردات لغة

أجنبية. ولكي يمتلك دقائقها لا بدّ له من أن يطلع

عليها ويتعلّم أغرب ألفاظها. وحين يتوصّل الى مبتغاه،

كما تعلم، يا مولاي، يكون قد أتقنها ليتجنّب أغلاطها.

كذلك سيهدي الزمان أميرنا، فيقطع عن عشرة رفاقه

كما يتحاشى الكلمات النائية. وذكرى أصحابه ستكون

له كنموذج، وكمقياس حيّ يتّخذهُ سموّ لتقدير سواهم

من الأخيار وقد استفاد من خبرته برفقة الأشرار ومن

أخطائه الماضية.

الملك هنري: يصعب على النحل أن يغادر المحيط الذي اعتاده،

ولو أُلقيت فيه جيفة ننته... من القادم الى هنا؟ أهذا

أنت يا ويستمورلند؟

(يدخل ويستمرلند).

ويستمرلند : السلام على مولاي الملك. كم أتمنى أن يضاف المزيد من السرور الى ما آتبه به من الأنباء المفرحة. الأمير جون ابنك، يا مولاي، يقبل يديك المباركتين. موهري والأسقف إشكروب وهاستينكس كلهم خضعوا لما تفرضه عليهم شريعتك. ولم يبق من سيف متمرد خارج غمده. لأن السلام عم كل مكان وانتشر غصن الزيتون فوق رؤوس الجميع. أما كيف حصل هذا النجاح، فجلالتك تستطيع أن تقرأ تفاصيله بتأن في التقرير الكامل والمفصل الذي أقدمه لك الآن.

(يسلمه ورقة).

الملك هنري: أنت الطائر الميمون الذي يشتر بقدوم الربيع، يا ويستمرلند، وفي أواخر الشتاء يفرّد مشيداً بطلوع الفجر كمقدمة النهار الجديد. وها هي أنباء أخرى.

(يدخل هاركور).

هاركور : صانتك العناية الإلهية من غدر أعدائك، يا مولاي. وإذا وسوس لهم الشيطان عضيانك، أتمنى لهم أن يهلكوا نظير من جثت أكلمك عنهم. فالكونت نورثمبرلند ولورد باردولف على رأس العديد من الانكليز والاسكتلنديين قد شتتهم رجال أمن يورك شاير. أما تفاصيل سير القتال فهي مبيّنة في هذه العجالة.

(يسلمه أوراقاً).

الملك هنري: ولماذا تنهال عليّ كل هذه الأنباء الجديدة المطمئنة؟

أولاً يمنّ علينا الحظ أحياناً بأكثر مما نستحق؟ وهل يكتب السعد كلماته الحلوة بحروف قاتمة؟ أنه يفتح شهيتنا أحياناً ولا يُلقمنا أي طعام. هكذا هو حال هزيل الصحة. فالحظ يولم المآذب غالباً ويسدّ قابليتنا مثل الغني الذي تضخمت ثروته ولم يتمتع بما تتيحه له من ملذّات. عليّ إذاً أن أنعم الآن بهذه الأنباء البهيجة. لكنني أشعر باضطراب في نظري وبدوار يرهق رأسي. هيا اقرب مني، لأنني أشعر بكثير من الانزعاج.

(يغيب عن الوعي).

همفري : تشجّع، يا مولاي.

كلارانس : ما بك، يا أبت؟

ويستورلد : مولاي الملك، عدّ إلى رشدك، وافتح عينيك.

ورويك : صبراً، أيها الأمراء... أنتم تعلمون ان هذه النوبات

أُسمت مألوفة وعادية بالنسبة إلى جلالته في هذا

الوضع. أرجوكم أن تبتعدوا عنه لتفسحوا له مجال

التنفس بسهولة. لا بد له من أن يعود إلى حالته الطبيعية.

كلارانس : لا يمكنه أن يتحمّل طويلاً هذا الضيق. فالهموم

المتواصلة وانشغال ذهنه المرهق بصورة متواصلة قد

نالت منه وأضعفت جلدّه، فباتت صحته على وشك

الانهيار، وراح أجله يزداد دنواً كل يوم.

همفري : رعاياه قلقون على حالته، وقد لاحظوا انهم في هذه

المرحلة من عهده، أضحوا أيتاماً فقدوا أباهم، وخرافاً

بدون حارس. فالفصول قد تبدلت أجواؤها كما لو

كانت السنة قد نامت عدة أشهر ثم اجتازت ما حدث

من فراغ بقفزة واحدة.

كلارانس : النهر الكبير اقتبل المد ثلاث مرات بدون انحسار أي
جزر متوسط المدى. والأشخاص المستون الذين رافقوا
الأجيال الماضية ودبّ فيهم هزال التفكير يقولون ان
هذه الأمور عينها قد جرت قبل أن يمرض جدنا الأكبر
إدوارد ويموت.
ورويك : أيها الأمراء، تكلموا بصوت خافت، لأن الملك أخذ
يسترّد وعيه.
همفري : هذه الصحوة لا بد من أن تكون الأخيرة قبل مفارقة
الحياة.
الملك هنري (وقد صحا) : أرجوكم أن تسندوني وتعضوني وأن
تأخذوني الى حجرة أخرى، بكل تمهل وهدوء.
(يؤخذ الملك).

المشهد الخامس

في حجرة أخرى

(الملك مستد على سرير وحوله كلارانس وهمفري وورويك)

الملك هنري: أرجو أن لا يضجّ أحد منكم، يا أصدقائي الأعزاء.
مع ذلك أودّ أن يدمم صوت حنون شجيّ أنشودة
لطيفة قرب أذني المتعبة.
ورويك : اجلبوا الموسيقى الى الحجرة المجاورة.
الملك هنري: ضعوا تاجي على وسادتي هنا الى جانب رأسي.
كلارانس : لقد غارت عيناه، وتبدّلت ملامح وجهه كثيراً.
ورويك : خففوا الضجة على قدر الإمكان.

(يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : من رأى دوق كلارانس؟
كلارانس (وعينه تدمعان) : ها أنذا، يا أخي، وقد مَرَّق الحزن قلبي.
الأمير هنري : ماذا أرى؟ المطر يهطل تحت سقفتنا وليس خارجا.
كيف حال الملك؟

همفري : صحته متدهورة جداً.
الأمير هنري : وهل علم بالأنباء السارة؟ يجب أن تُطلعوه عليها.
همفري : وقوفه عليها هو الذي غيّر أحواله بهذه السرعة.
الأمير هنري : اذا كان مرضه ناجم عن الفرح، فلا بدّ له من أن
يعود الى وضعه الطبيعي بدون مسعف أو علاج.
ورويك : لا ترفع صوتك هكذا عالياً. لأنّ والدك الملك بحاجة
الى الرقاد الهادئ.

كلارانس : تعالوا ننسحب الى الغرفة المجاورة.
ورويك (للأمير هنري) : تفضّل، يا مولاي، بالانتقال معنا.
الأمير هنري : لا، أريد أن أجلس هنا، وأسهر على الملك. (يخرج
الجميع ما عدا الأمير هنري). لماذا وُضع التاج هنا على
وسادته؟ هل أضحي الآن رفيق سريره؟ ما هذا التبدّل
المستجد؟ أهو همّ الذهب الذي يُقصي النوم ويمهّد
السييل لسيطرة ليالي القلق والسهاد؟ وهل بت، يا
والدي، لا تنام إلّا والتاج بقربك؟ لكن رقادك العميق
ليس كالنوم الهادئ الذي كان يريحك برفق في
الماضي حين كنت تشخر طوال الليل. يا صاحب
الجلالة، إن تشبّثت اليوم بما يصون حياتك نظير درع
ثقيل تحتمي به في يوم حارّ يحرقك وهو يزود عنك،
فان انفاسك أضحت خفيفة لا تحرك ريشة اذا وُضعت
قرب أنفك. واذا تنفّست، فلا بدّ لهذه الريشة من

الاهتزاز. لكن هذا النوم في الحقيقة ثقيل كأنه سُبات عميق، يا والدي الكريم. وكم من ملوك الانكليز قد فارقوا هذه الهالة الذهبية. انا مدين لك بالدموع وبالآلام التي تدفعني اليها قرابة الدم والطبيعة والحب والحنو البنوي، يا والدي العزيز. وما أحفظه لك من المودة والتقدير فيك حقك. أمّا أنت فمدين لي بهذا التاج الأمبراطوري الذي يهبط تلقائياً على رأسي ما دمت وريثك الشرعي المباشر، تبعاً لقرابة الدم كما قلت. (يضع التاج على رأسه). الآن وقد وضعته على رأسي، أسأل الله أن يحفظه عليه. عندما تنحصر جميع قوى الأرض في ساعد جبار، لن يتمكن أحد من انتزاع هذا الشعار الوراثي، هذا التاج الذي منحتني إياه، يا أبي، سأحتفظ به وديعة كما تركه أنت.

(يخرج والتاج على رأسه).

الملك هنري (يستيقظ): ورويك، كلوستتر، كلارانس.

(يدخل ورويك ورفيقاه).

كلارانس : هل ناديتنا، أيها الملك المفدى؟
ورويك : ماذا تريد، يا صاحب الجلالة؟ كيف حالك، يا مولاي؟
الملك هنري: لماذا تركتموني وحدي هنا، يا سادة؟
كلارانس : يا مليكي، أبقينا بقربك الأمير أخي الذي ودّ أن يجلس الى جانبك ويسهر عليك.

الملك هنري: أين أمير وائلس؟ دعوني أشاهده. أليس هو ها هنا؟
ورويك : هذا الباب كان مفتوحاً. ولا بد من أن يكون قد خرج الى مكان قريب.

همفري : لم يمرّ أحد بالغرفة المجاورة حيث كنا.
الملك هنري: أين التاج؟ من أخذه من فوق وسادتي؟
ورويك : عندما انسحبنا، يا صاحب الجلالة، تركنا التاج حيث
كان موجوداً هنا.

الملك هنري: أخذه الأمير، اذاً. إذهبوا وابحثوا عنه. هو مستعجل
للحصول عليه، فظنّ رقادي موتاً. ابحث عنه، يا لورد
ورويك، واجلبه الى هنا حالاً. (يخرج ورويك). سلوكه
الطائش هذا بالاضافة الى مرضي سيعلّل نهايتي...
انظروا، يا أولادي كيف تتصرفون. وكيف تثور الطبيعة
الانسانية بسرعة حالما يغريها الذهب. لهذا السبب
استفاق الآباء النشيطون من نومهم على أحوال شبيهة
بهذه كانت تشغل بالهم وترهق أدمغتهم بما يتابعهم
من هموم وما يجلبه عليهم ذهبهم من شرور. لذا
كنزوا أكداً قلدر من الأصفر الرنان خزّوها بطرق
غريبة. ولهذا السبب ربّوا أولادهم ولقّوهم شتى
المبادئ والفنون ودرّبوهم على أساليب الحرب، ونظير
النحل الذي يمتصّ رحيق الزهور العطرة ليضع الشمع
ثم يسكب فيه العسل اللذيذ، نحن أيضاً نجتمع غنائمنا
في مستودعاتنا. ونظير النحل أيضاً تجرّ متاعنا علينا
الموت والهلاك. وهذا بالذات ما يؤلم الأب وهو ينازع
عند دنوّ أجله.

(يدخل ورويك ثانية).

الملك هنري (يوصل حديثه): أين هو هذا الابن الذي لم يشأ أن
ينتظر حليفه المرض ليُكمل ما بدأه من الاجهاز عليّ.
ورويك : وجدت الأمير في الحجرة المجاورة، يا مولاي، ودموع

الحزن تسيل على خديّيه، وهو متأثر جداً على أثر
المرض الشديد الذي انتابك، كأنّ خنجرأ طعن قوّاده
في الصميم. وها هو قادم اليك.
الملك هنري: لكن، لماذا أخذ التاج؟

(يدخل الأمير هنري).

الملك هنري (بواصل كلامه): ها هوذا هاري قد اقترب. أما أنتم
فغادروا الحجرة واتركونا وحدنا.

(يخرج جميع الأمراء والسادة ما عدا الأمير هنري).

الأمير هنري: لم أكن أظن اني سأسمع صوتك ثانية.
الملك هنري: اعتقادك، يا هاري، هو وليد استعجالك. انا تأخرت
في الرحيل عنك، وهذا قد أتعبك. هل أنت متشوق
هكذا وتوّاق الى خلوّ عرشي، حتى انك بادرت الى
حمل تاجي قبل أن تحين ساعتى الأخيرة؟ ما أشدّ
هوس الشباب الترق؟ أنت تهافت على المجد الذي
سيسحقك، على ما أرى. انتظر قليلاً، فغيمة سلطنتي
تكاد تسوقها نسمة هزيلة وسترى السلطة تسقط قريباً
بين يديك، لأنّ أجلي فعلاً قد دنا. فسرقت ما كان أصبح
ملكك بعد ساعات قليلة بدون ارتكاب أي جرم. وقبل
أن يختطف الموت روحي، ها قد أكّدت ظنوني،
وسلوكتك أثبت لي انك طوال حياتك لم تحبّني بل
تمنيت غيابي السريع لتخلفني. وفي ضميرك سننت
الف خنجر وشحذتها على قلبك المتحجّر لتطعنتي
أثناء نصف الساعة الأخيرة من عمري. اذهب واحفر
قبري بيدك، واطلب أن تدقّ أجراس الفرّج التي تنوق
أذنالك الى سماع رنينها عند موتي. أتمنّى أن تغدو

الدموع المنسكبة على نعشي بلسماً يريح قلبي. ولا
 تتأخر عن إهالة تراب النسيان على الحفرة التي ستضمّ
 رفاثي، وسلّم الدود جثمان من منحك الحياة وربّك.
 أطرد قوّادي الأمناء وحطّم قراراتي الحكيمة. لأن موعِد
 هدم النظام قد اقترب الآن. وها قد توجّ هنري الخامس
 نفسه أمام ناظري. ثبّاً لك أيها المهووس ما أعقّك.
 وليسقط تجبرك الملكي الأرعن. اليكم عني أنتم جميعاً
 أيها المستشارون، واذهبوا إلى بلاط انكلترا يا قروء
 التخاذل المتقاطرين من كل بلد غريب. وأنّ، أيتها
 الدول المجاورة، تطهّري من أرجاسك، لأن لديك
 جحافل من الدجالين الذين يشتمون ويسكرون
 ويرقصون وينهبون ويتهكّون ليلاً ويقتلون وهم
 يعربدون ولا يتورّعون عن ارتكاب أشنع المنكرات
 والموبقات بطرق وأساليب جديدة مشينة. إفرحوا اليوم
 لأنهم لم يعودوا يزعمونكم بصخبهم. لأن انكلترا
 أضحت في وضع يتيح لها تنقية أجوائها من هذه
 الأقدار والأرجاس لأن انكلترا ستفرض سيطرتها وهيبتها
 وقوّتها في كل مكان، ما دام ابني هنري الخامس
 سينتزع الكمامة التي كانت تسمّد شفق الدعارة ويفلّ
 الحبل على الغارب لانتشار الفوضى والانحطاط ويفكّ
 قيد الكلب المسعور الذي سيفرز أنيابه الحادة في
 جسم الأبرياء. ما أشقّاك، أيتها المملكة المسكينة
 المصابة بمرض الشقاق والتمزّق الداخلي. إذا كانت
 حكومتك لم تستطع أن تحميكم من الفوضى والضياع
 ماذا يحلّ بك لا سيما إذا أصبحت هذه الفوضى
 أساس حكومتك. ستعودين كما كنت في الماضي

صحراء تأوي اليك الذئاب سكانك الأصليون.

الأمير هنري (يختر) : سامحني، يا ملكي. لو عارضتَ تصرفاتي بحزم
وصرامة لجعلتني أتجنب هذه الملامة القاسية قبل أن
تتكلم وقبل أن تستشيط غيظاً امامي هكذا... ها هو
تاجك. أرجو أن يحفظك الله ويصونه لك طويلاً.
إذا انا أحببت هذا التاج، فلأني أعتبره شعار شهامتك
وسمعتك العطرة. أملّي أن لا أنهض من وضعي هذا
الدليل إلّا وقلبي المفعم ولأء واحتراماً لشخصك الكريم
يفيض بين حنايا ضلوعي بالتيجيل والخضوع المعلن
أمام الملأ لسلطتك وهيتك. يعلم الله اني عندما دخلت
هذا المكان، خيل الي ان جلاتك خامد الأنفاس
ظاهراً، فصعقت لبرودة الموت التي جمّدت الدم في
عروقي. وإن كنت لا أفصح عن الحقيقة المجردة،
فليزهق الموت روحي بسبب إظهاره خلاف ما كنت
أضمره في الواقع من تبدّل مريب. عندما اقتربت لأنظر
اليك، وقد ظننتك، لا سمح الله، قد فارقت الحياة
أو على وشك أن تلفظ أنفاسك الأخيرة، خطرت بيالي
فكرة لم أستطع مقاومتها، فدنوت من التاج كما لو
كان معدنه يفهم مرامي وخاطبته في سرّي قائلاً :
ان الهموم التي تختبئ في داخلك قد أرهقت كاهل
والدي، ومع انك من الذهب فحتماً صنفك يبدو من
أردأ معدن. ولو تدنّت قيمتك هكذا فيظلّ الذهب
ثميناً لأنه الدواء الشافي الذي يصون حياة البشر. لكنك
دوماً لامع ومحترم وطيب الذكر أينما حللت وفي
أي زمان كنت، تضني من يقتنيك ويتشبّث بأذيالك.

هكذا، يا ملكي المفدى، وأنا أنهم التاج بهذه القبائح،
حملته على رأسي لأجرب مفعوله ومظهره، كما لو
كان عدواً قتل أبي. وهذه علة كل وريث عرش في
هذه الدنيا. وإن كانت ملامسة التاج قد أفعمت صدري
غروراً ونفخت نفسي بروح الكبرياء، وإن خامرت
ذهني فكرة العصيان والغطرسة وأغرنتني سلطة
الصولجان بتسرّع، أرجو أن يعده الله دوماً عن أشواقي
وأن يجعلني أحقر أمير أجنو على ركبتَي أمام عظمتك
الحقيقية باحترام وخضوع وامثال كليّ.

الملك هنري: يا بنيّ، السماء ألهمتكَ أن تأخذه قبل الأوان لكي
تضاعف عطف أليك عليك، ويسامحك بحكمته
ورحابة صدره. لإقرب مني، يا هاري، واجلس الى
جانب سريري واستمع الى نصائحي الأخيرة، على
ما أعتقد، إذ لن يتسنّى لي أن أكررها عليك. الله
يعلم، يا بنيّ، بأية وسائل وأية طرق غير مباشرة بل
متعرجة وصلت الى هذا التاج. وأعلم أيضاً ما رافق
تثبته على رأسي أنا من متاعب وصعوبات. لكنه على
رأسك أنت سيستقرّ بسلام أكثر واحترام أوفر، لأن
مشاكل وصولي اليه ستُدفن معي في ضريحي. لم
يظهر، وهو على رأسي، كأنه انتزع بالقوة والعنف.
وكانت رؤية أنصاري الأحياء تذكّرني دائماً بما لهم
من فضل بمساعدتهم اياي للحصول عليه. وهذا كان
سبب نزاعات يومية وصراعات دموية لفرض سلام
وهمي. لأن كل هذه التهديدات الوقحة لم أواجهها
إلا بتحدّيات خطيرة وأساليب لم تكن في أغلب الأحيان

مشكورة. ما دام حكمي كان نتيجة هذه الصراعات بعد اغتصابي السلطة. غير ان الموت قد غير اليوم هذه الوضعية بالنسبة اليك. فما كان في أيامي موضوع شك وجدل، يؤول اليك حالياً عن طريق الشرعية والرضى، لأنك ترث هذا التاج بموجب قانون الخلافة. مع ذلك، مهما كانت أركان عرشك موطدة أكثر من عهدي، أنت لا تزال هشاً أمام سيل المشاكل التي قد تعترض سبيلك. فجميع أصدقائي الذين عليك أن تسعى الى جعلهم أصدقاءك وتحذرهم، لم يفقدوا أنيابهم وبراثنهم إلا من زمن قريب. فبعد أن رفعوني الى سدة الملك بجهودهم الرهيبة، ظلت أخشى أن ينقلبوا عليّ ويسلبوني السلطة كما ساعدوني للاستيلاء عليها. ولكي أتلافى هذا الخطر المضني اضطررت الى إعدام بعضهم، وكان في نيتي أن أرسل الآخرين الى الأراضي المقدسة لأبعد عني شرهم المسلط كالسيف فوق رأسي، خوفاً من أن يسوّل لهم البطر وقلة الانشغال أن يحسدوني على سلطتي ويزاحموني ويتآمروا عليّ ليحلّوا محلّي على العرش. لذلك عليك، يا هاري، أن تنتهج سياسة تشغل أفكارهم الميالة إلى العصيان، في حروب خارجية بشكل يحوّل نشاطهم الى التفاعل بعيداً عنك، وينسيهم ذكرى أوائل أيام الحكم. أريد أن أقول لك المزيد. لكن صدري اللاهث لا يدع لي مجالاً للكلام أكثر مما فعل. ألتمس من الله أن يغفر لي أسلوب حصولي على التاج، وأن يتيح لك حمله على رأسك طويلاً بعزّ وسلام.

الأمير هنري : مولاي الفاضل، لقد اكتسبت أنت هذا التاج وحملته

وحافظت عليه، ومنحتني إياه معزّزاً، ووجوده على رأسي هو حقّ شرعيّ من الحقوق التي أوليتني إياها. فكن مطمئن البال، يا أبي، اني سأدافع عنه بكل قواي ولو حاول العالم كله أن يتنزعه مني فلن يجد الى ذلك سبيلاً.

(يدخل الأمير جون لنكاستر وروويك ولوردات آخرون).

الملك هنري: اسمعوا وانظروا، هذا هو ابني جون لنكاستر. الأمير هنري: أتمنى لك الصحة والسلام والسعادة، يا والدي ومليكي المحبوب.

الملك هنري: يا ولدي جون، وجودك بقربي يجلب لي السعادة والأمان. لكن الصحة أخذت تسحب من هذا الجزع الناشف الذابل. فكما ترى، أوشكت مهمتي الزائلة أن تبلغ نهاية المطاف. أين لورد وروويك؟ الأمير هنري: يا لورد وروويك.

الملك هنري: هل للجناح الذي غبت فيه عن الوعي من اسم خاص؟ وروويك: أجل، يدعى القدس، أيها المولى الكريم. الملك هنري: أشكر الله. اذ لا بد لحياتي من أن تنتهي هناك. لقد ظننت خطأً ان خاتمة حياتي ستكون في الأرض المقدسة. أرجوك أن تنقلني الى تلك الحجرة حيث أودّ أن أستريح. هذا هو القدس الذي أتمنى، أنا هنري، أن أموت فيه.

الفصل الخامس المشهد الأول

داخل بيت شالو في كلومستر شاير.

(يدخل شالو وفالستاف وباردولف والقلام).

شالو : أقسم بشرفي اني لن أدعكم تذهبون هذا المساء.
(ينادي). تعال، يا دايفي.

فالستاف : لا بدّ لك من أن تعذرني، يا أستاذ روبرت شالو.
شالو : لن أسامحك أبداً. اذ لا عذر لك، ولا مجال للاستفسار
لأنني لا أريد ان اسمع هذا الطلب، ولن أعذرک أبداً.
أين أنت يا دايفي؟

دايفي : ها أنذا، يا سيدي.

شالو : دايفي، يا دايفي... هيا يا دايفي... أجل، هكذا. أيها
الطاهي وليم، قلّ له أن يأتي الى هنا... يا سرّ جون،
لن أسامحك أبداً.

دايفي : أريد أن أقول لك، يا سيدي، ان لا سبيل الى تنفيذ
هذه المهمة. ثم هناك أمر آخر، يا سيدي. أتريد أن
نذر قمحاً تلك الأرض التي تكلمنا عنها؟

- شالو : نعم، قمحاً أحمر، يا ديفي... أما الطاهي ولیم... ألا يوجد هنا من حمام صغير؟
- دايفي : أجل، يا سيدي... ها هذا لائحة مصاريف الحدّاد الذي صنع حدوات الحصان وسكّة المحراث.
- شالو : إفحصوا مفرداتها وادفعوا له ثمنها... لن أسامحك أبداً، يا سرّ جون.
- دايفي : هذا اليرميل يحتاج حتماً الى طوق جديد. ثم، هل تريد، يا سيدي، أن تحسم بعض أجر غليوم لتعويض قيمة الكيس الذي أضاعه ذلك اليوم في باحة معرض هينشكلي.
- شالو : أجل، هو مسؤول عنه... لا تنسَ الحَمام، يا دافبي، وزوج دجاج قصير القوائم وقطعة لحم خروف وبضعة لُقَم صغيرة لذیذة. قل ذلك للطاهي ولیم.
- دايفي : هل سيبقى هذا المحارب هنا طوال الليل، يا سيدي؟
- شالو : أجل، يا دافبي. أودّ أن أعامله معاملة حسنة. فما عليك إلا أن تقابل هؤلاء الناس بالحسنى، وإن كانوا أوغاداً مشاغبين، رغم من يحميهم. وليس مستبعداً أن يضايقوا أحداً منا.
- دايفي : أوكد لك أنهم سيضايقون أنفسهم. لأن ثيابهم الداخلية رثة للغاية تدل على قذارة طبيعهم.
- شالو : وجدت علّتهم، يا دافبي. فالتزم عملك.
- دايفي : أرجوك، يا سيدي، أن تساعد ولیم فايزور ويتكوت على التغلب على باركس من التلال القريبة.
- شالو : هناك شكاوى عديدة، يا دافبي على فايزور هذا الوغد اللئيم الذي أعرفه جيداً.

دايفي

: أوافق سيادتك على أنه وغد لئيم. وأتمنى مع ذلك أن لا يجد أي شقي من يسانده هنا، نزولاً عند طلب صديق. الرجل الشريف يستطيع أن يدافع عن نفسه، أما الوغد فلا. لقد خدمت سيادتك بشهامة منذ ثمانية أعوام. فإذا لم أفضل مرة أو مرتين أحد اللؤماء على رجل شهم أكون غير مستحق عطفك ورعايتك، يا سيدي. هذا المسكين هو صديقي الشريف، لذلك ألتمس من سيادتك أن تنظر اليه بعين العطف والرفقة.

شالو

: هيا، سيكون لك ما تشاء، ولن ينوبه مني أي سوء... فعد الى عملك، يا دايفي. (يخرج دايفي). أين أنت، يا سرّ جون؟ هيا، إخلع جزمتهك... ثم هات يدك، يا أستاذ باردولف.

باردولف

: أنا سعيد بمشاهدة سيادتك. أشكرك من كل قلبي على عواطفك، يا عزيزي الأستاذ باردولف. (للغلام) وأنت أيضاً أهلاً بك، يا صديقي الباسل... تعال، يا سرّ جون.

شالو

فالستاف

: سألتحق بك، يا أستاذي الكريم روبرت شالو. (يخرج شالو). يا باردولف، إسهّر على جياندا. (يخرج باردولف والغلام). ولو قُطعت إرباً إرباً سأساوي حوالى خمسين شخصاً من أمثال الأستاذ شالو الهزيل. جميل أن يلاحظ الانسجام الموجود بينه وبين أرواح هؤلاء الأشرار. فهم من شدة مراقبتهم إياه أضحوا كالقضاة المتزمتين. وهو من كثر ما تبادلوا واياهم من الأحاديث بات يخاطبهم كأنه خادم أحد القضاة. وذهبتهم الضيقة متعاسكة كشركاء متنافري المصالح يتناغمون

كالأوزات البرية. فإذا شئت الحصول على أمر ما من الأستاذ شالو، ما لي إلا أن أتملق هؤلاء الأشخاص وأنا مقتنع بأنهم هم وأستاذهم المذكور مجبولون من طينة واحدة. فالأطف الأستاذ شالو وأنا متأكد بأن لا أحد يسيطر أكثر منه على خدامه. لا غرو في أن الفتنة والغباء هما من الأمراض المعدية. وبالتالي، يجب على هؤلاء الناس أن يحذروا من معاشرة هذه الزمرة. وحين آخذ شالو هذا كنموذج ومثال يتسنى لي أن أضحك الأمير هنري باستمرار طوال مدة عرض ستة أزياء أي مدة أربع جلسات أو صياغة سندي اعتراف بالديون. ولن يبقى له أي وقت فراغ. هذا هائل. ما أفظع الأثر الذي يتركه الكذب لا سيما عندما يؤيده حلفان كاذب أو مزاح سخيف يلقي برصانة على فتى لم يذق طعم الألم فيصاب رأسه بالصداع، ستراه يضحك حتى يصبح وجهه نظير رداء مبلول لبسه صاحبه على قفاه.

شالو (ينادي من الداخل) : يا سرّ جون.
فالتاف : أنا آتٍ، يا أستاذ شالو. أنا آتٍ.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قصر ويستمنستر

(يدخل ورويك واللورد كبير القضاة).

ورويك : يا مولاي كبير القضاة، الى أين أنت ذاهب؟
كبير القضاة : كيف حال الملك؟
ورويك : صحته هزيلة، وقد تراكمت عليه الهموم.
كبير القضاة : أمني أن لا يكون قد مات.
ورويك : لقد سلكت طريقاً خطراً، وبالنسبة إلينا لم يعد من
عداد الأحياء.

كبير القضاة : كم وددت أن يأخذني صاحب الجلالة معه في هذه
الرحلة. لأن الخدمات الكثيرة التي أدتها له بكل ولاء،
وهو حيّ تتركني عرضةً لجميع الاضطهادات بعد غيابه.
ورويك : أظن في الواقع، ان الملك الجديد لا يحبك كما يجب.
كبير القضاة : أنا عالم بذلك. ولذا استعدّ لمجابهة الوضع الحالي
الذي لا يمكن أن يكون رهيباً بالنسبة إليّ أكثر ممّا
أتصوّره.

(يدخل الأمير جون والأمير هنري وكلارانس وويستمورلند وغيرهم).

ورويك : ها هم أولاد المرحوم هنري آتون والحزن يكسو
وجوههم. ليت لهؤلاء الأمراء الثلاثة صفات أكثر سموً
من الملك الراحل هنري. فكم من النبلاء حينذاك
يحافظون على مناصبهم، إزاء أخلاق كهذه من أردأ
المزايا.

كبير القضاة : وأنا أيضاً، أتمنى أن تنقلب الأمور رأساً على عقب.

الأمير جون : نهارك سعيد، يا ابن عمي ورويك.
الأميران همفري وكلارانس : نحن نتقابل كأشخاص فقدوا موهبة الكلام.

ورويك : ونحن نتذكر ما جرى. لكن الموضوع كتيب، ولا
سبيل الى قبول الخطب الطويلة.

الأمير جون : نتمنى السلام على كل حال لمن جعل أيماننا كنية.
كبير القضاة : بل نتمنى أن يلازمنا السلام وينجينا ممن يضاعف
شقائنا.

همفري : أجل، يا مولاي العزيز، لقد خسرت صديقاً بكل معنى
الكلمة. وأقسم ان ما يرسم على محياك من القنوط
ليس مستعاراً، بل يدعم الحقيقة عينها.

الأمير جون : مع ان لا أحد يسهه أن يؤكد ما خصنا به من امتيازات،
لا سيما أنت الذي تترقب أبعد استقبال. وهذا ما
يضاعف أساي. أسأل الله أن يجعل الأمور تسير بعكس
ما تبدو عليه.

كلارانس : يتحتم عليك الآن أن تحسن معاملة سرّ جون فالتفاف
وأن تسلك هكذا إتجاهاً يخالف مبادئك وطباعك.
كبير القضاة : أيها الأمراء الأعزاء، ما فعلته قد أقدمت عليه بكل مروءة
وبحكم ضميري الحي غير المنحاز. ولن تروني أبداً
ألتبس صفحاً عن بعض هفواتي الطفيفة. اذا كان
الولاء وحسن النية لا يحميانني، فالأجدر بي أن ألحق
بمولاي الملك المتوفى وأخبره بمن أرسلني اليه.
ورويك : ها هوذا الأمير قد أتى.

(يدخل الملك هنري الخامس).

كبير القضاة : نهارك سعيد، حفظك الله يا صاحب الجلالة.

الملك : هذه الحلة الجديدة الرائعة الجليلة، لا تناسبني كثيراً
كما تظن. يا أخوتي أنتم تمزجون حزنكم ببعض
المخاوف. هنا بلاط انكلترا وليس بلد بني عثمان.
وأنا لا أشبه ذاك السلطان الذي حين تسلم العرش
قتل جميع إخوته ليتخلص من مزاحمتهم. فأنا هنري
قد خلفت والدي هنري. مع ذلك هذا لا يزيل مسحة
الكآبة عن وجوهكم، يا أخوتي الأحياء، لأن هذا الحزن
يليق بكم ما دمت تلتزمون الجداد الملكي الذي أودَّ
أن أحافظ عليه كتقليد مشكور. وأنا شخصياً أحرص
عليه في أعماق قلبي، يا أشقائي الأعزاء. وأقسم لكم
اني سأكون لكم في آن واحد خير أب وخير أخ.
فأرجوكم أن تحيطوني بمحبتكم، وأنا أخصكم
برعايتي. أجل ابكوا هنري الميت كما أنا أبكيه. لكن
هنري الحي سيعرف كيف يحول دموعكم هذه الى
بسمات.

الأمراء الثلاثة : نحن لا نرجو من جلالتك أكثر من ذلك.

الملك : ما لي أراكم تنظرون إلي بصورة غريبة؟... (لكبير
القضاة) وأنت بنوع خاص، أعتقد بأنك مقتنع بأنني
لا أحبك.

كبير القضاة : أنا مقتنع، من قبيل العدالة، بأن ليس لدى جلالتك
أية حجة لكي تبغضني.

الملك : كلا. كيف تريد مني أنا الأمير وقد وصلت الى أعلى
المراتب، أن أنسى ما سُمّنتي إياه من شتى التحقيرات
والتوبيخات والمراقبات والعقوبات حتى السجن لا
سيما يوم كنت وريث عرش انكلترا المرتقب. هل

كل هذا بسيط في نظرك؟ هل يمكنني التفاوضي عن كل هذه الاهانات ونسيانها هكذا بسهولة كأنها لم تكن؟

كبير القضاة : لقد حللت انا محلّ شخص والدك، لأن صورة حكمه كانت مرتسمة على صفحة حكمتي واستقامتي. بينما في ادارة عدائه كنت انا مكلفاً برعاية مصالحه العامة، فشئت، يا صاحب الجلالة، أن تناسي كرامتي وهية القانون ونزاهة العدل، وهي في الحقيقة صورة الملك الذي كنت أمثله. فضربت أنت عرض الحائط بهية مقامي كقاضٍ. وأمام هذا التحدي الذي قصدت به والدك، قمت أنا بواجبي بشجاعة واستخدمت سلطتي وسجنتك. فإن كان هذا التصرف يستحق اللوم أقلني الآن وقد انتقل التاج الى رأسك لكي تشاهد قريباً ابنك يعث بقراراتك ويقتلع جذور هية العدل من محكمتك السامية ويعرقل سيرها ويدوس السلطة التي تحمي السلام والأمان حول شخصك الكريم ويشوّه صورة مُلكك ويهدم انجازاتك القيّمة ويقوّض أركان عدالتك وهي أساس دوام حكمك. راجع فكري الملكي وضع نفسك في هذا الموقع واختر خط نهجك من هذا المنطلق. كن أباً وتخيّل نفسك انك أيضاً ذاك الابن، وتأملّ الاهانة التي تلحق بكرامتك، وانظر الضرر الذي يتهدّد قوانينك بوقاحة لا تخطر ببال. تصوّر نفسك موضوع ازدراء ولدك وتخيّلني انا القاضي في سبيل الحرص على وقار شخصك وسلطتك اضطر الى معاقبة ابنك. بعد هذا الفحص الدقيق الرصين

حاكميني. وبما انك الملك أعلن على هذا الأساس
 ان ما قمت به لا يليق بكرامتي وبشخصي ولا سيما
 بسلطتك التي أمثلها، يا ملكي الكريم.

: الحق الى جانبك، لأنك تقدّر الأمور حق قدرها. اذاً،
 واصل على الدوام حمل الميزان والنيّف رمز العدالة
 والنزاهة. وأنا أتمنى أن تجمع أمجاداً جديدة حول
 شخصك الى أن ترى لي ابناً يهينك وتخضعه لقراراتك
 الحكيمة كما كان حالي معك. وأتمنى أن أعيش طويلاً
 لأكرّر أقوال أبي : « سعيد انا لأن في إدارتي رجل
 شجاع لا يهاب الفساد ويجرؤ على فرض العدالة حتى
 على إبنّي. وسعيد أنا أيضاً لأن إبنّي يُخضع عظمته
 لهيبة العدالة ». فلأنك عاقبتني وسجنتني بدون تردد،
 أضع السيف القاطع في قبضتك لتكافح الشرّ وقد
 تعودت طويلاً على حمله غير هيّاب سطوة مستبدّ
 مهما كان متغطرساً. وأوصيك بأن تستخدمه بمثل
 العدل الجريء المنصف الذي أثبت جدارتك على
 حمله لحماية مصالح مملكتي. ها هيذا يدي تمتدّ
 لمصافحتك. فكن أباً لشبابي، لأن صوتي يعلن ما
 نهمسه في أذني، وأنا مستعد لأن أخضع مشييتي
 بتواضع لتوجيهات حنكتك وحكمتك واستقامتك.
 وأنتم جميعاً، أيها الأمراء، صدّقوني اني استخلفكم
 كي تحذوا حذوي. فلقد تحمّل أبي نزع شبابي بصبر
 وحمل آلامه معه إلى القبر. لأنه في مثواه الأخير وأرى
 أيضاً عواطف الصبيانية، وأنا أقتبس الآن بمشقة روح
 شهامته لأجابه تحدّيات كل العالم الذي لا تجديه
 جميع التوقعات ولكي أمحو الأحكام الموضعية التي

صوّرتني في نظر الناس حسب مظاهري المستهترّة. لقد تدفق نزف الدم حتى وصل الى هنا بصورة وقحة طاغية. والآن تحوّل مجراه نحو البحر حيث يختلط بالأمواج المتلاطمة ويظل سارياً مع ذلك في هدوء الجلالة والعظمة. سأستدعي حالاً مجلس معاوني السامين واختار منهم مستشارين لكي أتيح للهيئة العليا في إدارة دولتي أن تماشي تقدم الأمة من خلال أفضل أحكامها، ولكي يستتب السلم لمنع الحرب، وكلاهما عاملان أليقان حكيمان لا بدّ من المحافظة على التوازن بينهما. (لكبير القضاة). وفي كل هذه التدابير، وأنت بمثابة والدي، ستساعدني على الحكم حسب خبرتك الواسعة وحكمته السديدة. وبعد تنويعي سأجمع، كما سبق وأعلنت، كافّة أركان الدولة، آملاً أن يستجيب الله دعائي ويعينني على تحقيق أمانّي، كي لا يظل أمير أو وجه يسهّره أن يتمنى على السماء أن تختصر يوماً واحداً من أيام حياتي السعيدة، أنا هاري، لأنني لا أريد إلّا خير كل واحد من رعاياي متمنياً أن يعيش الجميع في سعادة ورخاء.

(يخرجون).

المشهد الثالث

وسط حديقة شالو عند الغسق في كلوستر شاير

(يدخل فالستاف وشالو وسيلانس وباردولف والغلام ودايفي).

شالو : هيا بنا نشاهد أرجاء حديقتي، ونتذوّق تحت ظلال الأشجار تفاحاً لذيذاً من انتاج السنة الماضية، طعمته انا بيدي، ومأكل أخرى مع كأس يانسون... تعال، يا ابن عمي سيلانس، وبعدئذ نذهب لننام.

فالستاف : أرى انك تملك منزلاً جميلاً لا أفخم منه.

شالو : بل لا أحقر منه. كلهم أوغاد، يا سرّ جون. ما أنعم هذا النسيم العليل. قدّم لنا، يا دايفي، ما جهّزته من أطعمة طيبة. هيا قدّمها لنا بدون تأخير.

فالستاف : دايفي هذا يخدمك بأشكال شتى، لأنه خادملك وبستانيك معاً.

شالو : هو خادم أمين وماهر في الطهي، يا سرّ جون. لقد شربت كثيراً من الخمرة أثناء العشاء. أجبّل هو خادم صالح. والآن تعال واجلس، يا ابن عمي.

(يجلس فالستاف وشالو وسيلانس الى المائدة).

(يقف).

سيلانس : بذمتي، ستتعوّد على هذا، كما يقال...

... ما ألدّ تذوّق الأطعمة الشهية

وشكر السماء على هذه السنة الغنية

فيها المأكل وافرة والمرأة ذات العفاف

يتمايل حولها الماجنون كالأطياف،

لنمرخ ونمرخ،

ونظّل على اللوام في هرج ومرج ومزاح.

فالمتاف : ها هوذا انسان مرح يحبّ النكات الطريفة. يا أستاذ

سيلانس، أنا أشرب نخبك على هذا الأساس.

شالو : أسكب، يا دايفي، كأس خمرة للأستاذ باردولف.

دايفي (لباردولف) : لذيذة حقاً، يا سيدي. تفضّل اجلس. (يجلس باردولف

والغلام الى مائدة أخرى). سأعود اليكما بعد لحظة. هذا

لذيذ جداً، يا سيدي. تفضّل اجلس... أيها الغلام

النجيب، تمتّع بهذا الجوّ المؤنس، وما ينقصك من

المأكّل، عوّض عنه بالشراب، أرجوك أن تعذرني.

المهم أن تكون مرتاح البال.

(يخرج دايفي).

شالو : لا تحرم نفسك من المرح، يا أستاذ باردولف. وأنت

هناك، أيها الجندي، إنعم بوجودك معنا.

سيلانس(يضي):

لنمرخ ونفرخ، فزوجتي نظير غيرها من النساء

كل بنات حواء غادرات، صغيرات أو كبيرات على السواء.

القاعة حلي بالمجون واللّحى تهتز نشوى بدون حياء

فأهلاً بالأيام الحلوة البهيجة التي تدعونا

الى الطرب والمرح والزهو طوال ساعات تروينا.

فالمتاف : لم أكن أصدّق ان للأستاذ سيلانس مثل هذا المزاج

المرح.

سيلانس : من؟ أنا؟ لقد عاقرت بنت الحان أكثر من مرة في

الماضي.

(يدخل دايفي).

دايفي (يضع صحناً أمام باردولف) : هذا صحن من المنوعات لتذوق ما فيه من لذيذ المآكل.

شالو : أشكرك، يا دايفي.

دايفي : أعذرني، يا صاحب السيادة. سأعود اليك بعد لحظة.
(باردولف) هل تريد كأس خمرة، يا سيدي.

سيلانس (يفني) :

كأس خمرة لذيد يفتح الشهية
وأنا أشربها نخب عشيتي الصبية
لأن القلب المسرور يحب الحياة السخية.

فالساتف : صدقت، يا أستاذ سيلانس.

سيلانس (يدمد) :

لنسرح ونمرح، فها هو الليل قد أقبل،
ومعه أطيب الأوقات من الله نسأل.

فالساتف (يشرب) : هذا نخب صحتك وعمرك الطويل، يا أستاذ
سيلانس.

سيلانس (يفني) :

إملأ لي الكأس واعطني لأشرب
فأناجيك وأسامرك حتى الخمرة تنضب.

شالو : أهلاً بك، أيها الشريف باردولف. تباً لك. هل نحتاج
إلى شيء ولا تطلبه مني. (للعلم) مرحباً، أيها المحتال
الصغير... ها أنا أشرب نخب الأستاذ باردولف، ونخب
كل فرسان لندن.

دايفي : أتمنى أن أشاهد لندن مرة واحدة قبل أن أموت.

باردولف : وأنا آمل أن أراك هناك، يا دايفي...

شالو : بذمتي، كلاكما تشربان معاً برميلاً من الخمرة... أليس كذلك، يا أستاذ باردولف؟

باردولف : أجل، يا سيدي، في كوب أملاه من إنائين كبيرين إلى أن يفرغا.

شالو : شكراً... لذا أؤكد لك ان الوقت سيتشَبَّثُ بأذيالك، لأنه كالحصان الأصيل يتعلّق بصاحبه.

باردولف : وأنا سأتمسّك به، يا سيدي.

شالو : هذا كلام ملوكي. لا تحرّم نفسك ملذّات الحياة،

وكنْ مرحاً على الدوام. (يطرق الباب). إذهب وانظر

من في الباب... من يطرق الباب، يا هذا؟

(يخرج دايفي).

فالستاف (سيلانس الذي يشرب جرعة) : أنت تُثبت وجهة نظري.

سيلانس (يفني) :

ضع الحق بجاني دوماً،

وساندني أيها الفارس يوماً

فلا بدّ لي أن أملك قوماً.

أليس كذلك؟

فالستاف : أجل، هكذا.

سيلانس : نعم، نعم. أعترف بأن الرجل المسنّ لا يزال نافعاً

لأمر ما.

(يدخل دايفي ثانية).

دايفي : هذا يستولي قادم من البلاط الملكي ببعض الأخبار.

فالستاف : من البلاط الملكي؟ دعهُ يدخل حالاً.

(يدخل يستولي).

- فالمستاف (بواصل كلامه) : ما وراءك من الأنباء، يا بيستولي؟
بيستولي : حفظك الله، يا سرّ جون.
- فالمستاف : ماذا جاء بك الى هنا، يا سرّ بيستولي؟
بيستولي : على كل حال، أخبراري ليست بمسيفة ولا ترزعج أي إنسان. أنت اليوم من خيرة شخصيات هذه المملكة.
- سيلانس : أنا أصدقك، لكن أقلّ من الرجل البدين القابع في ورويك.
- بيستولي : ليحمل ابليس هذا البدين الى الجحيم، لأنه جبان خسيس. أنا صديقك، يا مولاي، وقد جئت الى هنا على حصاني بأقصى السرعة لأنقل اليك أهمّ المعلومات وأبهجها، وهي تساوي ذهباً وحقاً وتستحقّ الجائزة الكبرى.
- فالمستاف : أرجوك أن تسردها لي لأشرح بها صدري.
- بيستولي : تباً لهذا العالم ولعيده الأوغاد. أنا أتكلم عن افريقيا وعن أفراح العصر الذهبي.
- فالمستاف (يلقي الكلمة التالية) :
يا أيها الخيال الآشوري، ما وراءك من الأخبار؟
عل ملك الغناء أن يعلن الحقيقة المجردة.
- سيلانس (يفضي) :
ها هو روبين هود، مورّد الخدّين بلقائه بحييته جيهان.
- بيستولي : هل المطلوب من الكلاب أن تردّ على أولاد جبل هليكون اليوناني؟ وهل يجوز له أن يهرأ هكذا بالنبأ السارّ اذاً، عليّ أنا بيستولي أن أزجّ بنفسي في اتون المعركة.
- شالو : أيها الوجيه الشهم، لا أفهم معنى تصرفاتك.
- بيستولي : اذاً عليك، ان تندب حظك.

شالو : أعذرني، يا سيدي. اذا كنت تأتني بأخبار البلاط، أنا أعتقد بأن أمامك حلّين لا ثالث لهما : إمّا أن تبوح بها لنا، وإمّا أن تكتمها عنا. فأنا هنا أمثل نوعاً ما سلطة الملك.

بيستولي : أي ملك تقصد؟ هل تعني الفتى الطائش؟ تكلم أو تستحق الموت.

شالو : يقصد الملك هنري.

بيستولي : هنري الرابع أم الخامس؟

شالو : هنري الرابع طبعاً.

بيستولي : تيّاً لخدمتك. إنّ حملك الوديعة، يا سرّ جون هو الآن ملك. وهنري الخامس هذا هو رجل الساعة. أنا لا أقول إلّا الحقيقة الأكيدة. واذا كنت انا بيستولي كاذباً، فلا بدّ لي من أن أتحمل المسؤولية نظير الدّعي المخاتل.

فالسلاف : ماذا تقول؟ هل مات الملك العجوز؟

بيستولي : نظير وضع النهار والشمس الساطعة، كل ما أقوله صحيح لا سبيل للشك فيه.

فالسلاف : هيا نرحل، يا باردولف. أسرج حصاني. وأنت، يا أستاذ روبرت شالو، إختر المنصب الذي تريد أن تشغله في هذا البلد، فيكون لك حتماً. أرجو لك المزيد من التوفيق، يا بيستولي.

باردولف : ما أحلى الأيام السعيدة. لن أبذل ثروتي الطائلة بشهادة أحد الفرسان.

بيستولي : اذاً، الأخبار التي أتى بها جيدة.

فالسلاف : خذ الأستاذ سيلانس الى سريره... يا أستاذ شالو،

كن من شئت. أمّا أنا فسأظلّ حليف الحظ والثروة.
 إنتعل جزمك لأننا سنسافر على ظهور الخيل طوال
 الليل. وأنت، يا بيستولي الظريف... هيا نرحل، يا
 باردولف (يخرج باردولف). تعال، يا بيستولي، وزودني
 بمزيد من أحاديثك الشيقة. واجتهد أن تختار ما
 يناسبك منها... إنتعل جزمك، يا أستاذ شالو. أنا أعرف
 جيداً ان الملك الشاب يعمل اليّ. خذوا جياذ أول
 الواصلين الى هنا. فإن قوانين انكلترا كلها تحت
 أوامري، وأتمنى الحظ السعيد لمن كانوا من أصدقائي.
 والويل للورد كبير القضاة.

بيستولي : دعوا الصقور تنهش رثيّه. أين البهجة التي كنت أرتع
 بها في الماضي؟ ها هي. فأهلاً بالأيام المرحّة.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في أحد شوارع لندن

(يدخل رقباء يشدون المضيفة كويكللي ودوروني تروذرا).

المضيفة : لا، لا، أيها الوغد اللثيم. قبل أن أموت أودّ أن أراك
 معلّقاً بحبل المشنقة. لقد خلعت لي كفتي، أيها
 الخيث.

الرقيب الأول : سلّمني اياها رجال الأمن. أؤكد لك أنها ستذوق
 طعم السياط، إذ قُتل رجل أو اثنان مؤخراً بسببها.

دوروثي : أنت كاذب أيها المحتال. لعنة الله تنصب عليك، يا صاحب الوجه المشؤوم. اذا ولد الطفل الذي أحمله في أحشائي قبل الموعد المتظر، فالأهون عليك أن تُضرب أمك أيها الدجال.

المضيضة : يا إلهي. ليت سرّ جون كان هنا. لجعل هذه المشكلة قضية دموية. أسأل الله أن لا تأتي ثمرة أحشائها الى هذا العالم قبل أوانها.

الرقيب الأول : اذا حدث ذلك ستقدّم لها أكثر من عشرة مساند. لأنها لا تملك الآن سوى واحد. هيا إتبعاني كلاكما. لأن الرجل الذي ضربته، أنت وبيستولي، قد مات. دوروثي : أصرّح لك، أيها الرجل الهزيل صاحب الوجه المستطيل، بأنني سأضربك بعنف لأجل ما سيّته لها من إزعاج، أيها العقرب السامّ. أقسم لك اني سأضربك ضرباً مبرحاً.

الرقيب الأول : أصمتي، أيتها الوقحة. المضيضة : لا بدّ للحقّ من أن يتغلّب على القوة... ها قد أتى الفرج بعد طول العذاب.

دوروثي : هيا أيها الغبي. خذني الى القاضي. المضيضة : نعم، تعال، أيها الكلب الجائع التّباح. دوروثي : تبا لك، يا شبيه الرجال، بل يا أيها الهيكل العظمي المريع.

المضيضة : أجل، انت هيكل عظمي شنيع. دوروثي : تبا لك من هزيل خميس. الرقيب الأول : حسناً. سنرى ما يكون من أمركما.

(يخرجون).

المشهد الخامس

في ساحة دير ويستمنستر.

(يدخل غلامان ويفرشان الأرض ببطء)

الغلام الأول : دائماً مزيد من البُسط.

الغلام الثاني : لقد نُفخ البوق مرتين.

الغلام الأول : ستدق الساعة الثانية عندما نعود من التويج... عَجَلْ، عَجَلْ.

(يخرج الغلامان).

(يدخل شالو ويستولي وباردولف والمرافق).

فالسّاف : عليك أن تظلّ هنا بقربي، يا أستاذ روبرت شالو، لأنني أنوي أن أقدمك الى الملك. سأُتّلع اليه بطرف عيني عندما سيمرّ، وستلاحظ كيف سيرمقي بنظرة عطف.

بيستولي : بركة الله تشملك، أيها الفارس المغوار.

فالسّاف : تعال الى هنا، يا بيستولي، وقف خلفي. (لشالو) لو تبسّر لي الوقت الكافي لصنع ثياب جديدة، لكنك فكّرت بالألف ليرة التي أقرضتك إياها. لكن لا أهمية لذلك، وهذا أفضل، لأنه يثبت الجهد الذي بذلته لأراه على هذا الحال.

شالو : ما العمل؟

فالسّاف : هذا برهان على حرارة مودّتي.

شالو : فعلاً.

فالسّاف : وعلى صدق تفاني أيضاً.

شالو : في الحقيقة.

فالتفاف : يبدو عليّ اني ركبت حصاني ليلاً ونهاراً، بدون تردّد
ولا تفكير، وبدون أن يتسنى لي أن أغير ملابسي.
شالو : هذا مؤكد.

فالتفاف : ها قد كساني غبار الطريق من جرّاء طول مسافة السفر.
فتصبّب العرق من جسمي شوقاً الى رؤياه، وأنا لا
أُتصوّر إلا هذا الأمر، متناسياً كل ما عداه، كما لو
لم يكن لديّ في الدنيا إلا مشاهدته.

بيستولي : دائماً هو ذاته ولا شيء سواه. هذا كل همي في الحياة.
شالو : نعم، بدون شك.

بيستولي : أيها الفارس المقدم، سيحرق الهمّ كبدي وسأنفجر
من شدّة الغيظ. ان دوروثي التي تعتبرها كأنها هيلانة
طروادة بالنسبة الى تفكيرك السخيف هي الآن نزيلة
السجن، وقد جرجرتها اليه أياد ليس أقدر منها. يمكنك
أن تتخلّيلها كحيّة رقطاء داخل جحرها تفتح لتنتقم
بضراوة. وبيستولي بذاته روى لي ذلك، وأعتقد أنه
لا يقول إلّا الحقيقة الأكيدة.
فالتفاف : سأنقذها انا منه.

(تسمع هتافات وموسيقى).

بيستولي : هذا هدير البحر وصوت البوق الذي يصرّم الآذان.
(يدخل الملك وموكبه الذي يضمّ كبير القضاة).

فالتفاف : حفظك الله، يا صاحب الجلالة الملك هال. يا صديقي
هال العظيم.

بيستولي : اني ألتمس من السماء أن تسهر عليك وتحرسك،

أيها الملك المبجل، يا ابن المجد الأصيل.

فالتاف : حفظك الله، يا ولدي الحبيب.

الملك (يشير الى فالتاف) : يا سيادة القاضي، أرجوك أن تكلم هذا الموقع.

كبير القضاة (فالتاف) : هل يحق لك أن تتحدث هكذا؟ وهل تدري ماذا تقول؟

فالتاف : يا مليكي المعظم، يا هرقل الجبار، اليك أوجه كلامي من صميم قلبي.

الملك : أنا لا أعرفك، أيها الرجل المسن. يجمل بك أن تذهب وتصلّي. لأن شعرك الشائب الأبيض لا يليق بما تظهره من هوس. لقد أبصرت مراراً في الحلم مستهتراً عجوزاً مثلك غائصاً في السكر والعريضة. لكنني عندما استيقظت من النوم ازدريت بحلمي. اجتهد ان تخفف من الآن وصاعداً انتفاخ بطنك، وأن تضاعف فضائك. ألق عن الشراة واعلم ان تخمّنك الدائمة ستودي بك الى القبر قبل الأوان. لا تجنّني بمزاح سمج، ولا تظنّ اني لا أزال كما كنت. لأن الله يعلم، والناس يلاحظون اني طردت من كياني ذاك الرجل القديم وسأطرد عني جميع الذين كانوا في الماضي من أعزّ رفاقي. واذا سمعت اني لا أزال كما كنت عليه من الشطط، تعال اليّ وستعود كما كنت مسبب انحرافاتي وما تملّكني من فوضى. والآن، أنا أبعدك عني وأهددك بالموت اذا خالفت وصيتي، مثلما أقصيت عني جميع من أفسدونني. وأحرّم عليك أن تسكن على بعد أقل من عشرة أميال من قصري، وأصرّ على تقيدك بهذا التدبير. أما ما خصّصته لك من مبلغ لمصروفك فيصلك

لكي لا تشجّعك حاجتك على عمل الشرّ. ومتى علمتُ
بأنك أصلحت سيرتك فعلاً، فبحسب مقدرتك
واستحقاقك سأوظفك في شغل يناسبك. (لكبير القضاة)
أكلفك، يا صاحب السيادة، بأن تنفّذ أوامري
بحذافيرها. والآن لنكمل مسيرتنا.

(يخرج الملك وموكبه).

فالسّاف : يا أستاذ شالو، انا مدين لك بألف ليرة.
شالو : أجل، يا سرّ جون، أرجوك أن تعطيني اياها لآخذها
الى منزلي.

فالسّاف : هذا الآن غير ممكن، يا أستاذ شالو. لكن لا تحزن
على ذلك. سيرسل في طلبي بصورة خاصة. هكذا
يتظاهر بالتغيير أمام الجمهور، فلا تقلق على ما سلّفتك
اياها لأنني على استعداد دائم لأخلق منك شخصية بارزة.
شالو : لا أرى كيف يتمّ ذلك، إلا اذا أعطيتني ثوبك
الأرجواني وحشوتني تبناً. أستحلفك بالله أن تسدّد
لي خمسمئة ليرة بدل الألف.

فالسّاف : يا سيدي، أنا مصمّم على وفاء وعدي. وما رأيته
هنا ما هو إلّا لون واحد من مزاياي.

شالو : لون واحد، يا سرّ جون؟ أخشى أن يصبغك ويطغى
عليك لونه الجديد فلا يعرفك أحد من أصحابك.

فالسّاف : لا ينشغل بالك، ليس هناك من لون يشوّهني. تعال
لتناول طعام الغداء على مائدتني. هيا، أيها القائد
يستولي، وأنت أيضاً، يا باردولف. سأستدعي حتماً
هذا المساء باكراً.

(يدخل الأمير جون وكبير القضاة وموظفو المحكمة).

كبير القضاة : رافقوا، من فضلكم، سرّ جون فالستاف الى سجن شارع فليت. وخذوا معه جميع رفاقه.

فالستاف : يا مولاي...

كبير القضاة : لا أستطيع أن أتحدّث إليك الآن. سأستمع الى حديثك بعد برهة. هيا خذوهم.

بيستولي : اذا عاكسني الحظ، راضاني الأمل.

(يخرج فالستاف وشالو ويستولي وباردولف والغلام وموظفو المحكمة).

الأمير جون : أقدر كثيراً تصرف الملك النبيل، لأنه أصرّ على أن يكون جميع رفاقه القدماء من الأقوياء المرموقين.

لكنهم كلهم أبعدوا حتى تستقيم أخلاقهم وتظهر للملأ أسمى وأرصن مما كانت عليه في الماضي.

الأمير جون : الملك استدعى أعضاء مجلسه للاجتماع به.

كبير القضاة : فعلاً .

الأمير جون : اراهن على أننا قبل نهاية هذا العام سنحمل أسلحتنا

وحماينا الوطني الى أراضي فرنسا. وقد سمعت أحد

المطلّعين يعلن ذلك. وخيّل اليّ ان الملك أعجبه هذا

المشروع. هيا تعالوا معي لنرى ما يكون.

(يخرج الجميع).

خاتمة

أولاً، أبدي لكم خشيتي، ثم أقدم لكم احترامي، وأخيراً ألقى عليكم خطابي. أما خشيتي فتصدر عن عدم إرضائكم، واحترامي يتجسم في إكرامكم، وخطابي يشتمل على طلبي عفوكم. فإذا ترقبتم مني حديثاً رائعاً كنت انا الخاسر. لأن ما سأقله على مسامعكم هو من تأليفي أنا، وما سأقله في الحقيقة أخاف أن لا يكون في صالحني. لكن، في الواقع، ولأجل الصدفة... اعلّموا إذاً، وأنا واثق بأنكم تعرفون جيداً، اني ظهرت هنا في ختام مسرحية ربما غير ناضجة لأتلمس حلمكم ولأعدكم بما هو أفضل منها. وكنت أنوي فعلاً أن أفي بوعدتي ضمن هذه المسرحية. فإذا كان ذلك مني لاسترعاء انتباهكم، فعملي غير موفق، وقد أفلسْتُ، وأنتم، يا دائنيّ الأعراء لم تكن من نصيبكم إلا الخسارة الفادحة. فخففوا من أعباء ديوني، لأنني عازم على أن أسدّد لكم قسماً منها. وكالعديد من المدنيين أعدكم بأن أغدق عليكم كنوزاً لا تحصى.

إذا كان حديثي لا يحملكم على تخليص ذمتي، هل تريدون أن أستخدم رجليّ لأهرب حالاً؟ لكن لا، أكون قد دفعت لكم هكذا بعملة غير رائجة إذا صِفْت ما لكم عليّ من ديون بالفرار من وجهكم. مع ذلك، على الضمير الحيّ أن يقدم لكم على الأقل

ترضية ممكنة ومقبولة، وهذا ما أنا مصمم على فعله. جميع النساء اللطيفات الحاضرات ها هنا قد سامحتني. أما الرجال فلا يحذون حذوهنّ، وهذا ما لم يلمسه أحد في مثل هذا المجتمع الراقي. هناك كلمة أخيرة أرجوكم أن تصفوا اليها. اذا لم تتقرّر نفوسكم من اللحم والدم، فإن مؤلفنا المتواضع سيكمل هذه القصة حيث سيظهر أيضاً سرّ جون وسيضحككم مع الفرنسية الحسنة كاترين. هنا، على ما أعلم، سيموت فالستاف على أثر خبطة عنيفة، إلا اذا أقدمتم أنتم على ذبحه بطريقة شرسة. لأن المدعو « أولد كاسل » قضى شهيداً. وهذا الأخير ليس الرجل المشار اليه ذاته. الآن، وقد كلّ لساني وتعبت أيضاً قدماي، أتمنى لكم ليلة سعيدة. في خاتمة المطاف، أنحي أمامكم إحتراماً، وأجثو بغية الصلاة لأجل الملكة الكريمة.

تمت مسرحية هنري الرابع

أعمال شكسبير الكاملة

الملاهي

الاول:

العاصفة — سيدان من فيرونا — زوجات وندسور المرحات — واحدة
بواحدة — مهزلة الاخطاء.

الثاني:

جمععة دون طحن — عذاب الحب الضائع — تاجر البندقية — حلم
ليلة صيف — كما تشاء.

الثالث:

ترويض الشرسة — العبرة في النهاية — الليلة الثانية عشرة — حكاية الشتاء.

المآسي

الرابع:

تاجر البندقية — يوليوس قيصر — انطونيوس وكليوباترا — هملت.

الخامس:

مكبث — روميو وجوليت — مأساة كوريولانوس — سمبلين.

السادس:

الملك لير — تيمون الاثيني — تيطس اندرونيكس — ترويلوس وكروسيда.

التاريخيات

السابع:

ريتشارد الثاني — ريتشارد الثالث — الملك جون — بيريكليس امير صور.

الثامن:

هنري الرابع ٢/١.

التاسع:

هنري الخامس — هنري الثامن.

العاشر:

هنري السادس ٣/١.

Bibliotheca Alexandrina



0463867